

# اربيل ٨٨ هەولێر ٩٩

## حتى لاتضيع كردستان

رجائي فايد

# أربيل ٨٨ هەولێر ٩٩

## حتى لا تضيع كردستان

رجائي فايد

■ الناشر : مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر
اربيل - كوردستان ت(٢٩٩٩٢)

■ الكتاب : اربيل ٨٨ و هەولێر ٩٩

■ تاليف : رجائي فايد

■ التسلسل : ( ٨ )

■ الاخراج والتصميم : قاسم قادر

■ رقم الايداع : (٢٣٦) لسنة ٢٠٠٠

■ الطبعة : الأولى ٢٠٠٠

■ مطبعة وزارة التربية / اربيل

# الإهداء

الى . .

## مام حاجي قادر

رجائي فايد

## المقدمة

## حكايتي مع حاجي قادر :

في الفيلم السينمائي المصري الشهير «غريب في بيتي» يقع كل من «نور الشريف» و«سعاد حسني» و«علي الشريف» ضحايا لنصاب «جورج سيدهم» حيث يبيع لكل منهم نفس الشقة ويستلم ثمنها ثم يهاجر إلى كندا.. ولم يحم أي منهم من عملية النصب تلك عقد الإيجار الموثق في قسم الشرطة.

فالبعض من أهل المدن اختلط في أذهانهم الحرام بالحلال وأعطتهم مدنية المدينة آلاف الحيل للاحتيال بها على الآخرين، وفي سبيل ذلك يصبح كل شيء وأي شيء لا قيمة له لديهم.. فلا الكلمة لها قيمة ولا العقد أيضاً له قيمة.. قيمة أي شيء تكمن فقط في كونه وسيلة لتحقيق الهدف الذي هو المكسب السهل حراماً كان أم حلالاً.. ولو أدى ذلك إلى الاحتيال على عباد الله.

أما عند أهل القرى أو بالأحرى أهل الفطرة السليمة النقية.. فالأمر مختلف.. هؤلاء في الأغلب لا يعرفون عقوداً (على الأقل حتى عهد قريب) يتعاملون فيما بينهم بالكلمة.. والكلمة لديهم لها قداستها..

وتلك كانت حكايتي مع مام حاجي قادر...

كان الوقت حينئذ هو أواخر خريف عام ١٩٧٩ مر على وصولي إلى أربيل حوالي ٦ شهور.. لم أعد أحتمل مشقة الحياة بعيداً عن أسرتي.. كما أن أسرتي في القاهرة هي الأخرى لم تعد تحتمل بعدي عنهم أكثر من هذا.. وبدأت المراسلات حول ضرورة وصولهم بأي شكل والتحاقهم بي.. زوجتي السيدة سامية شاذلي مفتشة الآثار بهيئة الآثار المصرية في ذلك الوقت.. وطفلاي محمد أو حمادة الذي كان يقترب حينئذ من العام الثالث من عمره ومنى التي كانت تقترب من العام الثاني من عمرها.. الرسائل والصور وشرائط التسجيل المتبادلة لا تطفيء نار شوق هنا أو هناك.. وضعت زوجتي شرطاً أساسياً للحضور هو توفير مسكن ملائم.. وبدأت رحلة البحث عن دار سكنية ملائمة.. واكتشفت من خلال رحلة البحث أن الأمر يدخل في عداد المستحيلات..

إلى أن جاء فرج الله.. تعرفت بأحد الأصدقاء الأكراد [كاك نامق لا أعرف بقية اسمه].. هذا الصديق كان يشغل وظيفة مدير بمديرية الزراعة بأربيل.. أخبرني أنه يقطن في دار يستأجرها وأنه سيقوم بإخلائها عن قريب.

كان عرضه هذا أشبه بيد انتشلتني من حيرة ويأس وإحباط.. عاينت الدار فوجدتها أكثر من ممتازة من حيث المساحة والترتيب والسعر وكل شيء.. ولكن أين صاحب الدار كي اتفق معه على إيجارها.. أخبرني كاك نامق أنه حاجى قادر.. حاجى قادر فقط؟.. من هو حاجى قادر هذا..؟.. هكذا سألت.. أجاب كاك نامق أنه من البارزانيين المرحلين وهو يقيم مع أسرته في المجمع الإسكاني في قوشتپة.. في هذا الوقت لم أكن أعرف ما

معنى مصطلح البارزانية المرحلين.. اذهب هناك وأسأل عنه.. ووقعت في حيرة فقط أقول حاجى قادر؟.. هل هو علم إلى هذا الحد..؟.. وابتسم كاك نامق قائلاً: هو معروف جداً هناك ويكفي أن تقول أريد حاجى قادر.. وابتسمت أنا أيضاً فأنا لا أعرف اسم والد كاك نامق..

توكلت على الله وذهبت إلى مجمع إسكان قوش تبة مع الصديق المصري المهندس صلاح أبو الحسن وبسيارته.. والمهندس صلاح هذا من أوائل المصريين الذين وصلوا إلى أربيل فهو فيها من عام ١٩٧٤.. اصطحبنا معنا صديقاً كردياً آخر ليكون عوناً لنا على الوصول والترجمة.. وصلنا إلى مجمع قوشتپه مع غروب الشمس.. وكما قال لنا كاك نامق بدأنا السؤال: نريد حاجى قادر.. وصدمتنا الإجابة نازانم أي لا أعرف.. وسألنا آخر.. وكانت نفس الإجابة.. نازانم.. نازانم.. نازانم.. وتجولنا في المجمع الإسكاني من باب إلى باب.. وبالمناسبة فإن المجمع عبارة عن بلوكات من الطوب الأسمنتي الخشن العاري بلا ملاط أو صباغة.. الأبواب متجاورة وكل باب ينبيء عن مسكن منفصل.. بدأ الظلام يحيط تدريجياً بالمكان.. أحسست برجفة في صدري.. وانطبع الظلام عليّ وحشة فالبلوكات السكنية تحولت إلى ما يشبه شواهد للمقابر الداكنة.. والأشجار كانت تتمايل مع الهواء كمردة مخيفة.. الهواء الخريفي البارد راح يصفر في آذاننا ويلفح وجوهنا.. ندق الباب بحذر وخوف.. أتوقع أن تخرج فوهة بندقية من هنا أو هناك..ثم رصاصة طائشة أو مقصودة، وينتهي كل شيء.. ولكن دائماً كانت تخرج رأس حذرة مترقبة لا نرى منها سوى عينين تبرقان كعينا هر في الظلام.. ثم.. نازانم.. لاحظت أن بعض الأبواب التي طرقناها كان يخرج

من فيها ويجتمعون مع الآخرين في جانب لملاحظة ماذا يمكن أن يحدث وما هي الحكاية بالضبط.. بل وماذا وراء حاجي قادر حتى يسأل عليه هؤلاء.. ؟!.. ومن هؤلاء.. ؟.. وماذا يريدون بالضبط.. ؟

ترى هل كانت خدعة من كاك نامق؟.. وعرضت على صديقي أن نرحل من المكان ولم يوافقني.. فلو غادرنا المكان فإننا لن نعود إليه أبداً وقد تضيع فرصة هامة من أيدينا.. ولأنه عاش أكثر مني في هذه المنطقة وخابر طبائع أهلها لذلك فقد طلب مني الصبر.. فيما بعد أخبرني أن الناس لا يعرفون من يسأل عن حاجي قادر.. ولماذا.. ؟ والدنيا مليئة بالبلاوي.. فلو كان حاجي قادر مطلوباً لأي سبب وحدث له مكروه.. ذهب ولم يعد.. فإن من دل هؤلاء على مسكن حاجي قادر يكون قد أوقع نفسه في ورطة كان في غنى عنها.. نازانم تريح.

وأخيراً فوجئت برأس لرجل كهل تجاوز السبعين من العمر تخرج علينا في الظلام.. نفس نظرات العيون الحادة الفاحصة.. وبلهجة لا تخلو من التحد قال بالكردية: من يريد حاجي قادر.. ؟.. وبصوت واحد قلنا: نحن، وبلهجة زادت فيها نبرة التحدي: أنا حاجي قادر.. تفضلوا..

دخلنا إلى الدار وخلعنا أحذيتنا كما هي العادة.. ثم جلسنا علىِ البساط المفروش على الأرض في تلك الحجرة الأسمنتية الضيقة من حول المدفأة النفطية (علاء الدين).. مرت لحظات انطلقت فيها أصوات الترحيب الحذرة (بخيربين) ونجيب (خوش بين) وبدأت عيناي في التعود على المكان فرأيت الوجوه المحيطة.. رجال وأطفال ماكنت أرى فيهم في هذه اللحظة سوى نظرات حادة تكاد تعريني من ملابسي.. ومرت لحظة صمت كانت تحمل

سؤالاً واحداً.. من أنتم وماذا تريدون..؟ ويبدأ الحوار من خلال الصديق الكردي الذي كان يقوم بالترجمة من العربية إلى الكردية والعكس:

ـ حاجى قادر.. جئناك من طرف كاك نامق..

وأطرق حاجى قادر برأسه قليلاً كأنه يبحث عن هذا الاسم في ثنايا ذاكرته وما إذا كان قد مر على حياته من قبل أم لا.. ثم فوجئت به يهز رأسه ويقول:

ـ كاك نامق..؟!.. من كاك نامق هذا..؟.. لا أعرف أحداً بهذا الاسم.

وانتفض قلبي.. بعد هذا كله نعثر على حاجى قادر ثم يأتي الذي تعبنا حتى وصلنا إليه ويتضح أنه لا علاقة له بشخص يدعى كاك نامق.

ـ حاجى قادر.. كاك نامق الذي يعمل بمديرية الزراعة بأربيل.. ويزداد التحدي في صوته:

ـ لا أعرف كاك نامق ولا أعرف أحداً في الزراعة في أربيل.

ـ حاجى قادر.. كاك نامق يعمل مدير بالزراعة وهو أرسلنا إليك...

ـ أخي قلت لك لا أعرفه.. أنا رجل ريفي كما ترى ولا أعرف أحداً في المدينة لا في الزراعة ولا في الصناعة.

وتحول صوتنا إلى ما يشبه التوسل:

ـ حاجى قادر.. الذي يسكن في بيتك في أربيل.

ـ قلت لكم أنا رجل ريفي.. لا أغادر هذا المجمع.. فكيف يكون لي بيت في أربيل..؟

ـ كيف ونحن ذهبنا إلى هذا البيت في محلة إسكان جوار المعهد الفني و..

وتحول حديث حاجي قادر إلى حديث غاضب.

ـ قلت لكم ما عندي بيت في أربيل.

وغـمـزت لصـديقي المهندس صـلاح كي ننهض ونـنصـرف ولكن المهندس صلاح بحكم خبرته بطبائع الأكراد طلب مني الانتظار..

ـ حاجي قـادر.. نرجوك نحن المصريون الذيـن حدثـك عنهم كـاك نامق من أجل استئجار البيت..

وهنا تبـدلت أسـارير حـاجي قـادر وبدلاً من تلك النظرة المتـحدية المملوءة بالشك ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

ـ أهلاً وسهلاً.. أهلاً وسهلاً.

وأشـار بيـده فنهض صبي وعـاد بعـد لحظات حـاملاً دورقـاً زجـاجيـاً مليئـاً باللبن وراح يصب لنا في أكواب زجـاجيـة ملونة.. ونهض صـبي آخر فـجـاء بقـدر الشـاي ووضـعـه على المدفـأة النفطيـة.. وبدأنا الحـديث حـول حـاجـتي لاسـتـئـجـار داره ووافق عـلى الفـور واتـفـقنا على الـسـعـر وكــان ٦٦ ديناراً عـراقيـاً كل شهـر.. وملت على أذن صديقي سـائلاً: ألن نكـتب عـقد إيجار.. ونظر لي صـديقي نظرة حـادة فـهـمت منهـا أن أسـكت..فـيـمـا بعـد عـرفت أن مـسـألة العـقـود تلك لا يعـرفـهـا أحد عـلى الإطلاق.. فـالكلمة عـقـد.. مـددت يدي إلى جيبي لأخرج قـيمة إيجار شهـر ثم تقدمت به إلى حاجي قادر، وهنا هز رأسه مستـفسراً: ما هذا؟ قلت إيجار شهـر.. ربط كلام.. وهز رأسه ثانية فلم يفـهم مـا أقـصـد.. وأعـدت الكلمـة.. وترجـمـهـا الصـديق الكردي. ولكن حاجي قادر لم يفـهمـها ثانيـة، كانت معـاني كلمـاتي غريبـة كل الغـرابة على حاجي قادر.. كأنني هبطت من كوكب آخر.

وتدخل صديقي المهندس صلاح: عفواً حاجى قادر صديقي جاء حديثاً من مصر ولا يعرف طبائع أهل المنطقة يتصرف كما يحدث هناك في مصر..

وأكملت الشرح:

ـ هذا أمر طبيعي ندفع مبلغاً حتى لا يتراجع أحد عن الإتفاق.

وهز حاجى قادر رأسه في أسى.. وهل المال هو الذي سيجعل للكلمة قيمة!؟.. كلمتي أقوى من كل كنوز الدنيا.

واعتذرت لحاجى قادر وتذكرت فيلم «غريب في بيتي».. عقد إيجار مكتوب وموثق، ورغم ذلك كان النصب على الضحايا.. أما هنا فالكلمة لها قداستها.

وقبل الانصراف طلب مني إبلاغ كاك نامق أنه تم الاتفاق على الإيجار وأن استلم منه مفاتيح الدار في يوم إخلائه لها بمعنى أن الدار يجب ألا تبقى خالية ليوم واحد..

وانصرفت أنا وصديقي المهندس صلاح والصديق الكردي وأنا في حيرة هل حقاً استأجرت داراً للسكن.. وخابرت كاك نامق هاتفياً لقد اتفقت مع حاجى قادر.. ولم يناقشني كاك نامق في أي شيء فقط قال عظيم.. عندما أترك الدار سأخابرك كي تأخذ مفاتيحها..

وقد كان..

واستلمت الدار وأقمت فيها فترة إلى أن حضرت أسرتي.. ومر شهر وآخر ولم يحضر حاجى قادر لاستلام إيجار الدار.. وعصر أحد الأيام وجدت دقاً على الباب الخارجي للدار.. فتحت الباب لأجد قروياً كردياً لم أشاهده من قبل.. نظرت متسائلاً فقال: سلام عليكم.. حاجى قادر يسلم عليك ويطلب

الإيجار..

موقف لم أتعرض له من قبل.. استأذنته لدقائق.. طرقت باب جاري وأذكر أن اسمه كان كاك هادي وطرحت عليه الموقف.. هذا شخص غريب لا أعرفه يطلب إيجار الدار لحاجى قادر.. ما العمل..؟

قال لي: لا شيء.. أعطه.. هذا أمر عادي..

وأحضرت الإيجار المتأخر وأعطيته فوضعه في جيبه دون أن ينظر ماذا أخذ وانصرف.

وبعد ذلك بفترة عند عودتي من عملي وجدت الباب الخارجي مفتوحاً وكان حاجى قادر يقلم أشجار العنب والأشجار الأخرى.. ويسند العنب بدعامات خشبية.

- بهخێربێی حاجى قادر.

وتبادلنا السلام والتحية.. وانصرف إلى عمله.. ثم أمسك بفأس وراح يعزق الأرض.. تأملت وجهه.. جلد متغضن ملتصق بالعظام.. العروق نافرة على جبهته ورقبته.. البرد في ذلك الحين كان على أشده.. ولكن قطرات العرق كانت تنحدر من جبهته إلى طرف أنفه.. والأبخرة تخرج من فمه وأنفه.. بعد أن انتهى من عمله أخرج من حزام شرواله الكردي مبسم السيجارة المصنوع من غصن شجرة. ثقبه بيده وجَمّلَهُ ليكون مبسمه، ثم ثبت فيه سيجارته وراح يأخذ منها أنفاساً في هدوء.

دعوته للدخول.. جلسنا سوياً في الدار، تناولنا معاً ما كان حاضراً من طعام.. نادى على طفلاي وجلسا من حوله وراح يربت على رأسيهما متمتماً بآيات قرآنية ودعوات.. وعندما هم بالإنصراف أحضرت أجرة الشهر ولكنه

رفض أن يأخذها فاليوم هو الخامس والعشرين من الشهر والأجرة لا تدفع قبل انتهاء الشهر.. وانصرف في حفظ الله وأمانه.

ومن مام حاجى قادر عرفت أول سمة من سمات الأكراد..

تجاه الغريب يحيطون أنفسهم بسياج سميك من الشك إلى أن يثقوا فإنهم يحطمون هذا السياج فوراً وعندها يثقوا في هذا الغريب بلا حدود..

ألا يستحق حاجى قادر إذن أن تُهدى هذه الكلمات إليه.. فمهما كانت... فهي لا يمكن أن ترقى إلى قدسية كلمته.

لقد كانت علاقتي بحاجى قادر كلمة.. ولم تكن أي كلمة..!!

سلام الله على حاجى قادر

ورحمته عليه..

حياً كان

أم ميتاً

* * *

# أنا بين أربيل ٨٨ و هەولێر ٩٩

عشت في مدينة أربيل أو هەولێر أكثر من تسع سنوات متصلة بدءاً من أول مايو ١٩٧٩ حتى ٢٦ أغسطس آب ١٩٨٨.

خلال هذه الفترة كان حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب الحاكم.. شعاراته تتصدر كل مكان.. (أمة عربية واحدة. ذات رسالة خالدة.. وحدة. حرية. اشتراكية).. الأبنية الحكومية.. الاتحادات.. الجمعيات.. لا يعرف الإنسان أن هذا المبنى حكومياً أو على صلة ما بالحكومة إلا إذا تصدره هذا الشعار..!!.. ولا مانع من بعض الشعارات الأخرى إلى جواره فضلاً عن بعض مأثورات الزعيم القائد..

ورغم أن المدينة كردية بل هي مركز الحكم الذاتي بنص القانون.. (تتمتع المناطق التي غالبية سكانها من الأكراد بالحكم الذاتي) وفيها كافة مؤسسات الحكم الذاتي من مجلس تشريعي ومجلس تنفيذي وأمانات عامة تنفيذاً لاتفاقية الحكم الذاتي في ١١ مارس آذار ١٩٧٠ ولقانون الحكم الذاتي في ١١ مارس آذار ١٩٧٤.. رغم كل ذلك فإن الإلحاح على هذا الشعار العربي في منطقة كردية كان أمراً غريباً ويتنافى مع القانون المنوه اليه.. والأغرب أن نجد مسيرة أو مظاهرة أو تجمعاً للأكراد بأزيائهم القومية

التي تميزهم عن غيرهم من سكان الأرض وهم يرفعون تلك الشعارات ويجبرون على أن يتغنون بها، هاتفين ضد اعداء الحزب والثورة من المخربين (المخربون هم الذين ينتمون الى الحركة الكردية التي تسعى الى تحقيق طموحات الاكراد القومية..؟!)

وأذكر أحد هذه التجمعات في أوائل عام ١٩٨٨ وكانت المناسبة المعلنة رسمياً هي القضاء على مقرات الخونة في جبال كردستان من خلال عمليات الأنفال السيء الصيت والتي تكشف فيما بعد أنها كانت عمليات إبادة واسعة النطاق بالغازات السامة المحرمة دولياً.!!.. وهتف أكراد أربيل عنوةً لتلك العمليات أمام مبصري وعلى مسمعي..!! فيا لهول الكارثة.. لهول أن تجبر شعباً أن يهتف بتإييدك في ابادة جزء منه..!!

واعترف أن تلك المشاهد كانت تطربني..!! لقد كنت في ذلك الوقت في قمة سعادتي بذلك، فقد كان المشهد بما يحمل من شعارات وهتافات وأهازيج ورقصات يدغدغ في داخلي أشياء عزيزة عشت طويلاً في حلمها في حقبة الستينيات.. حلم الوطن العربي الواحد من المحيط إلى الخليج..

كانت كل الأمور تؤكد على أن الوجود الفعلي لحزب البعث العربي الاشتراكي كان طاغياً على الساحة بأسرها.. فرؤساء الدوائر (عرباً وأكراداً) جميعهم من البعثيين يذهبون صباحاً إلى دوائرهم في ملابسهم العسكرية (ملابس ميليشيات الحزب) يتمنطق كل منهم بحزام جلدي أنيق يتدلى منه المسدس المقدم له من الحزب.. وفي منزله بندقية آلية (كلاشنكوف) وكمية ضخمة من العتاد.. ولا ينسى أي منهم أن يثبت على يسار صدره (فوق القلب مباشرة) قلادة معدنية مذهبة مثمنة الأضلاع تحمل نقشاً بارزاً للرئيس

القائد.

شوارع المدينة تموج بسيارات الحزب المحملة بميليشياته المدججة بالسلاح.. وحول المدينة وعلى طول الطرق التي تربط أربيل بغيرها من المدن تتناثر الربايا المسلحة الحزبية والتي تتزين الأرض من حولها بالحصى الملون الذي يكتب نفس الشعارات (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.. وحدة حرية اشتراكية.. البعث طريقنا.. عاش الشعب.. عاش القائد.. عاشت الأمة.. إلخ).

كان كل شيء يؤكد على أن هذا الحزب نجح إلى حد بعيد في أن يضرب بجذوره بعيداً في أعماق تلك الأرض حتى أنه كاد أن يصبح جزءاً من المكان بل لعل المكان ذاته كاد أن يصبح جزءاً منه..!!.. وتركت أربيل في ٢٦ أغسطس آب وهي على هذا الوضع..!!..

وبعد ما يقرب من إحدى عشر سنة كاملة وفي يونيو ١٩٩٩ رأيت أربيل من جديد في سفرة جديدة وظروف جديدة..

سفرتي السابقة كانت للعمل وتمت عبر العاصمة بغداد وبتأشيرة دخول عراقية وتسجيل إقامة في دائرة بمدينة الموصل وإجراءات تعيين مركزية من بغداد.

أما هذه السفرة، فالأمر كان مختلفاً لأن مياهاً كثيرة جرت في النهر..

السفرة كانت بدعوة من الأخ مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني.. ولم تتم بالطبع عبر بغداد لأن أربيل والمنطقة الكردية التي من حولها حالياً في شبه استقلال عن العاصمة العراقية بغداد.. قبل السفر كان لابد من الحصول على الموافقة الأمنية السورية للسماح بالعبور إلى

كردستان عبر الأراضي السورية. وعندما تمت تلك الموافقة بدأ السفر من القاهرة إلى دمشق بالطائرة ثم بالطائرة أيضاً إلى مدينة القامشلي شرق دمشق.. ثم بالسيارة إلى النقطة الحدودية على نهر دجلة حيث تقف بناية أمنية سورية تسمح بالعبور بعد التأكد من استحصال الموافقة الأمنية المسبقة.

وبقارب بخاري يتبع الحزب الديمقراطي الكردستاني يتم عبور النهر إلى كردستان العراق ليجد القادم لوحة ضخمة تواجهه زرقاء اللون كتبت عليها كلمات الترحيب بثلاث لغات (الكردية ـ العربية ـ الإنجليزية) وباللون الأبيض والأصفر (بەخێر بێن بۆ کوردستان) (أهلاً وسهلاً بكم في كردستان) (Welcome to Kurdistan) ويعلو هذه اللوحة دائرة صفراء تحمل صورة جانبية لرأس نسر شعار الحزب الديمقراطي الكردستاني.

ونصعد منحدراً إلى أن نصل إلى بناية بسيطة تحمل على واجهتها اسم المبنى وبنفس اللغات الثلاث (خالا پەیوندییێت فیشخابور) (نقطة علاقات فيش خابور) (Fishkhabour Relations Point) ويعلو هذه البناية علم الحزب الديمقراطي الكردستاني الأصفر والذي تتوسطه دائرة زرقاء بها الثلاثة حروف الأول من اسم الحزب (.P.D.K) وإلى جوار هذا العلم يقف علم الجمهورية العراقية بألوانه الثلاث.

كان المشهد غريباً رغم أنني كنت أتوقعه.. ولكن التوقع شيء ومعايشة الواقع شيء آخر.. وسألت نفسي: هل حقاً هذه الأرض التي أقف عليها الآن هي ذات الأرض التي عشت عليها لتسع سنوات كاملة انتهت منذ إحدى عشر سنة؟.. في ذلك الوقت كان هناك حزب يحكم يطلق عليه الحزب

القائد.. وظننت يومها وأنا في قمة سعادتي به أنه تجذر في المكان جاعلاً من كل شيء على تلك الأرض جزءاً منه.. لقد كنت أرى حينئذ أن المكان بأسره صار بعثياً.. وفي هذا الصدد فإن أحد الأدباء الأكراد قال في وجودي لقيادة عربية بعثية (إن حزب البعث العربي الاشتراكي يجري في عروقي جريان الدم..!!).. لعله كان ينافق وهو يقيناً هكذا.. ولكن تلك كانت الصورة السائدة..!!.

ومن حيث المبدأ فإنه لا اعتراض لي على الإطلاق على حزب البعث العربي الاشتراكي أو أفكاره أو نهجه فهو حزب قومي عربي نشأ في ظل ضرورات تاريخية وكان له دوره في حركة القومية العربية، ولكن الاعتراض حول حدود عمل هذا الحزب ولجوئه إلى حشد الكم (أياً كان هذا الكم) على حساب الكيف وعدم إدراك أن غير العربي كيف يمكن له أن ينتمي إلي حزب قومي عربي وينتظر منه أن يصبح عنصراً فاعلاً في صفوفه..؟!..

خلال أيام الزيارة والتي قاربت الأسبوعين حاولت جاهداً أن أبحث عن أي أثر لهذا الحزب.. وفشلت.. إن أي حضارة على مر التاريخ.. سادت ثم بادت.. لابد لها أن تترك أي أثر في المكان والإنسان حتى ولو كان ذلك الأثر مجرد أطلال.

ولكن الحالة التي أمامنا هي حالة غريبة أزعم أنها بلا سوابق.. فكل شيء يؤكد بأنه لم يكن هناك في يوم من الأيام حزباً يحمل هذا الاسم كانت له مقرات وقواعد وأعضاء عاملون بالآلاف هو حزب البعث العربي الاشتراكي رغم الأمر كان في حقيقته أن له وجوداً فعلياً في المنطقة لما يقرب من ربع قرن من الزمان..!!

أما هؤلاء الذين يحكمون الآن فكانت صفتهم المعلنة لدى حكام الأمس وأدبيات الحزب أنهم المخربون..!!.. يا سبحان الله..!!.. يا مثبت العقل والدين يا الله..!!

ترى هل بالإمكان أن نجد شجرة ضخمة باسقة بلا جذور بحيث يمكن وببساطة شديدة إزاحتها بعيداً عن مكانها دون أن يشعر أحد بافتقاد ظل كانت تعطيه أو حتى ملاحظة أثر لها ولو على سطح الأرض..؟..

هذا ما حدث بالضبط لحزب البعث العربي الاشتراكي في كردستان العراق قد تكون الشجرة جيدة وضخمة وباسقة ويانعة ولكن التربة والمناخ ليسا لها كانت كشجرة موطنها الطبيعي أصقاع سيبريا وحاولوا غرسها في الصحراء الكبرى..!!

جاءوا بحزب عربي إلى أرض كردية.. المكان كردي.. الإنسان كردي.. اللسان كردي.. الأزياء كردية.. العادات.. التقاليد.. الموروث الثقافي.. كل شيء كردي.. استوردوا قيادات الحزب من المنطقة العربية وأنشأوا المقرات والتنظيمات وحفزوا الأكراد على الإنضمام بالترغيب أحياناً وبالترهيب أحياناً أخرى.. استخدموا ذهب المعز وسيفه.. وكان دائماً هناك طمع في منصب أو عقد مقاولة أو التظاهر بالولاء من أجل الأمن والأمان.. تلك طبيعة الإنسان.. وتنامى الحزب واتسعت دائرته بل وترهل ووصل إلى الأقضية والنواحي والقرى.. وبقيت الشجرة الخضراء حية بأسباب الحياة الصناعية في حين أن التربة كانت صخرية فلم تسمح لجذورها من أن تخترقها وتتغلغل فيها..

وجاءت العاصفة فاقتلعت الشجرة ودفعتها بعيداً مفتتة دون أن تترك

لها أي أثر.

ما حدث كان مهولاً فتسع سنوات من أنضج سنوات عمري ليست بالأمر القليل وخلال تلك السنوات التسع كنت أتحدث بشعارات حزب البعث العربي الاشتراكي وكلمات الرئيس القائد.. كنت أفكر بها.. أتنفس بها.. بل ألتحف بها.. تسع سنوات كاملة.. وعندما ذهبت من جديد، فوجئت بالمكان غير المكان.. والإنسان غير ذلك الإنسان الذي عرفت.. بل لعل الهواء أيضاً لم يعد هو نفس الهواء..

أربيل ١٩٨٨

هەولێر ١٩٩٩

زمانياً بينهما إحدى عشر عاماً فقط..

أما من حيث ما جرى من أحداث فالمسافة بعيدة.. بل.. شاسعة..

أربيل ١٩٨٨

هەولێر ١٩٩٩

ما هذا الذي حدث..؟... وكان هذا الكتاب

**رجائي فايد**

**القاهرة**

**ديسمبر كانون أول ١٩٩٩**

# شيء من تاريخ

(أنا سنحاريب ملك العالم وآشور.. حفرت مجاري ثلاثة أنهار في جبال خاني أعالي مدينة أربيل وأضفت إلى هذه الأنهار مياه الينابيع الواقعة في الجوانب اليمنى واليسرى من هذه الآبار وقد حفرت القناة في وسط مدينة أربيل التي هي موطن السيدة المبجلة الآلهة عشتار وكنت السبب في جعل مجاري هذه الأنهار مستقيمة الجريان..)

تلك الكلمات اكتشفت مكتوبة بالخط المسماري على إحدى القطع الأثرية مسجلة أحداثاً جرت في ٦٨١ ق.م.

وأربيل تعتبر من أقدم المدن الحية في العالم والتي حافظت على وجودها على مر التاريخ مأهولة بالسكان رغم ما لحق بها من نكبات بسبب الغزوات المتتالية.

إن الشواهد تؤكد على أن أول من استوطن أربيل كانت تلك الموجة الآرية الأولى النازحة من شمال بحر قزوين في الألف الثاني قبل الميلاد على وجه التقريب.

وحول أصل كلمة أربيل فيرى بعض المؤرخين أنها كانت (أربيلم) في العهد السومري و (أربائيلو) في العهد الاشوري، أي مدينة الآلهة الأربعة

المذكورة في النقوش السومرية والاشورية القديمة.. الا أن الدراسات العلمية الحديثة تناقض هذا الرأي. وهناك فرضية جديدة تقول بأن الاقوام الآرية هي اقدم الاقوام التي سكنت أربيل والتسمية المتداولة عندهم كانت (خورلير) أي (معبد الشمس) ثم اصبحت تلفظ بـ (هولير)، لانه في اللهجة الهورمانية (وهي اقدم اللهجات الكردية) يصبح (الخاء) (هاء)، ومن هنا كانت التسمية المتداولة لها عند الاكراد (هەولێر).

بذلك فإن (خورلير) هي اقدم من تسمية (اوربيلم) السومرية و(اربائيلو) الاشورية و(أربيرا) الفارسية القديمة و(أربيلا) أو (أربيلا) اليونانية والرومانية، وبمجيء الاسلام سميت (أربيلا) أو (اربلا) بـ(أربيل) أو (أربل) والتي تستخدم الان في نطاقها الرسمي فقط.

ولقد كانت أربيل دوماً ومازالت مركزاً هاماً في المنطقة لوقوعها في منتصف المسافة بين الزابين مما جعلها ملتقى لطرق القوافل على مر التاريخ.

ولقد عايشت أربيل المدينة والمنطقة عصوراً مختلفة وحضارات مختلفة وممالك مختلفة وامبراطوريات مختلفة.. وفي الإمكان تقسيم كل ذلك بإيجاز شديد لأننا بالطبع لا يمكن لنا أن نضيف إلى ماكتب عن هذه المدينة.

## أ ـ فترة ما قبل ظهور المسيحية:

في عام ٢٥٠٠ ق.م. فتح سرجون الأكدي أربيل للاستيلاء على طريق الموارد والتي كانت تأتي من الشمال إلى الوسط والجنوب وضمها إلى فتوحاته المتعددة.

وفي سنة ٢٠٠٠ ق.م. استقر في أربيل أحد الأقوام النازحة من جنوب

بلاد الرافدين من البابليين والآشوريين إضافة إلى الموجة الآرية الأولى النازحة من شمال بحر قزوين.

وقد اعتبرت مدينة أربيل ثاني أهم مدينة آشورية بعد نينوي حيث أقيم فيها معبد للآلهة أو للإله عشتار آلهة الحرب والنصر، ومعبد آخر للإله الخاص بالمدينة (شربل) حيث كان لكل مدينة إله خاص حسب العقيدة السائدة حينئذ.

في عام ٥٥٢ ق.م. ظهر كورش الفارسي حيث قام بالسيطرة على أربيل ضمن المناطق الواسعة الخاضعة لحكمه.

وفي عام ٣٣٦ ق.م. ظهر على المسرح الاسكندر الأكبر حيث اتجه بجيشه صوب الشرق إلى بلاد فارس لغزوها ومن ثم السيطرة على العالم بأسره، وعند أربيل دارت معركة ضخمة بينه وبين داريوس الفارسي عام ٣٣٣ ق.م. وسميت بمعركة اربيلا حيث انتصر فيها الاسكندر الأكبر وكانت تلك المعركة المرتبطة بأربيل حاسمة في تاريخ الاسكندر الأكبر بل وترتب عليها اندثار أكبر امبراطورية في الشرق حينئذ وهي الامبراطورية الفارسية.

وبعد وفاة الاسكندر الأكبر وتقسيم امبراطوريته بين قواده وقعت أربيل ضمن حصة القائد سلوفس عام ٣١١ ق.م.

## ب ـ ظهور المسيحية:

مع بدايات المسيحية تعرض أبجر الخامس ملك أورهاي وصريب (منطقة أربيل) لمرض وجاء إليه تلميذان للمسيح لمداواته وكانا أول من بشر بالمسيحية في المنطقة.

وفي فترة انتشار المسيحية وما بعدها أصبحت لأربيل أهمية معينة فقد تأسست بها أسقفية سميت بأسقفية صريب أو أسقفية أربيل.

وفي بداية القرن الخامس الميلادي صارت أربيل بطريركية ترجع إليها مناطق واسعة.

وتوجد وثيقة تاريخية هامة تتعرض لأهمية أربيل في تاريخ بلاد الشام الديني قبل الإسلام، وتتناول هذه الوثيقة تاريخ أساقفة وشهداء هذه الأسقفية في العهد الواقع بين عامي ٥٤٠ ـ ٥٥١ م. ولقد اشتهر في هذه الفترة رفبخت النصراني الأربيلي الذي أنقذ جيش الفرثيين من الهزيمة أمام البرابرة في منطقة آذربيجان.

وفي هذه الفترة نجح الجيش الروماني في عبور نهر دجلة وبعد مقاومة سقطت المدن تباعاً ومنها أربيل حيث أضيف هذا الإقليم إلى الامبراطورية الرومانية.

## جـ ـ ظهور الإسلام:

في عام ١٦ هـ وفي زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فتح عقبة بن فرقد السلمي مدينة الموصل ثم من بعدها فتح مدينة أربيل ثم شهرزور إلى أن وصل إلى آذربيجان.

لم يظهر لأربيل أي شأن سياسي طوال العصر الأموي إلا أنه بالقرب منها وقعت المعركة الفاصلة بين العباسيين والأمويين والتي قتل فيها الخليفة الأموي مروان بن محمد وعرفت بمعركة الزاب حيث كانت نهاية الدولة الأموية.

وقد ورد ذكر أربيل فيما بعد في كتب التاريخ وفي أواخر العصر العباسي وقد ذكرها ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) في مجال ذكر بعض الصراعات الكردية.

ومن المعالم الأثرية الإسلامية في أربيل المنارة (المئذنة) المظفرية والتي ترجع إلى بانيها السلطان مظفر الدين كوكبري، وهو كما جاء ذكره في (وفيات الأعيان) لابن خلكان صاحب أربيل المولود في ٥٤٩ هـ، وقد أسس مدرسة أسماها (المدرسة المظفرية) تعلم فيها والد المؤرخ الشهير ابن خلكان وعاش في زمانه ابن المستوفي والذي كان وزيراً عنده وألف ٤ مجلدات عن تاريخ أربيل لكنها ضاعت.

وقد وصف ياقوت الحموي مدينة أربيل في كتابه معجم البلدان بأنها (أربيل قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط وبقلعتها خندق عميق وهي في طرف من المدينة، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة، وفي ربض هذه القلعة مدينة كبيرة عريضة قام بعمارتها وبناء سورها وعمارة أسواقها وقيسرياتها الأمير مظفر الدين وأن أهلها أكراد).

## يوميات الزيارة

١٩٩٩/٥/٢٠ اتصل بي من دمشق الأخ عمر بوتاني مسئول مكتب العلاقات العربية بالحزب الديمقراطي الكردستاني ليخبرني بإمكاني القيام بالزيارة في أي وقت حيث أن السلطات الأمنية السورية قد وافقت على مروري عبر الأراضي السورية إلى كردستان العراق.. طلبت تأجيل الزيارة نظراً للمرض الشديد المفاجيء لأخي والذي ألزمه الفراش بالمستشفى ويتطلب الأمر وجودي إلى جواره.

١٩٩٩/٦/١٤ اتصلت بالأخ عمر لأخبره بأنني مهيأ للسفر فقد انتقل أخي إلى رحمة الله يوم ١٩٩٩/٦/٣ ولا يوجد أي مانع حالياً بالنسبة لي.

١٩٩٩/٦/١٧ غادرت القاهرة إلى دمشق وأمضيت الليلة في أحد الفنادق.

١٩٩٩/٦/١٨ غادرت دمشق بالطائرة برفقة الأخ عمر إلي القامشلي ومنها إلى نقطة الحدود السورية مع كردستان العراق على نهر دجلة ورافقنا الأخ محمود گرگري مسؤول مكتب الحزب الديمقراطي الكردستاني في القامشلي حتى نقطة الحدود وإنهاء الإجراءات

الأمنية السورية.

بعدها تم عبور نهر دجلة بقارب بخاري وفوجئت بحرارة الاستقبال وكان هناك وفد كبير من المسئولين في محافظة دهوك في الانتظار.

تم التوجه إلى مدينة دهوك بالسيارات وإلى دار الدكتور شوكت بامرني حيث كان في الانتظار الأستاذ محسن دزه يي الممثل الخاص للرئيس مسعود البارزاني وتم تناول طعام الغذاء معه.

بعدها تم التوجه إلى مقر الإقامة في دار الضيافة بمصيف صلاح الدين، وذلك من خلال طريق جبلي في أكثر المناطق وعورة بكردستان العراق.. زاويتا.. الشيخان.. عقرة.. شقلاوه.. صلاح الدين.

١٩٩٩/٦/١٩ توجهت صباحاً إلى مديرية الثقافة بالمحافظة وبعدها عدت إلى مقر الإقامة للقاء الأستاذ سعد عبد الله مسئول فرع الحزب الديمقراطي الكردستاني بأربيل وتم الاتفاق على تنظيم محاضرة في مقر الحزب في موضوع (العلاقات العربية الكردية الواقع والآفاق المستقبلية) بأربيل.

مساءاً حضر إلى دار الضيافة للترحيب الدكتور سعدي البرزنجي عميد كلية القانون والسياسة جامعة صلاح الدين والدكتور حميد ئاكرەیی وزير الاتصالات والأخ عمر بوتاني والأخ غازي الزيباري.

١٩٩٩/٦/٢٠ صباحاً لقاء بمقر رئاسة الحكومة مع الدكتور رۆژ نوري

شاويس رئيس حكومة اقليم كردستان العراق.
الساعة ١٢,٣٠ لقاء مع الأخ مسعود البارزاني في مقر إقامته بـ(سەرى بلند) بمصيف صلاح الدين وتم تناول طعام الغذاء معه وعلى مائدته.
في المساء تم تلبيه الدعوة على العشاء في منزل الأستاذ فاضل ميراني وزير الداخلية ومع أسرته.

١٩٩٩/٦/٢١ زيارة الأستاذ محسن دزەيى في منزله وبعدها لقاء في وزارة الزراعة والري مع الدكتور حميد ئاكرەيى وزير الزراعة بالوكالة والعاملين بالوزارة.
بعدها زيارة مؤسسة گولان الإعلامية وتم إجراء حوار لمجلة گولان العربية وفي المساء تم لقاء مع بعض الأصدقاء القدامى في نادي الحقوقيين.

١٩٩٩/٦/٢٢ جولة في أسواق المدينة للإطلاع على حالة الأسواق مع الأستاذ هشام بدران المذيع بإذاعة وتليفزيون أربيل. بعدها تم القيام بزيارة قصيرة لمبنى الإذاعة والتليفزيون.
مساءاً زيارة للأستاذ جودت أحمد ناجي في منزله.

١٩٩٩/٦/٢٣ زيارة وزارة الداخلية والالتقاء بالأستاذ فاضل ميراني وزير الداخلية بعدها زيارة إلى كلية الشرطة والإطلاع على كافة الأمور المتعلقة بها.
زيارة ديوان محافظة أربيل ولقاء مع نائب المحافظ وهو رئيس اتحاد أدباء أربيل وتم الاتفاق على عقد لقاء ثقافي مع أعضاء

اتحاد أدباء أربيل يوم ٩٩/٦/٢٥ مساءاً.

مساءاً إلقاء محاضرة أعقبها حوارات من الحضور وذلك في مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني في أربيل.. بعدها دعوة على العشاء من قبل مسئول الحزب.

١٩٩٩/٦/٢٤ زيارة الأستاذ عزيز محمد الشخصية الكردية المرموقة والأمين العام السابق للحزب الشيوعي العراقي في داره.

زيارة مقر مديرية الشرطة العامة في أربيل.

مساءاً لقاء تليفزيوني على الهواء في تليفزيون گولآن ثم لقاء مع الأستاذ فلك الدين كاكەيى وزير الثقافة.. ثم حديث لصحيفة خەبات الأسبوعية العربية لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني.

١٩٩٩/٦/٢٥ سفرة سياحية إلى مصايف الشمال العراقي في محافظة أربيل گلي علي بگ.. بێخاڵ.. رواندوز.. حرير.

دعوة على الغذاء في منزل الأستاذ محسن دزەيي وفي حضور مجموعة كبيرة من الأخوة منهم: الأستاذ جودت ناجي.. وزير الصناعة.. وآخرين.

لقاء مع الأستاذ أزاد برواري عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني..

مساءاً لقاء مع اتحاد أدباء أربيل في نادي الحقوقيين.

١٩٩٩/٦/٢٦ حضور الاحتفال المركزي بالمولد النبوي الشريف في مسجد الشيخ چۆلى في أربيل.

السفر إلى مدينة دهوك.. في الطريق التوقف في منطقة كوّرِيَ ومشاهدة الدبابات المحطمة والخاصة بقوات الحرس الجمهوري العراقي.. والتوقف في مضيف عربي للرعاة العرب في منطقة زاويتا وقد تصادف وجود مدير الناحية وفريق طبي بيطري.

استراحة في فندق (سوّلاف) بعد الغذاء.

حديث لمحطة تليفزيون دهوك.

لقاء في مقر اتحاد أدباء دهوك.

لقاء مع تناول العشاء مع محافظ دهوك الأستاذ عبد العزيز طيب في دار الضيافة أعلى سد دهوك.

١٩٩٩/٦/٢٧ سفرة سياحية في مصايف الشمال الكردي العراقي بمحافظة دهوك في سرسنك.. العمادية.. سوّلاف.. شارك في هذه السفرة الدكتور عبد الفتاح على يحيي عميد كلية الآداب جامعة دهوك.. وصباح عقراوي من رجال الأعمال الأكراد ويحمل الجنسية الأمريكية وآخرين.. تناول الغذاء في سرسنك.. جولة في أسواق دهوك..

مساءاً لقاء جماهيري موسع حضره لا يقل عن ٢٠٠٠ شخص وقد أدار هذا اللقاء الأستاذ تيلي أمين معاون محافظ دهوك.

حضور عرس كردي وبعدها تناول العشاء في نادي جامعة دهوك.

١٩٩٩/٦/٢٨ زيارة جامعة دهوك.. الفندق الجديد.. الأسواق المركزية الجديدة.. جولة في أسواق دهوك.. التوجه إلى المعبر الحدودي

على نهر دجلة. كان في الوداع الدكتور شوكت بامرني..
الدكتور عبد الفتاح يحيي.. الأستاذ تيلي أمين.. الأستاذ
صباح عقراوي وآخرين.
الوصول إلى القامشلي برفقة الأخ محمود گرگري.
مساءاً دعوة على العشاء على مائدة الأستاذ نذير مصطفى
المحامي سكرتير الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا وبحضور
الأستاذ سعود الملا عضو المكتب السياسي للحزب والأستاذ
عمر بوتاني والأستاذ محمود گرگري.

١٩٩٩/٦/٢٩ السفر بالطائرة إلى دمشق ثم المبيت في دمشق والسفر
صباح اليوم التالي إلى القاهرة.

# مشاهدات اللحظة الأولى

## أولاً: الطريق إلى صلاح الدين:

في الطريق من مدينة القامشلي إلى نقطة العبور وفي سيارة الأخ محمود گرگري مسؤول الحزب الديمقراطي الكردستاني في القامشلي كنا نتجاوز باصات محملة بعائلات عراقية.. الأغلبية كردية والأقلية عربية.. الرؤوس تنظر من خلف زجاج الباص إلى المشاهد المختلفة على الطريق.. بعض تلك الرؤوس لأطفال ربما ولدوا في بلاد المهجر وتلك هي المرة الأولى التي ستكتحل فيها عيونهم بأرض الوطن.. هؤلاء جميعاً أتوا من أوروبا.. من إيطاليا.. من ألمانيا.. من السويد.. هاجروا إليها هرباً من قسوة الظروف.. في الأغلب خلال الهجرة المليونية عام ١٩٩١ عندما اجتاحت قوات الحرس الجمهوري العراقي المدن الثلاثة في أربيل والسليمانية ودهوك وأخمدت انتفاضة أهلها بوحشية وتمثل لأذهان الجميع ما مر في حياتهم من بشاعات الصراع في المنطقة الشمالية.. أحداث حلبجة وأنفال والقصف بالغازات السامة وهدم القرى وحرق الزروع والطائرات المروحية التي تجوب السماء باحثة عن صيد تقصفه في سيارة شردت عن الطريق أو راعي غنم مسكين.

أمام هذه المشاهد الدرامية كانت الهجرة المليونية إلى الجبال وكانت

المشاهد المفجعة التي رآها العالم.. هؤلاء اللائذون إلى قساوة الجبال وسط الثلوج وبرك الماء والطين هرباً من قساوة البشر الذين يطاردونهم بأسلحة الفتك والدمار.. ومن هؤلاء من تمكن من اللجوء إلى إحدى الدول الأوروبية التي قبلته لاجئاً هناك.. وهناك استقر بأسرته وكبر الأبناء.. بل وأنجب أطفالاً من جديد.. ودب حنين الوطن في صدره فدفعه إلى الوطن كي يشاهده ويعيش فيه ويتنسم هوائه ويجالس الأهل والأحباب ويتعرف على شئون الوطن هل أصبح صالحاً لاستقباله واحتضانه مواطناً من جديد أم مازال هناك وقت أمامه لابد أن يعيشه في بلاد الغربة.

كما قلت.. الأغلبية من الأكراد.. ييممون وجوههم شطر مدنهم يعيشون أياماً مع أحبابهم يحملون إليهم الهدايا من بلاد المهجر ويتركون مبلغاً من المال في يد أم عجوز أو شقيق مريض أو قريب لم يتمكن من الإفلات والظفر بحماية بلد في المهجر.. أما الأقلية العربية.. فهي في الغالب تنتمي إلى أحدى المدن العربية وتلك الأقلية العربية هناك استحالة في الذهاب إلى مدنها العربية داخل العراق، لأن أمن الحكومة العراقية لهؤلاء بالمرصاد.. يعلم الأهل بطريقة أو بأخرى بموعد وصول هؤلاء الأحباب فيذهبون إلى إحدى المدن الكردية ويقيمون معهم طوال أجازتهم حتى يعودون من حيث أتوا فيعودون هم أيضاً إلى مدينتهم العربية.

هذا المنفذ من دمشق إلى القامشلي إلى معبر دجلة هو أهم المنافذ على الإطلاق للعبور الإنساني فالمنطقة الكردية منافذها على العالم محددة:

إما من تركيا أو سوريا أو إيران أو العراق..

بالنسبة لتركيا وسوريا فإن المنفذ منهما يقع في منطقة سيطرة الحزب

الديمقراطي الكردستاني.. المنفذ التركي يقع عند منطقة ابراهيم الخليل وهذه المنطقة هي المنفذ الطبيعي لأغلب واردات المنطقة الكردية بل والعراق بأكمله من السلع والبضائع بل هي منفذاً هاماً لتهريب النفط العراقي بعيداً عن سيطرة عيون الأمم المتحدة. وهذا المعبر يصعب أن يكون معبراً إنسانياً للإجراءات الصارمة التي تفرضها السلطات التركية على العابرين ولظروف حزب العمال الكردستاني التركي (P.K.K).

أما بالنسبة للمنفذ السوري فهو من دمشق إلى القامشلي ثم إلى نقطة عبور نهر دجلة في منطقة فيش خابور.

أما المنفذ الإيراني فهو خاضع لسيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني وهو منفذ صعب اجتيازه فضلاً عن بُعد المسافة المطلوب قطعها إلى طهران ثم بالطريق البري من طهران إلى الحدود الكردية العراقية.

أما المنفذ العربي العراقي فهو قاصر فقط على التحرك الداخلي للأكراد أو العرب من وإلى المنطقة الكردية.. أما من الخارج فمستحيل..!!

لذلك يظل منفذ القامشلي ـ فيش خابور ـ من خلال الأراضي السورية هو أهم المنافذ على الإطلاق إن لم يكن هو المنفذ الوحيد على وجه التقريب.

وحتى يتم العبور ومن ثم العودة من جديد لابد من استحصال موافقة أمنية مسبقة من السلطات الأمنية السورية.. ونتيجة لذلك فإن مكتب الحزب الديمقراطي الكردستاني في القامشلي تحول إلى ما يشبه القنصلية وأصبح من الأمور المعتادة أن يتجمع أمامه ومن الصباح الباكر أعداداً غفيرة من المواطنين ومعهم حقائب السفر في انتظار استحصال الموافقات الأمنية.. ونفس الحال بالنسبة لمكتب الحزب في دمشق.

على الطريق كانت آبار النفط تتناثر داخل الأراضي السورية في محافظة الحسكة.. أمر عجيب!! النفط السوري رغم ضآلته لا يوجد إلا في المنطقة الكردية السورية...!!..

كانت الساعة الواحدة ظهراً عندما وصلنا إلى النقطة الأمنية السورية والمشرفة على شاطيء دجلة.. العائلات العراقية (كردية وعربية) تفترش الأرض أو تجلس على الحقائب يكاد الدم يتفجر من خدود الأطفال الذين أتوا حديثاً من شمال أوروبا ليجدوا هذه الشمس الحارة، أزياء الأطفال بالذات ثم البنات والنساء من الواضح تماماً أنها أحدث ما في أوروبا.. العيون تعبر نهر دجلة حيث أرض الوطن والشوق يتأجج في القلوب.. هناك عند مرمى البصر يقبع الوطن الغالي الذي قست عليه الأيام وقست عليهم معه ولم يكن هناك من مفر سوى ترك الوطن والهجرة إلى بلاد أجنبية يحترم فيها الإنسان..كلمات حبيسة في الصدور تسأل عن حال الوطن وحال الأهل والأحباب.. الوقت يمر متثاقلاً والآذان تنتظر سماع الاسم مصحوباً بالإذن في العبور.

اللنش البخاري يأتي صوته واضحاً وهو يخترق مياه نهر دجلة الضحلة في قوس مرسوم حتى لا يصطدم بأي صخرة.. فالمياه ضحلة خصوصاً هذا العام.. والصخور تتخللها وتشكل مخاطر على اللنش إن لم يكن الملاح ماهراً.. وقد خصص الحزب الديمقراطي الكردستاني لنشين لنقل المواطنين من سوريا إلى كردستان العراق والعكس.

على الجانب الآخر كانت هناك جمهرة أخرى من المواطنين انتهت أجازتهم في أرض الوطن.. وها هم يستعدون للرحيل من جديد إلى أرض المهجر..

وما أطفأت أيام الأجازة شوقاً في صدورهم.. أقدامهم متثاقلة لا تكاد تقبل مغادرة أرض الوطن بسهولة.. ولكن لا بد من الرحيل فمصالحهم هناك في أقصى شمال أوروپا..

هؤلاء يمر بهم الوقت سريعاً فما أسرع لحظات الفراق!!..

وعبرت نهر دجلة أنا والصديق عمر بوتاني في اللنش.. لاحظت وسط النهر وجود قطعة حديدية ضخمة أشبه بجزء من معدة ميكانيكية مدمرة أو لعلها ملقاة هكذا لتحدد الفاصل الحدودي بين سوريا والعراق في منتصف نهر دجلة.. ووطأت قدماي أرض كردستان العراق وكان في استقبالي عند المعبر في حفاوة بالغة وفداً كردياً رفيع المستوى..

وفي الطريق من المعبر إلى مدينة دهوك لاحظت مبنى يقف وحيداً وسألت ماهذا..؟.. قالوا لي هذه محطة تقوية ضخ النفط في خط البترول المار إلى تركيا.. هذه المحطة تابعة للحكومة العراقية ولها في المحطة فنيون ومهندسون لتشغيلها وصيانتها.. وسألت لكن هذه المحطة في حراسة من..؟.. قالوا لي أنها في حراسة قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني (الپيشمەرگه).. معنى هذا أن هناك تنسيقاً بين الحكومة المركزية في بغداد والأحزاب الكردية في بعض الأمور.. وجاءت الإجابة بالطبع نعم.. هناك أمور عديدة تتطلب التنسيق.. مثل عبور النفط من كركوك إلى تركيا عبر أراضي المنطقة.. ومثل الواردات التي تصل من تركيا إلي العراق عبر المنطقة الكردية وأمور أخرى.. وتذكرت الزيارة التي قام بها السيد طارق عزيز إلى تركيا والتي تمت عبر هذه المنطقة وبتنسيق وترتيب مسبق.

ولاحظت خياماً عربية على الطريق وسألت فقالوا لي إنهم الرعاة العرب

الذين دعاهم كاكا مسعود إلى المنطقة.

ومن دهوك إلى صلاح الدين عبر طريق جبلي وعر لم أطرقه في السنوات الماضيـة.. كان الطريق في السابق يمر من أربيل إلى مدينة الموصل ومنها إلى دهوك أمـا الآن فـلابد أن يمر الطريـق بمناطق تحت السـيطرة الكـردية الكاملة وهو في هذه الحالة يمر في أكثر المناطق وعورة في كردستان.. من دهوك إلى عقره إلى شقلاوة إلى صلاح الدين ثم أربيل.

كـانت الخيـام العربيـة موجودة على نفس الطريق وفي السهـول المتـخللة لتلك الجبال،، وعن هؤلاء العرب هناك حديث آخر.

## ثانياً: صلاح الدين وأربيل:

وصلت مسـاء الجمعـة ١٩٩٩/٦/١٨ إلى دار الضـيافـة بمصيف صـلاح الدين..

مصيف صلاح الدين هو المقر الرسمي للأخ مسعود البارزاني وهو أيضـاً مـقر المكتب السـيـاسي للحزب الديمقراطي الكردسـتـاني فـي حين أن مـقـر حكومة إقليم كردستان العراق وبرلمانها في أربيل.. وكانت تلك نقطة توقفت عندها وكانت مجالاً لحوارات سأعرضها في حينه.

فالحزب في الجبل أما الإدارة ففي المدينة..!!

الليلة الأولى أمضيتـهـا في دار الضيافـة وأنا في شوق بالغ إلى أربيل.. (المدينة.. والناس).. منطقـة مـصـيف صـلاح الدين تـتبع إدارياً مـحـافظة أربيـل.. إلا أن مـدينة أربيل ذاتهـا بالنسـبـة لي أمـر آخـر.. أعـز سنوات شـبابي.. وصلتـهـا عـام ١٩٧٩ ولـدي من العـمـر ٣٦ عـامـاً وغـادرتها عـام

١٩٨٨ وعمري ٤٥ عاماً.. هي أيام الطفولة لقرتي عيوننا محمد ومنى.. أربيل ذكريات الشباب.. أربيل.. سنوات الشهد والدموع..

الشهد في مشاعر الحب المتدفقة التي كانت تحيطني في أي مكان.. بيوت الأحباب والزيارات المتبادلة.. في فصل الصيف تكون الجلسة في الحديقة..كل شيء مرتب لاستقبال الضيوف أو الخطّار كما يقولون.. تليفزيون الحديقة.. المروحة الهوائية الخاصة بالحديقة.. الكراسي.. المناضد.. ثم كل ترتيبات الضيافة التي لها صفة القداسة حيث يجب أن تتم سواء كان المضيف غنياً أم فقيراً. يقدم الماء أولاً أو اللبن.. ثم المياه الغازية.. ثم الكيك ومعه الشاي.. ثم الفواكه.. ثم في النهاية حبوب التسالي من الفستق والفول السوداني واللب وغير ذلك.. وفي الشتاء تتم نفس الترتيبات ولكن داخل البيت الذي يُفرش من الحائط للحائط بفرش الأرضيات والذي يتباين بين الأغنياء والفقراء.. من بلاستيكي رخيص إلى سجاجيد فاخرة.. والتدفئة أيضاً تتباين من تكييف هواء ومدافيء زيتية إلى مدافيء نفطية.. تخلع الأحذية عند الباب.. وإكراماً للضيف يقوم المضيف بتعديل وضع الأحذية بنفسه.. ولا يوجد ما هو أنظف من البيت الكردي... والشهد أيضاً في أن الإنسان لم يعرف ضيقاً مادياً في أي يوم من الأيام.. كان يشتري كل شيء وأبداً لم يكن الأولاد في حاجة إلى شيء وحرموا منه بل كانوا دائماً من حيث الملابس والهندام أفضل بكثير من ابناء البلد.. لذلك كانت لهم مكانتهم الخاصة في المدرسة ومن قبلها في الروضة والحضانة.. بعض الأصدقاء رأوا في سلوكي اسرافاً يستحق اللوم.. وكنت أسعد بذلك.. فبهذا احترمني الجميع.

أما الدموع فكانت في ليل أربيل.. بين ليلة وأخرى نجد فجأة أن السماء وقد اشتعلت بطلقات الرصاص كأن طاقة من جهنم قد فتحت.. من يطلق الرصاص..؟.. لا أحد يدري.. ضد من..؟.. أيضاً لا أحد يدري.. كنا نجلس إلى جوار قرتي عيوننا محمد ومنى نحكي لهما الحكايات ونطمئنهما.. لا شيء.. إنها تدريبات في معسكر المدينة.. في الوقت الذي كنت أنا وزوجتي فيه في حاجة إلى من يدخل الطمأنينة إلي قلبينا.. وفي الصباح كنا نسأل.. ما هذا الذي جرى في الليلة السابقة؟.. ولا نجد إجابة من أحد.. لأنه ويا للعجب ما من أحد سألناه إلا وكانت إجابته: في هذه الليلة بالذات أصيب بصداع ودخل فراشه مبكراً.. ثم يسألنا نحن ماذا سمعتم ورأيتم..؟.. واكتشفنا أننا وحدنا في كل أربيل الذي كان مستيقظاً وشاهد وسمع أما كل أربيل فكان أهلها جميعاً في سبات عميق.. أحد الأصدقاء الأعزاء همس لي ضاحكاً.. وأنت أيضاً لابد أن تكون نائماً.. أليس كذلك؟.. وفي السنوات الأخيرة للحرب العراقية الإيرانية عندما تحولت تلك الحرب إلى حرب مجنونة عبثية تقصف المدن وتروع الآمنين.. وكل إنسان وقدره!!.. كانت الطائرة الإيرانية تأتي مع أول ضوء للصباح.. في هذه الفترة بالذات يكون الوقت بالنسبة لنا في منتهى الضيق.. نعد محمد ومنى للذهاب للمدرسة.. وأنا وزوجتي كل منا يعد نفسه للذهاب إلى عمله ولا توجد فرصة واحدة لالتقاط الأنفاس.. وفجأة نستمع إلى أزيز الطائرة يأتي من بعيد ثم صوت صافرة الإنذار الكريه الكئيب الذي يشبه نعيق الغراب.. أو نسمع الصوتين معاً أزيز الطائرة وصافرة الإنذار.. أو تسبق الصافرة صوت الطائرة بثوان..

ونبحث عن مكان في الدار نختبيء فيه.. نصحونا أن نقف وظهرنا للحائط أسفل أي عمود خرساني فنقف ونحن نتمتم بالأدعية وأسمع صوت محمد وهو يتلو المعوذتين. ويشق الجو صوت الدفاعات الأرضية والصواريخ ويرتج المنزل من حولنا ونسمع أصوات إنفجارات من على بُعد.

ومما زاد الطين بلّه كما يقولون أنهم أقاموا وحدة للدفاع الجوي على سطح مبنى الدواجن المجاور لداري وكان صوت طلقات تلك الوحدة أعلى بكثير من صوت الغارة الجوية ذاتها.

لقد كان حظنا السعيد أو التعس أن قرية الدواجن هي أول شيء في أربيل للقادم من جهة إيران فكنا أول من يلتقي بالغارة الجوية وآخر من يودعها..

كنا نداعب بعضنا درءاً للخوف.. هذا الطيار الإيراني يصلي الفجر حاضراً ثم يتوكل على الله ويتوجه إلى أربيل ليقصف بيوتها ويدكها على رؤوس أهلها الآمنين..!!

وكان الأحباب في ذلك الحين.. يعنفوننا لماذا أنتم باقين هكذا في أربيل في ظل هذه الظروف.. وفي نبرة حماس مفاجيء أعرف نبل دوافعها يقول أحدهم: ألا يوجد لديكم ما تأكلونه في مصر.. وكانوا يقسمون لو أن لديهم جوازات سفر كتلك التي لدينا لغادروا فوراً.. وكنا نقول نحن ننتظر حتى تنتهي السنة الدراسية ونسافر وكان الجميع لا يجد في هذا عذراً يستحق المخاطرة بالحياة بأسرها.. فالوقت كان في ربيع ١٩٨٨ وكنا نعد الأيام يوماً بيوم بل ساعة بساعة.. وفعلاً مع انتهاء السنة الدراسية واجتياز محمد الصف السادس الابتدائي بتفوق حيث كان من العشرة الأوائل على المحافظة

بدأت إجراءاتنا للرحيل.. والعجيب أنه مع الرحيل كانت الحرب العراقية الإيرانية قد توقفت..!!

ومساء السفر أمضينا الليلة في دار الأخ تحسين واجتمع بنا الأصدقاء الأعزاء في احتفال صغير.. وفي الصباح ونحن نضع أغراضنا في التاكسي الذي سيوصلنا إلى بغداد فوجئت بالأبواب تفتح وبكل الجيران في محلة الدواجن يخرجون وغرقت في بحر من الدموع.. بل كنت أسمع بوضوح نحيب البعض.. وعندما سافرت انهمرت علي الرسائل التي تفيض بكل مشاعر الحب والشوق.

أربيل.. تسع سنوات هى أجمل وأنضج سنوات العمر.. الأصدقاء في أربيل. ما أكثرهم.. منذ عامين ومع وصول الأخ عمر بوتاني إلى القاهرة واتصالي به.. تبادلت الرسائل معهم عن طريقه.. كانت سعادتي برسائلهم بالغة فقد كانوا جميعاً يذكرون كل شيء عني وعن زوجتي وعن محمد ومنى.. ويستفسرون عما وصلوا إليه.. العجيب أنهم كانوا يتذكرون تفصيلات دقيقة كنت قد نسيتها تماماً.. في يوم فوجئت برسالة إلى ابنتي منى من السويد راحت كاتبة الرسالة تذكر منى بنفسها: أنا ريزان ابنة محمد محمود الذي كان في الدواجن وكنت معك بالمدرسة وأنا حالياً في كلية كذا بالسويد وأنا مشتاقة إليك وبادلتها ابنتي الرسائل.

محمد أو حمادة الذي ترك أربيل هو والحمد لله قد حصل على بكالوريوس الصيدلة بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف.. أما منى والتي تركت أربيل وهي منقولة إلى الصف السادس الابتدائي فهي الآن عروس جميلة في السنة الثالثة بكلية الصيدلة وينطبق عليها المثل الشعبي المصري

(مايعجبهاش العجب ولا الصيام في رجب!!).

هؤلاء الأصدقاء الأحباب.. فيصل ـ سردار ـ أديب ـ تحسين ـ ثروت ـ دلّدار ـ طلعت ـ زرار ـ رۆژگار ـ أبو كاوه.. وغيرهم.. ترى هل علموا بحضوري..؟ وهل يقبلون أن أصل ولا أتصل بهم وأقابلهم..؟.. أنا أعلم جيداً كم هم عاطفيون..!! هل يقبلون أن أكون على بعد ٣٠ كيلو متر فقط منهم دون أن أتصل بهم وأراهم..؟.

في الصباح أخبرني الأخ غازي الزيباري ـ وهو المسئول عن تنظيم برنامج زيارتي ـ أنه عند الساعة الثانية عشر ظهراً سيحضر إلى دار الضيافة الأستاذ سعد عبد الله مسئول الحزب الديمقراطي الكردستاني بمحافظة أربيل.. نظرت إلى ساعتي كانت التاسعة والنصف.. إذا هناك وقت.. شوق جارف للأصدقاء ولأربيل (المدينة والناس والسوق).. لكن لا توجد تحت يدي أي وسيلة اتصال.. تذكرت الصديق سردار ميران.. ليكن هو نقطة البداية.. هو يعمل في وزارة الثقافة.. اتصلت بوزارة الثقافة فأخبروني أنه في مديرية الثقافة والفنون. اتصلت به في المديرية وبمجرد أن سمع صوتي قال: أنت رجائي.. أهلاً وسهلاً.. ياسبحان الله..!! سردار هذا لم يسمع صوتي منذ عام ١٩٨٨.. أكثر من إحدى عشر عاماً تغيرت خلالها أشياء كثيرة ـ صوتي وصوته.. لكنه وياللعجب!!.. اكتشف صوتي فوراً.

نفس الشيء تكرر فيما بعد.. في مساء اليوم التالي كنت في دعوة على العشاء في منزل الأستاذ فاضل ميراني وزير الداخلية وخابرت من عنده صديقاً قديماً هو الأستاذ علي دزه يي.. وعند أول كلمة نطقتها.. قال: أنت رجائي.. نفس الأمر تكرر مع الأخ العزيزالأستاذ فيصل العساف والأخ

العـزيز الأسـتـاذ دلدار كـردي وكل من خـابرتهم.. هل هي ذاكـرة حديدية انطبعت فـيـهـا بصمة صوتي أم أن لي مكاناً عزيزاً في قلب كل منهم..؟.. ياسـبـحـان الله.. هؤلاء الناس رغم كل مـا لاقـوه من أهـوال فـإنهـم لا ينسون..!!.. وتلك إحدى سمات الشخصية الكردية..

قررت أن أذهب إلى أربيل فمازال هناك وقت...

خرجت بي السيارة تلاحقها سيارة الحماية.. تحركت داخل مصيف صلاح الدين.. ماهذه الشوارع المتسعة النظيفة.. لم تكن أبداً في الماضي هكذا.. التقاطعات كثيرة وبها إشارات مرور ورجال مرور ينظمون.. يرتدون نفس ملابس رجال المرور العراقيين الرصاصية اللون..

البـوابات الأمنيـة مـتعـددة.. وهذا أمـر طبـيـعي فـالمكان به كـبار رجال الإقليم.

وعندما كانت السـيـارة تسـتـعد للالـتفاف يميناً إلى الطريق المنحدر إلى أربيل لاحظت على يساري تمثالاً في إطار حجري اقتربت بعيوني لأجد اسم صاحب التمثال إنه الشاعر الكردي الكبير (هەژار) .

انحـدرنا في الطريق الجـبلي المتـعـرج النازل إلى أربيل.. هو هو نفس الطريق الذي كنا نسلكه صعوداً مع الأصدقاء هرباً من حر أربيل في فصل الصيف أو للاستمتاع بالثلج في جبل صلاح الدين.. الطريق أكثر نظافة واتساعاً.. والحركة عليه أكثر بكثير من ذي قبل..

مـرقت سـيـارة من الاتجـاه المعـاكس من نوع (فـولكس باسـات برازيلي) حمراء اللون ولكن لونها الأحمر قد ضربته أشعة الشمس فأكلته من أماكن كثيرة لتصبح مثل شخص مصاب بالبهاق..

وبعد لحظة مرت سيارة أخرى على نفس الشكل.. سألت فيما بعد فعرفت أن كل هذه السيارات تحتاج إلى صباغة جديدة ولكن الأصباغ غير متوفرة بسبب ظروف الحصار الاقتصادي.

كانت النظرات ترقبني وتكاد تخترق جسدي.. رغم أنها نظرات خاطفة.. كانت تقول: من هذا..؟.. نفس الفضول الكردي تجاه الغريب.. هذا شعب رغم كل شيء، فمازال يحتفظ بأشياء كثيرة في مكونات شخصيته.

تحركت السيارة هابطة في اتجاه أربيل.. النقاط الأمنية الثابتة على الطريق متعددة.. عند إحدى هذه النقاط كانت هناك صورة ضخمة لرجل بالملابس الكردية في إطار حجري ضخم هتفت وأنا على البعد: ها أنذا أخيراً أرى صورة للأخ مسعود البارزاني.. فمنذ أن عبرت نهر دجلة إلى مدينة دهوك ثم إلى مدينة صلاح الدين لم أر صورة واحدة له حتى ولا في دوائر الدولة.. بل أن دار الضيافة بها صورة للزعيم الراحل الملا مصطفى البارزاني ولا توجد صورة واحدة لمن يرأس هذا الإقليم ويتزعمه. ها هي أخيراً صورة له.. واقتربت السيارة وأدرت رأسي يساراً فوجدتها صورة لأحد شهداء الحركة الكردية (مامند خوّشناو) والذي ينتمي إلى هذه القرية (ملا أومر).

وتحركت السيارة وشعر السائق (كاك شريف) بسؤالي حول الصورة فقال: عند كل قرية أو مدينة هناك صورة أو تمثال لشهداء الحركة الكردية الذين ينتمون إلى هذه المدينة أو تلك القرية..

لاحظت أن الأراضي على جانبي الطريق أصبحت أكثر استواءاً وأن بها زراعات منظمة وليس كما كان الحال من قبل.. بالتأكيد هناك يد امتدت

إلى هذه الأراضي بالتسوية.. في الوقت الذي كانت فيه حقول الدواجن متناثرة على الجانبين وتتخلل تلك الأراضي المزروعة.

وظهرت على البعد حقول دواجن أربيل وخفق قلبي بشدة.. فكل شبر في تلك الأراضي له ذكرى.. وبه ذكرى..!!

هذه الحقول كانت هي النواة الأولى للدواجن الحكومية بالمنطقة الشمالية.. كان بها حقول دجاج اللحم الذي كان ينتج ٣ ملايين دجاجة سنوياً والذي انشئت له خصيصاً مجزرة دواجن على أول طريق الموصل.. وكان بها حقول لإنتاج بيض المائدة تنتج ٦٠ مليون بيضة سنوياً.. وكان بها أيضاً معمل للتفريغ ينتج حوالي ٣ مليون كتكوت سنوياً توزع على القطاع الخاص..

دائماً كانت تحدث أزمة في البيض رغم ضخامة الإنتاج خصوصاً في فصل الشتاء وكانت من مسئولياتي تجاه الأصدقاء أن أسعى إلى توفير احتياجاتهم من هذه السلعة .

كنت مسئولاً عن التدريب بالمنشأة لذلك كان يأتيني من حين إلى آخر متدربين من طلبة الجامعات للمشاهدة أو الاطلاع وكنت أعد لهم البرنامج التدريبي وأرافقهم في زيارة الحقول وأتولى الشرح العلمي لهم أحياناً.

ومن الأمور الطريفة التي أذكرها أنه وصلت إلى ديوان المنشأة من معهد المكفوفين بأربيل رسالة تطلب السماح بزيارة عدد من طلبة المعهد لحقول الدواجن للمشاهدة والإطلاع..!! هكذا نصت الرسالة.. وعندما خابرت مديرة المعهد معترضاً على اللفظ وكيف تتم المشاهدة وهم على تلك الظروف الصحية وماذا يستفيد هؤلاء من الزيارة أجابتني: سيلمسون الأشياء بأيديهم.. وقد كان.. وحضر الوفد الطلابي لهذا المعهد وتجولت معهم في

الحقول وتحسسوا البيض بأيديهم..!!.. وأذكر جيداً أنني كنت مخطئاً في الاعتراض وأن مديرة المعهد كانت على حق.

هذه الحقول وغيرها قامت الدولة ببنائها بل وأقدمت على بناء حقول أخرى في أواخر الثمانينات وقامت بتوسعة الحقول القائمة.. وأذكر أنه في عام ١٩٨٦ تم إسناد مسئولية الإعداد لافتتاح المشاريع الجديدة إليّ وخلال فترة قصيرة تم افتتاح العديد من المشاريع الضخمة.. في طق طق ـ والشرقاط ـ وطوزخورماتو ـ ومجزرة دهوك ـ ومشروع دهوك ـ وتوسعات بادوش وكركوك وأربيل.. وما أن انتهى عام ١٩٨٦ وجاء عام ١٩٨٧ حتى بدأت الأحاديث تدور حول أن الدولة منهكة اقتصادياً.. وأنه لا بد من إعادة النظر في العديد من الأمور وفي مقدمتها بيع مشاريع القطاع العام أو القطاع الاشتراكي كما كان يطلق عليه.. وتم بيع هذه الحقول جميعها وتكونت في المنشأة العامة للدواجن الشمالية لجنة أطلق عليها لجنة تصفية الدواجن الشمالية وكان على موظفي الدواجن أن يبحثوا عن أماكن أخرى ينقلون إليها خدماتهم.. ولكنني استثناءاً من كل هؤلاء تم نقل خدماتي إلى مديرية الثقافة الجماهيرية في أربيل وفي نفس الدائرة التي تعمل بها زوجتي..

اقتربت من حقول دواجن أربيل.. وحقول الدواجن تلك هي طلائع ما كان يسمى بمنطقة الدواجن وهي أول شيء في أربيل للقادم من صلاح الدين.. وظهرت دور الدواجن على البُعد.. لقد أقمت في هذه الدور منذ أوائل ١٩٨٣ حتى مغادرتي لأربيل في ١٩٨٨/٨/٢٦ أي أكثر من خمس سنوات كاملة.. طلبت من السائق أن يبطيء من سيره حتى أملأ عيني

بالمكان.. الدور مازالت على نفس الحال الذي تركتها عليه.. صف موازي للطريق من خمسة دور ثم شارع ثم صف عمودي من هذه الدور من كل ناحية.. نفس اللون البيجي الفاتح للدور التي بنيت حديثاً في بداية الثمانينيات.. وكنت أقطن إحداها في حين أن الدور الأقدم مازالت تحمل نفس اللون الأسمنتي.

كما لو كنت قد تركت المكان بالأمس.. الشيء الوحيد الذي بالإمكان ملاحظته هو ارتفاع الأشجار وغلبة الخضرة على المكان..

ها هي داري.. ثالث دار في الصف العمودي الأيمن.. طلبت من السائق التوقف.. الدار الأولى دار كاك رشدي كان موظفاً فنياً بالدواجن حاصل على دبلوم الزراعة وعندما حان وقت استدعائه للخدمة العسكرية في قادسية صدام كما كانوا يقولون.. اختفى كاك رشدي لأيام ثم بعدها وجدته يصل إلى داره بالملابس الكردية وفي وسطه مسدس معلق إلى حزامه الكردي.. في الوقت الذي كان هناك مسلحون أكراد يرافقونه.. عرفت أنه سجل جاش وحسب الوصف الدارج حينئذ فهناك جيش وهناك جيش شعبي (ميليشيات حزب البعث) وهناك جاش (وترجمتها جحوش) وهي ميليشيات كردية متعاونة مع السلطة.. ورغم سوقية اللفظ فإنه كان من الأمور العادية أن يقول فرد ما جواباً على سؤال: ماذا فعلت بشأن استدعاء مواليدك للعسكرية..؟ فيرد: أنا سجلت جاش.. يقولها كأمر عادي تماماً دون أن يحس بأي حرج للفظ.

في مرة كنت في زيارة لوحدة الصيانة بحقول أربيل ووجدت أحد الأصدقاء يأكل حبات شعير خضراء وهو يضحك ويقول: أتدرب لأن

مواليدي سيتم استدعائهم وأنا سأسجل جاش والحمد لله..!!

في الدار الثانية كان كاك ثروت الپشدري هو مهندس زراعي، وكان يشغل مدير حقول دواجن أربيل إلى أن تفرغ زراعياً وكانت علاقتنا به طيبة للغاية به وبزوجته السيدة لميعة المعلمة بالتربية.. وطفلتاه سوزان ورامان..

أما البيت الرابع والذي يلي بيتي فقد كان لكاك عبد الله الذي لم أره على الإطلاق فقد تم أسره في بدايات الحرب العراقية الإيرانية وكان ولده يوسف في حدود العشرين عاماً من العمر يهوى تربية الحمام والطيور ويظل طوال النهار على سطح داره يتابع طيوره ويقعدني من حلو نوم الظهيرة وهو يقذف حماماته التي وقفت على سطح داري بالطوب.

كأنني تركت المكان بالأمس.. كأنني سأرى ابن كاك رشدي.. هندرين.. مازلت أذكر اسمه سيخرج من داره الآن ويقف على أعتاب داري ناظراً إلينا نحاول أن نبعده فلا يبتعد. كأنني في هذه اللحظة سأرى سوزان ابنة كاك ثروت تخرج وتنادي على ابنتي منى ليجلسا على عتبة الدار يتسامران ويلعبان..

هاهي داري.. قالوا لي في رسائلهم أن ساكنها الآن هو كاك سعيد مامند الذي كان يشغل بعض المناصب الإدارية والحسابية بالدواجن.

هاهي داري وها هي تكعيبة العنب لقد غطت كل مدخل الدار.. أذكر جيداً أن الأقلام الأولى لهذا العنب أعطاها لي كاك جلال الذي كان عاملاً للخدمات بالدواجن.. وأذكر أيضاً أن صديقي عمر حسن وكان موظفاً بالدواجن حضر إليّ وساعدني في زراعة الحديقة.. وأذكر أن هذه الحديقة كانت أسوأ حديقة في المنطقة من حيث الاهتمام.. شجرة الخوخ التي زرعتها

ارتفعت كثيراً وكادت تغطي الحديقة بأكملها..

في هذه الحديقة ومن قبلها في حديقة الإسكان أحضرت بذور بعض النباتات المصرية وفي مقدمتها الملوخية والجرجير وزرعتها.. وطبخنا الملوخية وعزمنا بعض الأصدقاء الأكراد عليها.. بعضهم أعجبته والأغلب لم تعجبه.. كانوا في شوق لتذوقها من كثرة ما سمعوا عنها في المسلسلات والأفلام المصرية (عاملة لك ملوخية ها تاكل صوابعك وراها) فقد تصوروا أن الملوخية شيء ضخم فخم مثل القوزي المحشو بالأرز والفستق والجوز واللوز.. هؤلاء فجعوا في الملوخية عندما تذوقوها في داري.. وأذكر أنني حزنت يومها فقد كنت أعتبر أن الملوخية حينئذ شيئاً من مكونات الشخصية المصرية.. إهانتها هو إهانة للشخصية المصرية..!!.

لكن كل هؤلاء الأطفال الذين يملأون الشوارع من أين أتوا ؟.. مع كل تلك الظروف القاسية التي مر بها الأكراد!!.. هل بقيت لديهم مقدرة ورغبة لإنجاب الأطفال..؟ فعملية إنجاب الأطفال في حد ذاتها كما أتصور تحتاج إلى إنسان بلا مشاكل وذهن صافي.. وظروف اقتصادية معقولة يواجه بها كل فم جديد.. عجيب أمر هؤلاء الأكراد.. رغم كل ما يحيط بهم من عوامل إحباط، فلا شيء في ظل كل تلك العوامل يحبطهم عن السير بهمة ونشاط في مجال صناعة إنجاب الأطفال..!!.. عندنا في مصر نقول للدلالة على قسوة الشيء أنه يقطع الخلف!! وهؤلاء مهما كان الأمر قاسي فخلفهم لا ينقطع..!!

ـ نروح يا أستاذ..؟

وجاءني صوت كاك شريف السائق يستأذننا في السير.. فوافقته ولكن

رجوته أن يكون ذلك على مهل.. ها هي مدرسة السيدة خديجة الكبرى بالدواجن خلف داري بالضبط والتي أمضى فيها ولدي محمد الصفوف الست ومنى الصفوف الخمس.. وكنا نتابعهما وهما في الساحة من الشرفة الخلفية للمنزل ومازالت أسماء المدرسات بالمدرسة في ذهني فقد كانوا حينئذ شغلنا الشاغل..

الست بثينة.. الست بلندينا.. الست آواز.. الست أم دێرين.. ماموستا عەولا.. وغيرهم.. كان من الواجبات التي يجب أن أقوم بها أحياناً هو أن أسعى لدى الإدارة لتوفير كميات من البيض لهم.

لكن.. ما هذا السياج الذي يفصل دور الدواجن عن مقر ديوان المنشأة.. بل هناك سياج عالي يحيط بمقر ديوان المنشأة نفسه.. وتأملت المبنى بلونيه المتداخلين الطوبي والبيجي.. الشرفة التي كانت فوق المدخل كان عليها جدارية كبيرة للرئيس صدام حسين حاملاً طفلاً بالملابس الكردية.. الصورة قام برسمها حينئذ أحد موظفي الدواجن (عبد الخالق سرسام) وأزيح الستار عنها في أحد المناسبات.. وما أكثر المناسبات!!.. وأذكر أن ملامح الطفل المنقولة من صورة فوتوغرافية لم يتقن الرسام عملية نقلها فجاءت نظرات الطفل مذعورة.. وكنت أداعب عبد الخالق حينئذ بأن أقول له كأن الطفل يجرون له عملية الختان في هذه اللحظة..!!

الصورة لا أثر لها على الإطلاق واللافتة التي كانت مرفوعة على المبنى (المنشأة العامة للدواجن الشمالية) تم رفعها واستبدلت بلافتة أخرى وزارة شئون الپيشمرگه.. ياسبحان الله من الدواجن إلى الپيشمرگه.. ربما هذا جزء من الفرق بين أربيل ٨٨ و هەولێر ٩٩.

بحثت بعيوني عن المكان الذي كنت أجلس فيه.. الطابق الثالث على اليمين.. خلف هذه النافذة كنت أجلس في قسم التخطيط والمتابعة وكان يشاركني الجلوس فيها منذ البداية إلى النهاية الأخ والصديق العزيز طلعت أغا ـ ثم حضرت وجوه أخرى أذكر منهم الأخوة والأصدقاء ـ عمر حسن ـ أديب شيت ـ عبد الكريم صديق ـ پەروین فەقێ ـ ماجدولين عبد الأحد ـ وايليت.. ترى أي رتبة عسكرية تجلس الآن في تلك الغرفة..؟!

هيا كاك شريف.. انطلق.. وانطلق كاك شريف بالسيارة.. ها هي مباني دور معمل السكاير (الدخان أو التتن) وإلى جوارها المعمل.. داخل هذه الدور توجد مدرسة امتحن فيها ابني محمد في الصف السادس الابتدائي.. بعد معمل السكاير ظهر الحي الصناعي الخاص بالسيارات.. لم يعد مثل السابق دكاكين قليلة متناثرة.. بل أصبح ضخماً وأكثر نظافة من ذي قبل.. بالطبع لابد أن تزداد أهمية مثل هذا المكان.. ففي ظل الظروف الاستثنائية من حصارٍ اقتصادي وغيره فإن عملية إصلاح السيارات تزداد أهميتها.

ورجع بي شريط الذكريات إلى عام ١٩٨٨..

كنا في شهر رمضان وفي مرحلة العد التنازلي للسفر النهائي.. وعند الظهر كنت عائداً من الدائرة مع زوجتي في تاكسي ومع اقترابنا من منطقة الحي الصناعي شعرنا بأن هناك أمر غير عادي قد حدث في هذا المكان.. ثمة دكاكين مهدمة بفعل فاعل.. بعدها عرفت أنه منذ ساعات كان هناك ثلاثة من الجنود العرب قد هبطوا من وحدتهم العسكرية في الجبل بسيارة أحدهم لقضاء أجازتهم وسط ذويهم في مدينتهم العربية.. واحتاجت السيارة لأمر ما من الحي الصناعي وتوقفوا هناك بسياراتهم.. وانطلقت رصاصات

لتقتل هؤلاء.. ما ذنبهم وما علاقة هؤلاء بأي حدث؟ هم أيضاً ضحايا.. وتأتيك الإجابة مكتومة في الصدر أليس هؤلاء أو من على شاكلتهم من شارك في حلبجة وأنفال..؟ ويأتي رجال الأمن العراقي ويهدم كافة الأبنية التي حدث أمامها الحادث وحسب تعليمات بغداد..

على اليسار حي ٧ نيسان.. بالتأكيد لم يبق له نفس الاسم.. لأن الاسم هو تاريخ تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.. حتى عام ١٩٨٨ كانت تلك المنطقة أرضاً خالية قسمتها الدولة حديثاً وبدأت المباني تأخذ طريقها إليها متناثرة أما الآن فقد اكتملت بالكامل ولم يعد فيها شبر واحد خالي دون بناء.. إن كافة الأبنية في هذه المنطقة فاخرة وتنبيء عن مستوى اجتماعي عالي..

أذكر أن الطائرة الهليوكوبتر للرئيس العراقي صدام حسين هبطت ذات يوم في هذه المنطقة وقت أن كانت أرض فضاء وخطب في الجماهير القليلة التي تجمعت على عجل من شرفة أحد المساكن.

على اليمين ها هو مستشفى الأطفال والولادة ثم فندق دياري والذي كان في الثمانينيات يقف وحيداً كأفخم فنادق أربيل.. وكانت شهرته تكمن في أن به المسبح الوحيد في المدينة.. ثم يأتي حي شورش أو الثورة.. أما زال يحمل نفس الاسم؟ لكن أي ثورة هي تلك التي يعنيها اسم الحي..؟.. ها هي محطة البنزين التي كانت وحيدة في أربيل ثم أضيفت إليها محطة أخرى فيما بعد.. مازالت طوابير السيارات تقف لتنتظر دورها في التموين بالبنزين.. لكن ما هي تلك الظاهرة الجديدة التي على أرصفة الطريق من الجانبين؟.. براميل حديدية ضخمة وعبوات بلاستيكية وإلى جوارها يجلس

رجل أو صبي وبخط رديء على أحد البراميل كتبوا بنزين خانه.. وجاءتني الإجابة.. هؤلاء يهربون البنزين من المنطقة العربية إلى المنطقة الكردية.. وهناك عصابات منظمة للقيام بهذا العمل.. على الجانب الكردي الأمر موضع الترحيب لأنه يسهم في توفير سلعة حيوية بشكل أو بآخر.. أما على الجانب العربي فالأمر ممنوع ولكن العصابات تعرف جيداً كيف تسلك طريقها وتشرك معها أفراد من الجهاز الحكومي والأمني العراقي في عمليات التهريب تلك.

المهربون هؤلاء يحققون أرباحاً طائلة وراء هذا الأمر فهم يستفيدون من الفرق بين سعر الدينار المتداول في المنطقة الكردية والآخر المتداول في المنطقة العربية فضلاً عن بيع البنزين بأكثر من سعره في محطات البنزين.

ووصلت السيارة إلى الطريق الدائري الشهير والذي يحيط بأربيل إحاطة السوار بالمعصم والذي يعرف بالطريق الستيني.. فوجئت في مقابلي وعلى الناحية اليمنى مسجد ضخم تحت الإنشاء ترتفع مئذنته ارتفاعاً لم ألاحظه في أي مئذنة في العراق من قبل.. فالطراز المعماري لمآذن العراق يجعلها لا ترتفع كثيراً وإن كان الاهتمام ينصرف إلى تزيينها بالزخارف والنقوش الإسلامية من الفسيفساء زرقاء اللون.. لكن مئذنة هذا المسجد تذكرني بمساجد القاهرة ذات المآذن المرتفعة.. مسجد الفتح أو النور.. قالوا لي أن أحد كبار التجار في المدينة هو الذي بنى هذا المسجد على نفقته.. لقد أعطت له الحكومة الأرض وهو يقوم بالبناء عليها.. وقال لي أحد الخبثاء هذا أمر ليس لوجه الله المسألة عبارة عن حيلة للتهرب الضريبي..!!

ها هي المستشفى الجمهوري على اليمين والسيارة تقطع بنا الطريق في

اتجاه طريق أربيل كركوك حيث مقر مديرية الثقافة والفنون.. في هذه المستشفى أجرينا لابني محمد عملية إزالة اللوزتين على يد أحد أطباء أربيل.. وأذكر جيداً أن العملية والإقامة لم تكلفنا ديناراً واحداً..فيما بعد وفي أواخر عام ١٩٨٦ أجريت عملية جراحية في مستشفى صدام المركزي وكانت الرعاية أكثر من ممتازة ولم أتكلف ديناراً واحداً أيضاً.

على اليسار ها هي الدور التي كانت مخصصة لرجال الحكم الذاتي من الأمناء العامين هي هي كما هي.. خلفها تقبع ما كان يسمى بمنطقة مديراوه وهي المنطقة التي كان يقطنها موظفي الحكم الذاتي من أصحاب المراكز الوسطية. وهذه الدور كنت أزور فيها صديقي الأوفى الأستاذ فتحي معصوم (أبو كاوه) عندما كان يشغل مدير شئون المجلس التنفيذي وله عليّ أفضال كثيرة.. كم ذهبنا إلى داره وتناولنا طعام الغذاء من صنع العزيزة المرحومة أم كاوه.. وكنت أذهب أيضاً لزيارة الصديق العزيز المرحوم عبدالرزاق مرعي حسن.

اكتشفت ملاحظة.. في الماضي كانت تلك الأبنية تقف شامخة ومميزة في المكان بدئاً من فندق دياري إلى مستشفى الأطفال إلى دور الأمناء العامين.. ولكن الآن عليك أن تبحث بعيونك جيداً عن كل منها لأن هناك من الأبنية ما هو أفخم وأضخم وأكثر جمالاً..

ها هو فندق قصر الشمال على اليسار، على ناصية الشارع المؤدي إلى محلة إسكان وهي تلك المنطقة التي بها دار حاجى قادر والتي أقمت بها حوالي ثلاث سنوات قبل أن انتقل إلى دور الدواجن..

ها هو طريق كركوك حيث تقع مديرية الثقافة والإعلام والتي عملت فيها

لنصف عام قبل آن أغادر نهائياً إلى مصر.. دارت السيارة إلى اليسار.. ها هو مبنى الأمانة العامة للشئون الداخلية حيث كنت أزور فيه الصديق العزيزالأستاذ جودت أحمد ناجي وقت أن كان يشغل نائب الأمين العام للشؤون الداخلية.. المبنى حالياً أصبحت تشغله وزارة الداخلية.. أخيراً.. ها هي مديرية الثقافة على اليسار كان اسمها في السابق المديرية العامة للثقافة والفنون.. أما الآن فقد أصبح اسمها المديرية العامة للثقافة والفنون.. تغير لونها من الأبيض إلى اللون الطوبي.. أذكر أن واجهتها كانت مليئة بالشعارات البارزة.. أحد تلك الشعارات مسجلة في خلفية صورة لي مع الصديق رۆژكار (صدام حسين قائدنا في طريق العز). أين تلك الشعارات لا أثر لها على الإطلاق وكأنها لم تكن مكتوبة في يوم من الأيام..

المبنى من الداخل هو هو.. وكأنني تركته فقط بالأمس.. الوجوه تغيرت.. ثمة تعديلات بسيطة حدثت..

استقبلني المدير ودخلت غرفته.. ونظرت إلى المكتب.. على هذا المكتب كان يجلس السيد عبدالرزاق مرعي حسن.. كان من عرب المنطقة ومن إحدى قرى قضاء مخمور التابع لمحافظة أربيل.. والحق يقال أنه.. ساعدني في تعيين زوجتي في الأمانة العامة للثقافة والشباب حيث كان يشغل منصب مسئول أمن الأمانة في ذلك الحين.. وبعد ذلك نشأت بيني وبينه صداقة.. كان عضواً بالمجلس التشريعي (الكارتوني كما يسمونه الاكراد) بالمنطقة وكان يشغل مناصب إدارية وحزبية وأمنية متعددة.

صديقي العزيز هذا انتهت حياته برصاصة في أحداث انتفاضة ١٩٩١

الله بالخير.. جاءتني تحية مدير المكان وحدثني عن نشاط المكان.. وحضر الأخ سردار ميران واحتضنته.. وحضر آخرون.. وآخرون..

وغادرت المكان إلى صلاح الدين.

## امر غريب . .!!
## عرب العراق في جبال كوردستان العراق . .!!

في طريقي من معبر دجلة إلى مدينة دهوك لاحظت خياماً عربية كثيرة متناثرة على جانبي الطريق وعلى مرمى البصر هنا وهناك.. حول كل خيمة من تلك تمرح أغنام كثيرة وهي ترعى الكلأ.. يتابعها راعيها العربي كما يبدو من ملابسه.. وأحياناً نجد راعياً آخر قد أعطى تلك الأغنام ظهره وجلس مع آخر يتسامر أو يلاعبه الدامة دون قلق على أغنامه فالدنيا أمان..!!. أطفال الراعي وصبيانه وبناته يلعبون ويتقافزون في المكان بينما كانت الزوجة تقوم بالأعمال المنزلية المعتادة أمام الخيمة من غسل ملابس ونشرها في الشمس أو طهو طعام أو تنظيف المكان أو غير ذلك.

هذا كله يتم في دعة واطمئنان غير مألوف لمن رأى مثلي تلك المنطقة في ظل ظروف أخرى وزمن آخر..

أمر غريب ولا شك.. تلك الخيام كأنها هكذا منذ سنوات وسنوات على تلك الأرض.. وهذه الأسرة وآلاف من الأسر غيرها.. إئتلفت الأقدام على الأرض وتطبعت النفوس بخصوصيات المنطقة.. كأن تلك الأرض لم تعرف صراعاً في يوم من الأيام.. صراع كان طرفاه: أحدهما ينتمي بشكل أو بآخر

لهؤلاء العرب.. والطرف الآخر أكراد الذين هم نبت من هذه الأرض.. ما أراه الآن يوحي بأن هذا الصراع لم يكن.. أو كأنه كما كانت تقول إحدى العجائز في مصر عندما ترى أخوين يتعاركان: بسيطة.. الأمعاء في بطن الإنسان تتعارك..!!..

فيما بعد وفي أواخر أيام زيارتي.. وفي مصيف سولاف الجبلي الرائع رأيت في أحد المطاعم أربعة رجال خليط من العرب والأكراد.. اثنان يرتديان الملابس الكردية التقليدية والآخران يرتديان الملابس العربية التقليدية الدشداشة والعقال وأمامهم طعام الغذاء.. عندنا في مصر نقول.. بيننا عيش وملح.. وهو أقوى رباط ضد عوادي الزمان..!!.

ما الحكاية..؟.. ما هؤلاء..؟.. ومن أتى بهم إلى هنا..؟.. وكيف..؟.. وكيف يعيشون هكذا في أمن وأمان دون خوف من طلقة طائشة من هنا أو هناك..؟

وجاءتني الإجابة سريعاً:

ـ هؤلاء الرعاة من عرب العراق حضروا بناء على دعوة من كاكا مسعود البارزاني.

ـ ولم..؟

ـ العام كان عام جدب وجفاف.. المطر كان شحيحاً.. والثلج لم يسقط وترتب على ذلك شحة في المراعي ولكن الأمر في المنطقة الكردية أخف قسوة عن المنطقة العربية.. لذلك كانت هناك مراعي.. نعم ليست كأي عام ولكن هناك مرعى وكلأ..

فيما بعد التقيت بأحد الرعاة من عشيرة الدليمي وسألته عن أحوال

المنطقة التي أتى منها فوجدته يميل إلى الأرض ويمسك بقبضة من التراب الجاف قائلاً: كل الأرض عندنا هكذا لا توجد نبتة واحدة.. لولا دعوة الأخ مسعود لصارت لنا مصيبة.. جازاه الله عنا خيراً..

ويستطرد المتحدث قائلاً:

ـ الأخ مسعود وجد أن إخوانه من عرب العراق على أبواب كارثة حقيقية تضاف إلى كوارث الحصار المفروض عليهم ولا بد أن يعمل شيء تجاههم..

هناك جدار ضخم أفرزته أحداث السنوات الأخيرة من المآسي والويلات.. نعم هؤلاء عرب العراق هم أيضاً ضحايا كإخوانهم أكراد العراق ربما بدرجة أقل.. لكنهم يقيناً لم يكونوا أبداً محركو تلك الأحداث والويلات والمآسي.. هذا الفهم قد يكون لمدقق لبواطن الأمور لكن الأمر ربما يكون مختلفاً عند المواطن العادي..

ما العمل..؟

وجاءتني الإجابة:

ـ قام كاكا مسعود بتوجيه دعوة إلى الرعاة من عرب العراق وبالذات من عشيرة شمر والتي ترتبط بوشائج طيبة مع الأكراد.. وجه لهم الدعوة لكي يحضروا إلى كردستان العراق بأغنامهم لترعى في المرعى القليل الذي رزق الله به المنطقة.. وفوراً حضروا بل حضرت أيضاً عشائر أخرى..

لاشك أن القرار الذي اتخذ كان وليد معاناة حقيقية.. فأحداث حلبجة وأنفال والقمع الوحشي للانتفاضة كل ذلك مازال حياً أمام الذهن.. لكن هؤلاء الإخوان من العرب لاشيء على الإطلاق بينهم وبين إخوانهم الأكراد هم حقاً ضحايا ولا دخل لهم في أي شيء مما حدث.. لكن هل يتفهم المواطن

الكردي العادي هذا الأمر..؟.. الكثير له ثأر.. والطائرات التي خرجت لترش المنطقة بالغازات السامة خرجت من جنوب المنطقة الكردية وهؤلاء أيضاً من الجنوب.. كيف يمكن أن يقتنع المواطن العادي البسيط بأن هؤلاء الرعاة لم يكن لهم يد لا من بعيد أو قريب بتلك الطائرات..؟ كيف يمكن ذلك حتى لا يخرج كردي بسيط يفاجيء الجميع منفذاً ثأر أخيه في أحد هؤلاء الرعاة العرب.. أمر صعب ولا شك.. لكن كيف يمكن ترك هؤلاء الإخوان العرب لهذه الكارثة المحققة..؟ وعشيرة شمر بالذات تلك العشيرة التي يحمل عبق التاريخ مواقفها المشرفة تجاه الأكراد.. هل تترك هذه العشيرة هكذا نهباً لهذه الكارثة..؟.. لا والله.. فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط.. وليس منا من بات شبعان وجاره طاو.. نوازع دينية متأصلة في نفس الأخ مسعود جعلته ينهي فوراً لحظة المعاناة تلك ويعرض الفكرة على مستشاريه وأركان حكومته ومن حسن الحظ فإن الجميع كانوا معه على نفس الرأي.. وكانت دعوته تلك.. ياعرب العراق.. مراعي كردستان مفتوحة أمامكم كي ترعى أغنامكم فيها.. ثم توجه بكلامه إلى شعبه من أبناء كردستان العراق:

ـ هؤلاء في ضيافتي وأنا مسئول عنهم وعن سلامتهم.. ومسئول شخصياً عن أي شاة قد تشرد من أي راعي غنم..

وتلقف الجميع من ابناء كردستان العراق النداء.. ولم يحاول أي منهم أن يبحث في ذاكرته عن ثأره بل لعل هذا الثأر قد ذاب وتلاشى..

سبحان الله..!!.. ما أعظم قدرتك يا الله.. وصدقت سبحانك عندما قلت في كتابك العزيز الكريم:

{عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم}

وقولك الحق: {عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً}.

صدقت يا الله.. لقد كان الجفاف خيراً وبركة على المنطقة فيه تحقق هذا التقارب العربي الكردي الذي لم يحدث له مثيلاً من قبل..

ففي غياب هذا التقارب والحب والوئام كانت هناك ممارسات بشعة ولا إنسانية.. كان المطر ينهمر غزيراً وينمو المرعى يانعاً مترعرعاً وفي ظل الكراهية والبغضاء والعنف المستشري تأتي الطائرات كغربان الشؤم وتلقي بأطنان المواد السامة.. لتسمم كل شيء..الماء، الهواء.. والنبات.. وتموت الحياة بأسرها..

أما في ظل المودة والحب والوئام فإن المطر وإن كان قليلاً.. والجدب وإن كان واضحاً.. فإن الله يبارك في القليل ليصبح للجفاف إيجابيات تفوق سلبياته بكثير..

عندما رأيت العرب والأكراد يتناولون الغذاء في مصيف سوّلاف الجبلي.. وعندما التقيت بآخرين بأزيائهم العربية التقليدية عند شلالات گلي علي بگ.. وآخرين في جامعة دهوك.. والكل آمن مطمئن يسير على أرض يظللها السلام بين إخوة كأن لم يكن بينه وبينهم إلا كل ما هو جميل.

عندما رأيت ذلك قفزت إلى ذهني صورة عايشتها بنفسي..

ـ الزمان: أواخر عام ١٩٨٦.

ـ المكان: إشارة مرور تقاطع طريق كركوك أربيل مع الشارع الستيني.

ـ كنت عائداً من زيارة متابعة لحقول دواجن كركوك بناحية يايجي بسيارة المنشأة العامة للدواجن الشمالية وكان معي زميل بالدواجن.. توقفت

السيارة في تلك الإشارة واقترب طفل في ملابس رثة من السيارة وغمغم بكلمات كردية هامسة للسائق وهو يمد يده.. وبسرعه ناوله السائق عملة ورقية.. وسألت السائق: من هذا..؟ قال: الحرس الجمهوري أخذ أباه مع الذين أخذهم من البارزانيين. ولا نعرف أين هم الآن... وراح زميلي يكمل: بعد المعركة الأخيرة مع إيران والتي دارت في جبل (گردەمەند) عادت قوات الحرس الجمهوري وفي طريق عودتها مرت على المجمع الإسكاني في (قوشتپه) والذي يقطنه المرحلون من البارزانيين واقتادوا الرجال جميعاً..

ـ إلى أين؟ هكذا سألت وأجاب:

ـ لا أحد يعرف.. البعض يقول أخذوهم إلى الربع الخالي في أقصى الجنوب وماتوا جوعاً وعطشاً.. والبعض يقول رحلوهم إلى جنوب السودان في ظل العلاقة الطيبة مع جعفر النميري حتى لا تحس بهم الدنيا..

وضحكت ساخراً بيني وبين نفسي فلم أصدق حينئذ حديث السائق ولا الزميل.. هذا هو حالكم دائماً أيها الأخوة الأكراد تخلقون من الحبة قبة.. المبالغة في كل شيء.. بل وأحياناً تخلقون القبة دون أن تكون هناك حبة..!!.. ربع خالي.. وسودان.. ما هذا الكلام..؟!

في نفس اللحظة مرقت إلى جوارنا سيارة نصف نقل يقودها عربي بعقال مخالفاً إشارة المرور التي لم تكن قد أعطت الضوء الأخضر له بعد.. وجدت السائق يسابق زميلي في الهتاف.. أبو العقال وأعقب كل منهما صيحته تلك بكلمات منتقاة مما يحفل بها الفولكلور الكردي من الشتائم.. وصاحوا على شرطي المرور الذي لم يكن ينتظر صياحهم فقد كان يسجل الرقم: اكتب رقم ابو العقال.. الـ.. الـ.. ما الذي أتى بأبو العقال إلى كردستان وأيضاً

يخالف إشارة المرور بها.. ؟!.

في ذلك الحين كانت الصدور موغرة إلى أبعد الحدود من كل ما هو عربي.. وعندما يروا بي ضيقاً كانوا يقولون مالك أنت.. أنت قبطي.. كانت الظروف حينئذ قاسية..

فالحرب العراقية الإيرانية مستمرة مراوحة لمكانها.. ولا أمل في نهاية لها.. هذا الاستمرار يهدد استقرار كل فرد داخل العراق.. استدعاء المواليد مستمر إلى الخدمة العسكرية حتى أن الجيش العراقي كان به من المجندين في وقت من الأوقات من هو في العشرين ومن يقترب إلى الخمسين من العمر كان به أحياناً الابن والأب وربما الجد كواحد من مليشيات الحزب.

قساوة الحرب أفرزت قساوة أخرى في التعامل بين المنظومة الحاكمة والشعب تضاف إلى القساوة التي كانت موجودة أصلاً..

العربي العراقي الذي كان يستدعي إلى الجندية لم يكن أمامه إلا أن يمتثل والأعمار بيد الله وإن كان يدرك أنه ذاهب بلا رجعة.. ولكن لا بديل أمامه..

أما الكردي فالبعض يذهب إلى الجندية خصوصاً الفقراء الذين لا مورد لأسرهم سوى الراتب الذي يأخذونه من الدولة.. أما الأكثرية فإنهم يهربون وفي الجبل متسع للجميع.. لذلك لم تكن نظرة المنظومة الحاكمة إلى الأكراد نظرة سوية.. كانت ترى في أغلبهم طابوراً خامساً يفت من عضد الجبهة الداخلية في وقت هي في أمس الحاجة فيه إلى صلابة تلك الجبهة وتماسكها.. فكان إذا امتنع أحد الأكراد عن الذهاب للجندية وهرب إلى الجبل أي بوضوح التحق في الأغلب بالحركة الكردية.. فإن الحكومة تقوم

بإجراءات تتدرج في قسوتها.. تقطع التيار الكهربائي والمياه عن دار أسرته.. ثم بعد ذلك تقوم باعتقال أسرة الهارب وتودعهم في مخافر الشرطة نساءاً وأطفالاً وشيوخاً.. كنت أمر وأشاهد على أسطح مخافر الشرطة هؤلاء وهم ينظرون إلى خارج المخفر بنظرات كلها يأس من المستقبل وأسى على واقع حالهم.

في هذه الفترة زاد نشاط الحركة الكردية.. فقد كانت القوات المسلحة العراقية مشغولة بالحرب العراقية الإيرانية فضلاً عن رفد الحركة الكردية بكل من يهرب من الخدمة العسكرية.. وقد حدث أيضاً تعاون بين بعض الفصائل الكردية والقوات الإيرانية مما جعل صدام حسين يصف تلك الفصائل صراحة بوصف (أدلاء الخيانة).

وقد شهدت مدينة أربيل ومدناً كردية أخرى عمليات تنفيذ أحكام إعدام جماعية ورمياً بالرصاص لشباب أكراد.. إحداها كانت في معسكر المدينة وبحضور جمع غفير من المواطنين تم حشدهم للمكان بالأمر كما أمروا بأن يصفقوا بعد كل دفعة رصاص تخترق أجساد الضحايا.. هاتفين.. يحيا العدل.. يحيا القائد.. والعجيب في الأمر أن هؤلاء الذين كان ينفذ فيهم حكم الإعدام كانوا معروفين لجمهور المشاهدين وتربطهم صلة صداقة أو قرابة ببعضهم لذلك كانت هناك حسرة عميقة ومتأججة في النفوس في الوقت الذي كانت فيه اليد تصفق واللسان يهتف بالقائد والعدل..!!.. أي عذاب نفسي عاش فيه هؤلاء؟!.

وعملية إعدام أخرى كانت على طريق كركوك وفي نفس الموقع الذي شهد محاولة إغتيال محافظ أربيل وفي نفس التوقيت اليومي لكن بعد أسبوع

من الواقعة كان الضحايا ثلاثة.. أقسم الجميع أن لا علاقة لهم بالحادث وأنهم كانوا بالسجن وأحضروهم منه إلى الإعدام.. من شاهد ذلك قال كانوا ينشدون أناشيد قومية والرصاصات تخترقهم.

ولكنه العنف الذي استشرى والذي كان الأكراد يروا فيه عنفاً قادماً من الجنوب.. وتم ترجمة هذا إلى شعور بالغ بالكراهية تجاه كل ما هو عربي.. لذلك فقد كان أمراً نادر الحدوث أن يشاهد رجلاً عربياً بالملابس العربية التقليدية في أربيل أو أي مدينة كردية أخرى. أما خارج المدن فالأمر أكثر صعوبة بل ويصل إلى الاستحالة.. أما في الليل فمن رابع المستحيلات فالليل بأكمله للحركة الكردية حيث تنسحب كافة القوات الحكومية إلى معسكرها تاركة كل شيء لتلك الحركة.. ومن المحظورات أن تتجول السيارات الحكومية بعد ساعة معينة.

لذلك فقد كان أمراً أثار في نفسي ما هو أكثر من الدهشة عندما رأيت تلك الخيام العربية ومن حولها المشاهد التي ذكرتها.

طلبت الوقوف كي أحاور بعض هؤلاء قال لي الأخ عمر لا تتعجل سيتاح لك هذا فيما بعد.

وعندما التقيت بالأخ مسعود البارزاني وخلال حوارنا الطويل الذي دام لأكثر من ساعتين تطرقت لهذا الموضوع وطرحت عليه استنتاجاتي وهي كما يلي:

١ ـ لقد تسببت أحداث السنوات الأخيرة في جرح خطير أصاب العرب كما أصاب الأكراد وكل أرجع جرحه إلى الآخر كسبب له. بل أن صرح العلاقات العربية الكردية والذي شيد بجهد وتضحيات الأجداد بدءاً من

صلاح الدين الأيوبي إلى رواد الحركة التنويرية الحديثة في مصر إلى الدور المصري من خلال ازهرها وصدور أول صحيفة كردية في التاريخ من القاهرة وأول إذاعة كردية أيضاً والتي بثت هي الأخرى من القاهرة.. هو صرح عظيم مجيد شيد لبنة لبنة على مر التاريخ.. وجاءت قساوة أحداث السنوات الأخيرة ليتصدع هذا الصرح على ويلاتها.. أنني أزعم أن هذه الخطوة العملاقة هي اللبنة الأولى في إعادة تشييد هذا الصرح والذي أصابه الصدع بل هي بداية لبرنامج علاجي نأمل ألا يطول لمداواة هذا الجرح..

٢ ـ لقد كان هناك جبل ضخم من الشك في قلب العربي العراقي والكردي العراقي سواء بسواء كل تجاه الآخر.. لكن هذا العربي الذي أتى إلى هذه المنطقة بملابسه العربية دون أن يثير العقال أو الدشداشة حتى ولو نظرة استهجان واحدة من أحد.. جاء بزوجته وأطفاله وأغنامه وكلابه ناصباً خيمته في العراء مقيماً فيها ليل نهار آمناً مطمئناً وهو على ثقة من أنه لن يحدث له أو لأتباعه أي مكروه.. في زمن سابق ما كان يجرؤ هذا العربي حتى ولو بالتفكير أن يقدم على هذه الخطوة.. رغم أنه في هذا الزمن كان هناك حزب هو الذي يحكم وله في كل شبر من هذه الأرض قوات مسلحة.. وميليشيات حزبية وأمن واستخبارات.. بل وله أيضاً قوات كردية عشائرية يسميها نظام الحكم فرسان صلاح الدين أو الجحافل الخفيفة ويسميها الأكراد الجاش أو الجحوش.. رغم كل هذا الحشد العسكري والأمني الهائل فإن العربي ما كان يجرؤ على الحضور والقيام بمثل هذه الخطوة.. فجبل الشك تجاه أخيه الكردي كان كبيراً وثقيلاً.. بل كان أيضاً تجاه جبل كردستان وأرض كردستان..

أما وقد حدث هذا الأمر في ظل حزب كردي يحكم كان ينعت في ذلك الزمن بصفات من نوع العمالة ـ التخريب.. إلخ. رجال هذا الحزب هم الذين يحكمون الآن وفي عهدهم حدث هذا الأمر الذي هو يقيناً أمر هام وجلل وله تداعياته العظيمة أقلها أنه يؤكد على أن جبال الشك تلك كانت جبالاً جليدية وعندما سطعت عليها شمس الحقيقة ذابت لتعطي نهراً متدفقاً من المودة والحب.. وشمس الحقيقة تلك هي العلاقات العربية الكردية التي تسمو فوق كل الجراح لأنها الأهم والأكبر من كل جرح.

٣ ـ سألت الأخ مسعود البارزاني هل دعوتهم لأنهم أخوة عراقيون..؟.. أكان من الممكن أن توجه نفس الدعوة لأبناء قوميتك الكردية إذا تعرضوا لنفس الأمر في سوريا أو تركيا أو إيران؟.. ورد على تساؤلي بحسم: بالطبع لا.. هؤلاء سوريون وهؤلاء أتراك وهؤلاء إيرانيون.. لقد كانت دعوتي لأخوة عراقيين.

معنى هذا بكل وضوح أن الحدود السياسية الدولية والتبعية للدولة تعلو على الانتماء القومي وأن العربي العراقي عندما يتحرك من المنطقة العربية داخل العراق إلى المنطقة الكردية فإنه يتحرك من مكان لآخر داخل حدود دولة العراق.. ومعنى هذا أيضاً بكل وضوح أن كل الاتهامات الظالمة التي كانت توجه لأكراد العراق حول نواياهم الانفصالية هي اتهامات باطلة وظالمة فقد ثبت بالدليل العملي أنهم ليسوا كذلك بل هم الأحرص على وحدة أرض العراق.

ويتفرع من هذه النقطة نقطة أخرى في غاية الأهمية.. أنه إذا كانت كردستان الكبرى قد أصابها التقسيم على مرتين الأولى في بداية القرن

السابع عشر والثانية في أوائل القرن العشرين ومن قبل قوى أجنبية فإنه وحسب طرح الأحزاب الكردية الهامة: بمرور الوقت أصبحت لكل مجموعة خصوصية من المشاكل تختلف عن المجموعة الأخرى وعلى كل مجموعة أن تحل مشاكلها مع حكومتها المركزية.. أكراد العراق مع بغداد.. أكراد تركيا مع أنقرة.. أكراد إيران مع طهران وهكذا.. وعلى كل مجموعة كردية أن تبتعد بمشاكلها عن المجموعات الأخرى حتى لا تؤثر على وضعها سلباً وتلقي بظلال من التأثيرات الغير مطلوبة عليها..

هذا الطرح طرح بشدة في السنوات الأخيرة ومن قبل كافة الأحزاب الكردية الجادة لكنه هذه المرة تم طرحه من خلال سلوك عملي.

بعد أن عرضت استنتاجاتي التي خرجت بها من هذه التجربة على الأخ مسعود البارزاني ابتسم في هدوء ثم قال بصوت خفيض: صدقني كل هذه الأمور لم تكن في ذهني إطلاقاً وأنا أقدم على هذه الخطوة.. كان في ذهني شيء واحد.. هؤلاء أخوة لنا قست الطبيعة عليهم فكيف نتركهم هكذا.. كيف يمكن أن آكل وأخي جوعان.. في البداية كانت دعوتي لعشيرة شمر وهي أكبر العشائر العربية على الإطلاق وهناك تاريخ مشرق بينهم وبين الأكراد ولهم في أعناقنا دين.. وحضرت عشائر أخرى غير عشيرة الشمر.. الجبور والدليم.. ولم نغلق الباب أمام أحد.. أهلاً وسهلاً بالجميع..

في طريق عودتي من صلاح الدين إلى دهوك في أواخر أيام الزيارة توقفت لأكثر من مرة عند بعض تلك الخيام.. تصادف في بعضها وجود فريق طبي بيطري من مديرية البيطرة لفحص الأغنام وتقديم الدواء لبعضها.. في أحد هذه اللقاءات كان بعض الأغنام قد وصل حديثاً وكان

الفريق البيطري يغمسون الأغنام واحداً واحداً في حوض مياه به مواد مطهرة.. ربما خوفاً من انتقال وباء إلى أغنام المنطقة.. وربما لتقديم خدمة بيطرية مجانية.. وسواء كان الأمر هذا أو ذاك فإنه في الحالتين أمر طيب ولا شك.

أحد هذه اللقاءات كانت في مضيف عربي كبير.. تصادف وجود مدير ناحية زاويتا سألته عن سبب حضوره فأجابني للتعرف على أي مشكلات قد تواجه هؤلاء الأخوة للعمل على حلها.. كما كان هناك فريق طبي بيطري يفحص الأغنام.. سألت مدير الناحية: ألم تحدث أي مشاكل بينهم وبين أهل المنطقة: أقسم: أبداً والله..

جلست مع الأخوة عرب العراق بهذا المضيف تبادلنا الكلمات الطيبة شاركنا في الجلسة بعض الأخوة الأكراد من ابناء المنطقة.. لم أرصد أي كلمة خرجت من أي فم خالية من الود..

تحدث الجميع عن العلاقات الطيبة التاريخية بينهم وبين إخوانهم الأكراد وأنه أبداً ما كانت هناك خصومة بينهم في أي يوم من الأيام.. اتفقوا معي على أن هذه الأرض التي نجلس عليها هي أرض عراقية بل هتفوا بذلك ولا بد أن يتكاتف الجميع عرباً وأكراد من أجل أن تظل كذلك.. تطرق الحديث إلى أحداث الماضي.. قالوا نحن لا شأن لنا بالسياسة نحن أولاً وأخيراً أخوة.. أكد لي مدير ناحية زاويتا أن كل هؤلاء مشمولين بنفس الحصص التموينية المشمول بها المواطن الكردي ابن المنطقة.

أحد الأكراد قال هؤلاء أخوتنا وهم على العين والرأس وعن قريب إن شاء الله سنكون نحن في ضيافتهم.. عندما وصلتنا برقية كاكا مسعود

باستضافة هؤلاء فرحنا جميعاً وأهلاً وسهلاً بهم.. هم على أرضهم..

سألت الأخوة عرب العراق: هل هناك مشاكل صادفتهم..؟.. أقسموا لي أبداً.. أبداً.. لا مشاكل على الإطلاق كأننا في بيتنا في الجنوب.. الفرق الوحيد أن الهواء هنا أطيب والأرض خضراء..

عندما نهضت لمغادرة المكان.. أفلت بصعوبة من إصرارهم على البقاء معهم لتناول طعام الغذاء.. وأحضروا حملاً كي يذبحوه.. اعتذرت فالوقت ضيق ومشحون بالمواعيد..

فيما بعد اطلعت على فيلم تسجيلي يسجل زيارة الأخ مسعود البارزاني لمضيف عربي لهؤلاء.. كان يقف بصعوبة وسط حشد كبير من عرب العراق بملابسهم المميزة.. الدشداشة والعقال.. بعضهم يجلس إلى الأرض والبعض الآخر يقف.. لكنهم جميعاً يقفون مهللون عندما كان يتوقف عند بعض الجمل الحماسية حول العلاقات العربية الكردية.. كان يخطب فيهم بملابسه الكردية المميزة والتي لا يرتدي داخل كردستان سواها.. هتف العرب بالأخوة العربية الكردية.. وجه شكره الجزيل لعشيرة شمر وأفخاذها على ما قدمته تلك العشيرة للأكراد على مر التاريخ.. تحدث إليهم في حماس عن العلاقات العربية الكردية وأهمية تدعيمها.. كل ذلك وسط تصفيقهم وهتافاتهم.. ثم قدموا له سيفاً عربياً هدية بينما قدم هو لشيخ العشيرة بندقية كردية ذات تاريخ مع الحركة وهو يقول: هذه البندقية لتضربوا بها معنا أعداء الأخوة العربية الكردية.

وهتف الجميع.. واغرورقت عيناي بالدموع على هذا المشهد..

ومرة أخرى قفزت إلى ذهني صورة سائق السيارة النصف نقل بدشداشته

وعقاله والذي تخطى إشارة المرور في أربيـل وتسابق الجميع هاتفين: الحق ابو العـجـال.. الحق ابـو العـجـال.. ثـم بعض الـشـتـائم المنتـقـاة من القـامـوس الفلكلوري الكردي.

كان هذا في الثمانينيات

أما نحن الآن ففي نهاية التسعينيات

وهذا هو جانباً من الفرق بين

أربيل ٨٨

هەولێر ٩٩

# متفرقات

## لحظة إن طفرت دموعي:

مدينة الموصل العراقية كانت من أغنى مدن العراق.. فأهلها المصالوه كما يطلق عليهم شطّار يعرفون كيف يحصلون على الفلس وكيف يحافظون عليه، وفي نفس الوقت هم أول من يترجم أي قرار للدولة إلى إجراء يحققون به مصلحة خاصة لهم. أذكر أنه خلال الحرب العراقية الإيرانية حفزت الدولة مواطنيها على بناء سرداب أسفل بيوتهم ليكون ملجئاً من الغارات الجوية وقدمت في سبيل ذلك سلفة نقدية تسدد بالتقسيط المريح وبلا فوائد وخلال فترة وجيزة لم يكن هناك بيت واحد في الموصل لم يحصل صاحبه على السلفة ويشيد سرداباً أسفل بيته بنصف قيمة السلفة والنصف الباقي استثمره في مشاريع تجارية.. فضلاً عن أن هذا السرداب يحوله إلى مخزن يخزن فيه كميات ضخمة من النفط إضافة إلى سلع تموينية أخرى.

تلك كانت فكرتي عن مدينة الموصل وأهلها.

كانت السيارة تقف أمام مبنى الإذاعة والتليفزيون بمصيف صلاح الدين واقتربت إمرأة ترتدي العباءة السوداء من السيارة ثم مدت يدها في ذلة

وهي تقول:

ـ فقير من الموصل..

ولم أصدق أذني في البداية وكررت المرأة السؤال.

ـ فقير من الموصل..

بعد ذلك بيوم كانت السيارة تقف بي في وسط أربيل وبالقرب من المحافظة ووجدت امرأة أخرى ترتدي نفس العباءة السوداء وتمد يدها:

ـ فقير من الموصل..

خفق قلبي بشدة وطفرت الدموع منها..

لعل المرأة الأولى أو الثانية ليستا من الموصل ولكن أن يرتبط في الأذهان سمة الفقر بمدينة الموصل والتي كانت في الماضي أغنى مدينة في العراق ولا يمكن أن تضاهيها بأي حال من الأحوال أي مدينة كردية مهما كانت..!!

تلك هي مأساة العراق.. وهي ما جعلتني أبكي..

## الدينار العراقي:

حتى مغادرتي العراق عام ١٩٨٨ كان للدينار العراقي سعرين.. رسمي في البنك وآخر خارج البنك.. تماماً كما كان الحال بالنسبة للجنيه المصري في تلك الفترة.

كان الدينار العراقي يعادل ثلاثة دولارات تقريباً داخل البنك.. أما خارج البنك فقد اخذ سعر الدينار ينخفض تدريجياً مع سنوات الحرب العراقية الإيرانية والإنهاك المستمر للاقتصاد العراقي إلى أن وصل إلى درجة أن

الدينار العراقي أصبح دون الدولار في السعر بل إن الدولار أصبح يشتري ديناراً ونصف دينار عراقي.

وكان الإعلان عن هذا المستوى الذي وصل إليه الدولار يؤدي إلى دهشة وحسرة عما وصل إليه حال الدينار العراقي الذي كان يوماً من العملات المالية التي لها وزنها في أي مكان في العالم.

ورغم ذلك فإن المواطن العراقي العادي كان لا يشعر بهذا الفارق الذي يتزايد يوماً بعد يوم لأن السعر البنكي للدولار كان يقتصر فقط على التحويلات البنكية فأي عملة غير عراقية ممنوعة نهائياً من التداول بل والاقتناء داخل العراق.. إضافة إلى أن التحويلات البنكية كانت قاصرة في الأغلب على العاملين الأجانب في العراق وفي مقدمتهم المصريون.

كما أن الدولة كانت تستورد كافة السلع من الأسواق الخارجية على أساس السعر البنكي للدينار وتتحمل هي فارق السعر.. فكان سعر الكيلو جرام من الشاي ٧٠, ٠ دينار والكيلو جرام من السكر ٢٠٠, ٠دينار والأرز كذلك وهكذا.

وكانت الأجهزة الكهربائية ولعب الأطفال والملابس رخيصة جداً لنفس السبب والعجيب أن السلع المحلية كانت أغلى من مثيلاتها المستوردة..

لذلك فإن الدينار العراقي رغم ما حدث له من تدهور نتيجة لتدهور الاقتصاد العراقي فقد كانت له قيمته داخل العراق وكان يشتري الكثير..

وفي عام ١٩٩٩ سافرت إلى كردستان العراق..

اكتشفت وجود بورصة للأوراق المالية يتحدد من خلالها يوماً بيوم سعر الدولار مقارنة بالدينار.. وأي سلعة خصوصاً المستوردة من الممكن أن

تشتريها بالدينار ومن المكن بالدولار.

كانت لدي معلومة مسبقة من خلال ماكان يصلني من صحف أن هناك نوعين من الدينار:

١ ـ دينار أصلي أو سويسري وهو ذلك الدينار الذي كان متداولاً قبل حرب الخليج الثانية وقيام الحصار على العراق وهو الدينار الذي له رصيد.

٢ ـ دينار طبع وهو ذلك الدينار الذي يتم طبعه تباعاً دون أن يكون له أي رصيد.

الدينار الأول يساوي ١٠٠ دينار من الثاني ولأمر ما فإن الدينار الأول هو الذي يتم تداوله في المنطقة الكردية وهذا الدينار يساوي ١/٢٠ من الدولار في حين أن الدينار المتداول في بغداد يساوي ١/٢٠٠٠ من الدولار.

لقد كنا نشهق ونتحسر على ماوصل إليه الاقتصاد العراقي عندما كان الدولار يساوي دينار ونصف.. أما الآن فماذا يمكن أن يكون رد فعلنا والدولار يساوي ٢٠ دينار في المنطقة الكردية ويساوي ٢٠٠٠ دينار في المنطقة العربية.

وهذا هو جزء من الفارق بين:

أربيل ٨٨

و هەولێر ٩٩

ولقد انعكس ذلك في أسعار السلع في المدينة.. وكملاحظة أولية فإنه عند تجولي في الأسواق وجدتها عامرة بكل أنواع السلع والبضائع من كافة أنحاء العالم.. وهي سلع وردت بجهد خاص للقطاع الخاص ولا دخل للحكومة فيها على الإطلاق من حيث الوارد أو تحديد السعر.

وكان لابد أن ألتزم بتلك العادة اللعينة المتوارثة حيث يجب على الإنسان

أن يسافر مثقلاً بالأحمال ويعود مثقلاً من جديد بأحمال جديدة.

صدمتني الأرقام.. فإن تسمع ألف دينار أو خمسمائة دينار أصبح أمراً مألوفاً في الأسواق.. هي أرقام لم أكن أسمعها على الإطلاق حتى عام ١٩٨٨ إلا إذا كان الأمر يتعلق بشراء دار أو أرض أو سيارة.. أما أن تكون هذه الأرقام مرتبطة بشراء عطر نسائي أو قماش فالأمر لابد أن يصدم أذني..

ولكن بعد أن يفيق الإنسان من الصدمة الأولية ويبدأ في تحويل الرقم الديناري إلى رقم دولاري ثم إلى ما يساويه من الجنيه المصري اكتشف أن سعر السلعة أرخص بكثير من نظيره في مصر.

ولقد سبق أن ذكرت أنه في السابق كانت السلع المحلية أغلى بكثير من نظيرتها المستوردة بسبب الفارق الهائل في السعر البنكي للدينار مقارنة بالدولار بالسعر خارج البنك..

إلا أن الأمر أصبح وياللعجب معكوساً حالياً.. فالدينار داخل كردستان العراق مازال قادراً على شراء الكثير.. فبدينار تشتري رغيفين من خبز التنور.. وكيلو اللحم المحلي الجيد يصل إلى حوالي ٣٦ دينار ولو تم ترجمة هذا السعر إلى الدولار لوجدنا أنه بدولار واحد يشتري الإنسان ٤٠ رغيفاً وبدولار ونصف أو أزيد قليلاً يمكن شراء كيلو لحم وهو سعر لا يمكن أن يوجد في أي مكان في العالم.

عندما جلست في مطعم فندق سوّلاف (٥ نجوم) بمدينة دهوك لتناول طعام الغذاء وأنا في طريق عودتي قدموا لي قائمة الطعام للاختيار واطلعت على الأسعار وترجمتها إلى الدولار فاكتشفت أن كردستان العراق هي

أرخص مكان في العالم.. فقد كانت الوجبة المكونة من اللحوم المشوية المختلفة مع ما يرافقها من سرفيس كامل بمبلغ ٣٧ ديناراً أي أكثر قليلاً من دولار ونصف.. يابلاش..!!

والعجيب أيضاً أن بعض السلع المستوردة كانت في منتهى الرخص.. اشتريت حذائين صناعة إيطالية بسعر الواحد ١٨٠ دينار أي ٩ دولارات.

لقد فعلت الحروب المتتالية العبثية الكثير في الشعب العراقي.. وأضاف الحصار الذي أعقب حرب الخليج الثانية الكثير من الويلات والمآسي على هذا الشعب..ورغم كل ذلك فإن الشطر الكردي يظل أفضل بكثير من الشطر العربي فعلى الأقل فإن عملته تساوي ١٠٠ ضعف العملة المتداولة لدى العرب رغم أن كلاهما هي الدينار العراقي.

وترتب على ذلك أن صفة الفقر والاستجداء ارتبطت بمدينة كانت في السابق من أغنى المدن العراقية وهي الموصل.. وسمعت وأنا في صلاح الدين وأربيلٍ من يمد يده مستجدياً.. فقير من الموصل..

ولا حول ولا قوة إلا بالله..

لكن من يحدد أسعار السلع في هذه المنطقة سألت فجاءتني الإجابة لا أحد.. التجارة حرة وقانون العرض والطلب وآليات السوق يتحدد على أساسها السعر.. تذكرت ما كان يسمى بـ (فرهود) عندما كان يبيع بائع سلعة ما بأكثر من سعرها وينصب له رجال الأمن الاقتصادي كميناً إلى أن يضبطوه متلبساً فيقومون بعملية (فرهود). هذه العملية ببساطة هي القاء بضاعة التاجر بأكملها في الطريق العام وعلى المارة أن يأخذوا من هذه السلع وبالأمر دون أن يدفعوا مقابلها أي ثمن حتى تنتهي كل بضاعة

التاجر. وهذا الإجراء الوحشي والغير أخلاقي هو مجرد فتح شهية فهو لا يمنع من القيام بالإجراءات الأخرى.. بإلقاء القبض على التاجر وتحويله إلى المحاكمة وإلقائه في السجن.

أي بالمعنى الحرفي (يخربوا بيته وبيت أبنائه).

واذكر أن هذا الإجراء كان يصيبني بالغثيان لهمجيته ووحشيته..

## المولد النبوي الشريف:

مع وصولي إلى كردستان العراق كانت الاستعدادات للاحتفال السنوي بالمولد النبوي الشريف قائمة.. امتلأت الشوارع باللافتات التي تحتفل بالمناسبة الكريمة.. كافة اللافتات باللغة الكردية وبعضها باللغة العربية إلى جوار الكردية إضافة إلى الآيات القرآنية التي تمجد الرسول الكريم.

تأملت تلك اللافتات فهمت معاني بعضها وقام البعض بترجمة ما استعصى عليّ.. اللافتات جميعها لافتات دينية صرفة تشيد بالنبي الكريم وسيرته العطرة.. وتذكرت عام ١٩٨٨ وما قبله.. كانت تلك المناسبة توظف لخدمة السياسة ليس من حق أحد أن يكتب أي شيء فاللافتات تحمل شعارات.. والشعارات دائماً شعارات مركزية تأتي من قيادة فرع أربيل لحزب البعث العربي الاشتراكي والذي ترد إليه من القيادة القطرية في بغداد.. الشعارات يوظف فيها الديني لحساب السياسي.. أذكر من تلك الشعارات:

(في مولد المصطفى انطفأت نار المجوس وتصدع إيوان كسرى) فالحرب العراقية الإيرانية كانت حينئذ على أشدها ولا بد من التنويه إلى إن مولد

النبي (ص) كان له تأثيراً سلبياً مدمراً على الجانب الآخر.. والجانب الآخر يصفه الخطاب الإعلامي العراقي بالفرس المجوس.

(تزامن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مع الانتصارات الباهرة لجيشنا الباسل في قاطع كذا..)

وفي الاحتفال المركزي الذي يتم عادة في إحدى القاعات العامة بالمدينة يتم دعوة كافة أئمة المساجد (الملالي) ويتبارى الخطباء في ذكر مناقب الرسول العربي وإضفاء تلك الصفات على الرئيس القائد.. ثم الإشادة بحالة العز والرفاهية التي يعيشها الشعب في ظل رئاسته وقيادته وينتهي اللقاء ببرقية ترفع إلى سيادته تشيد به وبإنجازاته وبصفاته الحميدة المستمدة من النبي العربي الكريم والذي زايد البعض فجعله من النسل النبوي.

وخلال هذه المناسبات كان يبرز في هذه المحافظة أو تلك خطيباً معيناً يقول كلاماً جديداً في حق الرئيس القائد لتصبح إحدى الجمل التي ذكرها معممة على ألسنة الخطباء الآخرين بل وتأخذ طريقها إلى الإعلام الرسمي (حفظك الله تاج عز وفخار نباهي به الدنيا بأسرها).. وهذا الخطيب الذي برزت كلماته يتقدم درجات على الآخرين وتنهمر عليه النعم.. وهناك أسماء في ذهني لأمثال هؤلاء أحجم عن ذكرها.

صباح السبت الموافق ٢٦/٦/٩٩ كان الاحتفال المركزي بالمولد النبوي الشريف في مسجد الشيخ چولي في أربيل.. حرصت على حضور هذا الاحتفال..

في اليوم السابق أخبرني الأستاذ آزاد برواري عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني عند زيارته لي في مقر إقامتي بصلاح الدين

أن الأخ مسعود البارزاني لا يحضر هذه الاحتفالات وإنما يحتفل بالمناسبة وسط أهله وعشيرته هناك في بارزان حيث أن الاحتفال بالنسبة له يأخذ بُعداً دينياً أكثر.. إنه يرى حضوره العلني في هذه المناسبات نوع من المظاهر التي يرفضها وهو يهمه أن يعطي للمناسبة الدينية حقها ولن يكون ذلك إلا وسط أهله وأبناء عشيرته في بارزان..

ذهبت صباحاً إلى مسجد الشيخ چولي في أربيل يرافقني الأستاذ هشام بدران المذيع بالتليفزيون المركزي في أربيل والذي رافقني في زيارات متعددة أخرى..

كان صوت مكبر الصوت يغطي المنطقة بالكامل وحول المسجد كانت جمهرة كبيرة من المواطنين.. دخلنا إلى المسجد ووسعوا لنا المكان حتى جلسنا في الصدارة.. لم يكن هناك من مسئول سوى وزير الأوقاف والشئون الدينية.. أما باقي الحضور في الصدارة فكانوا علماء دين كل منهم ينتظر دوره حتى يلقي كلمته بالكردية احتفالاً بالمناسبة العطرة.. جلست لنصف ساعة لم استمع خلالها إلى اسم الأخ مسعود البارزاني ومع انتهاء الخطيب الثاني من كلمته انصرفت..

كان الاحتفال الديني في الماضي يوظف من أجل السياسة.

أما الآن فالاحتفال الديني ينظم حباً في الدين وتقرباً إلى الله ولا يرتبط هذا الاحتفال بشيء آخر.

وأيضاً هذا بعض الفرق بين:

أربيل ١٩٨٨.

هەولێر ١٩٩٩.

## الحوارات مـع ..
## كـــاكـــه مسعـــود

حدد الأخ مسعود البارزاني الساعة ١٢,٣٠ ظهر يوم الأحد الموافق ١٩٩٩/٦/٢٠ موعداً للقائه وقد حدد هذا الموعد كي يتخلله طعام الغذاء ليكون هناك متسع من الوقت للحديث وإضفاء قدر من الحفاوة والترحيب من قبل المسئول الأول على اللقاء.

وحسب معلوماتي المسبقة فإنه لا يستقبل ضيفاً لأكثر من نصف ساعة ولكن لقائي به استمر من الساعة ١٢,٣٠ حتى الثالثة إلا ربع لساعتين وربع وهذا أمر أعتز به كثيراً..

في صباح نفس اليوم كان لقائي بالدكتور رۆژ نوري شاويس رئيس الحكومة.. وعند عودتي لدار الضيافة جلست قليلاً لأدون بعض الملاحظات ثم بدأت في الاستعداد وبلغت الساعة ١٢,١٥ وهنا وجدت الأخ عمر بوتاني يحضر إلى جناحي متعجلاً إياي وهو في دهشة كيف لم أتهيأ حتى الآن للقاء والذي بقيت عليه ربع ساعة فقط.

ارتديت ملابسي على عجل.. وصلنا إلى مقر إقامته في أقصى قمة في صلاح الدين وهي التي كانت تسمى سابقاً (سەری رەش) أي الرأس السوداء

وأصبحت تسمى الآن (سەرى بلّند) أي الرأس العالي.. تأخرنا حوالي ثلاث دقائق ووجدنا الأخ غازي الزيباري يقف على باب الدار وهو يرقب الطريق في قلق بالغ وضحك الأخ عمر قائلاً كاك غازي حرام عليك ما فعلته فيه بتأخرك هذا، وهرولنا من السيارة، ثم صعدنا إلى الطابق الثاني لأجد الأخ مسعود بابتسامته الهادئة يقف في الممر ويتجه إليّ مصافحاً في حفاوة بالغة ثم يمد يده كي أتقدمه.. ورفضت، فألح عليّ قائلاً: أرجوك.. أنت ضيفي ولكنه استدرك سريعاً قائلاً وإن كنت أنت صاحب البيت.. رفضت فتقدمني في هدوء إلى غرفة الاستقبال الواسعة التي تتصدرها صورة ضخمة للملا مصطفى البارزاني وفي الركن الأيمن كان علم الحزب الأصفر وبداخله باللون الأزرق الحروف اللاتينية الثلاثة (P.D.K) ومد يده كي أجلس إلى يمينه ثم جلس ومن بيننا علم الحزب.. نظرت أمامي فوجدت تمثالاً داكناً لنسر يفرد جناحيه وهو شعار الحزب.. تذكرت نفس التمثال عندما رأيته لأول مره على قوس كبير عند مدخل مدينة دهوك..

جلس على مسافة منه الأخ عمر بوتاني ثم على مسافة أخرى الأخ غازي الزيباري وبدأنا الحديث..

وكانطباع أولي عن هذه الشخصية فقد جذبتني بساطتها الشديدة وتلقائيتها واللغة العربية السليمة التي أكاد أقول أنني لا أستطيع أن أنطقها مثله.. كل هذا في إطار تواضع واضح وملموس وألفة حقيقية حتى أنني تصورت أن تلك ليست المرة الأولى التي أجلس فيها معه بل أنني أعرفه بصفة شخصية منذ أمد بعيد.

وبعد ساعة من الوصول والحوار مع الأخ مسعود جاء شخص وهمس في

أذنه بكلمات ثم انصرف وهنا قال الغذاء حاضر تفضلوا ثم بود شديد قال ألا تريد الذهاب إلى الحمام لغسل يديك..

دخلنا غـرفـة الطعـام فكان الطعـام ممدوداً ولم يكن هناك أي فـرد يقـوم بالخدمة علينا بعكس الحال في دار الضيافة التي كان يقف دائماً إلى جواري شخص للمعـاونة في صب كـوب مـاء أو تقديم نوع من الطعـام أو أي شيء آخر..

وعلى مـائدة الطعـام كان الحوار غيـر ذلك الذي كـان في غـرفة الاستقبـال كـانت حكايات من هنا ومن هناك تتـخللهـا بعض الدعـابات والقـفشـات المصرية التي أضحكت الأخ مسعود كثيراً حتى أنهم قالوا لي بعد الزيارة لم نراه يضحك كهذا اليوم..؟.

وأعـود إلى الحوار.. كـان واجبـاً عليّ وهو يسألني عن أخبـار مصـر.. أن أفـهم أن المقصود بالسؤال هو أخبار الأكراد في مصر.. كـان واجباً عليّ أن أنوه بالدور الهام الذي يقوم به الأخ عمر بوتاني في القاهرة من خلال زياراته الخاطفة التي يقوم بها من حين لآخر وقد أشدت بحسن الاختيـار فـالرسول ينبيء عن المرسل.

تحـدثت عن أمنيـتي في أن يوفـقني الله إلى تأليف كـتـاب يسـجل انطبـاعـاتي عن هذه الزيارة ومقـارنتـهـا بالماضي وقد أشاد باختـيـار الاسم مؤكداً على ثقته من أن هذا الكتاب سيخرج بالشكل الطيب ثم طلب مني أن أطلع على مـا أشاء في المنطقة وبلا حدود وضوابط وأن أقابل من أشاء وأتحاور كما أريد وأن دورهم سيتوقف عند مهمة تلبية مطالبي وتوفير كافة الإمكانـات لذلك.. ثم أكـد علي أن توقيت الزيارة متروك لي.. وبود بالغ

قال نحن نتمنى أن تبق معنا للأبد.. لكن مصلحة القضية الكردية في أن تكون في القاهرة لتشرح القضية هناك لأهلنا في مصر..

ثم سأل الأخ عمر عن برنامج الزيارة ومن الذي يعده فأجاب: برنامج الزيارة في أربيل يقوم بإعداده الأخ غازي الزيباري والزيارة ستنتهي في أربيل مساء الأربعاء القادم بمحاضرة في مقر الحزب حيث يسافر صباح الخميس إلى دهوك ليبق فيها يومين أو ثلاثة.

ثم سأل ومن الذي سيعد برنامج زيارته في دهوك ولم يجد إجابة فقال الأخ عبد العزيز هو المسئول أمامي عن إعداد الزيارة في دهوك.. عرفت فيما بعد أن الأستاذ عبد العزيز طيب محافظ دهوك هو المقصود بذلك.

تحدثت عن تجربة حضور الرعاة العرب العراقيون إلى المنطقة الكردية للرعي في عام الجفاف والجدب وشرحت ما استخلصته من هذا الأمر والذي يأتي في مقدمته أن زعيم هذه المنطقة يعلن وبالدليل العملي أنه ليس إنفصالياً وأن هذه المنطقة هي امتداد لأرض العراق، وشرحت كافة الأبعاد الأخرى التي استخلصتها من هذا الأمر والتي هي معروضة بالتفصيل في مكان آخر من هذا الكتاب.

وببساطة أدهشتني علق على حديثي من أنه لم يقصد أبداً كل تلك الأبعاد.. لأنه لم يكن يسعى إلى أمر إعلامي عندما أقدم على هذه الخطوة وأن كان يسعد بما حدث وبالأبعاد المستخلصة.. وقال للعلم لم يطلب منا الأخوة العرب ذلك ولكن ماحدث في البداية كان عرض تقدمنا به. فالعام كما تعرف عام جفاف.. الأمطار كانت شحيحة.. لكن منطقتنا أفضل بكثير من الجنوب والوسط.. رأينا أن إخواننا العرب على أبواب كارثة رهيبة تهدد

بفناء حيواناتهم وتضيف مأساة جديدة إلى مآسيهم المرتبطة بالحصار.. والحقيقة إن منطقتنا هي الأخرى تعاني من قلة المراعي هذا العام بسبب ظروف الجفاف ولكننا قلنا: إذا كان خبزنا قليل هذا العام فلماذا لا نقتسمه مع إخواننا الذين جعلتهم الظروف لا يمتلكون الخبز أصلاً. هؤلاء أشقاؤنا مصيرنا ومصيرهم واحد.. قلت له بالتأكيد أنكم ما كنتم تقدمون هذا العرض لأبناء قوميتكم في تركيا أو إيران ولكن هذا العرض قدم من أكراد العراق إلى عرب العراق وهذا يؤكد على أنكم جميعاً تنتمون إلى وطن واحد هو العراق وهذا يدحض الافتراءات التي توجه إليكم وتتهمكم بالإنفصالية وهذا يجعلني أعاتبكم لأنكم لم تعطوا هذا الموضوع حقه إعلامياً.

أجاب بالنسبة لهذه الافتراءات التي توجه إلينا وتتهمنا بالإنفصالية سامح الله أصحاب هذه الافتراءات ليتهم يحاوروننا كما تفعل أنت الآن ليكتشفوا أننا نتمسك بوحدة الأراضي العراقية بالقول والعمل.

أسهم قليلاً ليسترجع بعض الأحداث ثم قال: سأذكر لك حكاية بمناسبة هذه التهمة الظالمة التي تلاحقنا.. كنت في الولايات المتحدة الأمريكية وفي مؤتمر صحفي سألني أحد الصحفيون.. أنت دائماً تقول أنك جزء من العراق.. أي جواز سفر تحمل..؟

ولم أرد على هذا الصحفي سوى بكلمة واحدة: هاهو جواز سفري.. وأخرجت جواز السفر الصادر عن الجمهورية العراقية.واستطرد في حماس: نحن نؤمن بأن مستقبلنا ومصيرنا مرتبط بالعراق وبإخواننا العرب سواء في العراق أو خارج العراق.

أنت تعاتبنا لأننا لم نعط هذه التجربة حقها الإعلامي الصحيح.. ذكرت

لك أنني قمت بها لإحساس داخلي بالمشكلة وليس لغرض آخر.. ثم ضحك قائلاً الحمد لله أن العتاب في هذه النقطة وليس في أمر آخر.. وعلى كل حال الأمل فيكم بتسليط الضوء على هذه التجربة لا للإشادة بما قمنا به فنحن لم نقم إلا بالواجب الذي تحتمه مسئولياتنا تجاه إخواننا ولكن للتأكيد على أننا عراقيون ومتمسكون بأرض العراق.. وأرجوك أن تلتقي ببعض هؤلاء العرب وتسألهم وتتحدث معهم كما تشاء حتى تطلع إطلاعاً كافياً على التجربة.

ولأنه أثناء الزيارة كانت هناك في الأفق خلافات كردية داخلية بين الاتحاد الوطني الكردستاني (جلال الطالباني) والحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود البارزاني) فقد سألته عما قرأته في صحيفة الاتحاد لسان حال الاتحاد الوطني الكردستاني عن معارضتهم لهذه التجربة فتحفظ في الإجابة وقال في إيجاز.. الصحافة حرة تقول كما تشاء.. وكل إنسان حر في رأيه.. وحتى لو كان هذا الرأي هو رأى الأخوة في قيادة الاتحاد.. فأنا لا أعرف ظروفهم.. وكل إنسان له ظروفه.. ولكن كل ما أعرفه أن هذه التجربة تنفذ فقط في منطقة نفوذ حزبنا.

تحدثت عن ملاحظتي بعدم وجود صورة له في أي مكان في كردستان العراق حتى في دوائر الدولة وهو عرف متبع في أي مكان خصوصاً في العالم الثالث.

قال بتواضع أنا أومن بأن الحب لا يفرض ولكن ينبع من القلب والمسألة ليست صورة هنا أو صورة هناك ولكنها أهم من ذلك بكثير.. أنا لا تهمني الأمور الشكلية.

سألته: ماذا ترى في نفسك..؟.. هل ترى في نفسك حاكماً يحكم شعب..؟

رد قائلاً: أبداً والله العظيم، أنا مجرد مواطن كردي عادي وضعته المقادير في موقع المسئولية تجاه شعبه.. معظم حياتي السابقة قضيتها في الجبل.. والقرار في الجبل كان في منتهى السهولة.. ويتخذ بمنتهى السهولة والبساطة.. لأن الهدف كان واضحاً.. هذه المنطقة تتعرض لقصف معادي وعلينا بالانتقال إلى منطقة أخرى.. كانت احتياجاتنا محدودة.. نكتفي بأي طعام.. وبأي شراب.. وبأي مأوى.. المأوى كان خيمة بسيطة.. وأحياناً لم تكن تلك الخيمة تتوفر لنا فكنا نأوي إلى كهف أو ظل شجرة.. ورغم كل ذلك فكل شيء كان أسهل أما الآن فالأمور في غاية الصعوبة.. المدارس ـ المستشفيات.. الدوائر المختلفة.. مشاكل الجفاف.. مشاكل ندرة الطاقة الكهربية.. كل شيء له مشكلة وكل مشكلة من نوع خاص تختلف عن الأخرى وهي مشاكل لا تنتهي أبداً.. ونحن كما تعرف لم تكن لدينا أي خبرات إدارية سابقة.. لذلك لم يكن الأمر سهلاً علينا.

واستطرد قائلاً: عندما وجدنا أنفسنا فجأة أمام مسئولياتنا توجهنا لكافة الكوادر الفنية والإدارية حتى من كان منها خارج المنطقة وأياً كان الانتماء الحزبي السابق لهم.. طلبنا منهم التعاون معنا ولم نعط أي وزن للانتماء الحزبي بحزبنا أو بالتاريخ النضالي لهذا الكادر في الحركة الكردية.. كان أهم شيء أمامنا هو إدارة دفة العمل بعد أن سحبت الحكومة العراقية يدها من إدارة المنطقة ووجدنا أنفسنا في فراغ حقيقي.

وتطرقت إلى نقطة حساسة وهامة وهي العلاقة مع حزب پ.ك.ك. حزب

العمال الكردستاني التركي، وأجاب:

المكان الحقيقي لنضال پ.ك.ك. هي كردستان تركيا.. هذا هو مكانهم الحقيقي طلبنا منهم أن يساعدونا في الحفاظ على تجربتنا لأن إقامتهم القواعد في أراضينا يؤدي إلى قيام الجيش التركي باجتياح أراضينا.. قلت لهم إذا كنتم لا تستطيعون صد الجيش التركي عند الحدود فهل أستطيع أنا أن أمنع اجتياح دباباته وطائراته لمنطقتي، في مرة التقيت بأوجلان في دمشق وفي حضور الأخ عمر بوتاني عرضت عليه استضافته في منطقتنا وتوفير الحماية اللازمة له.. رفض.. وها أنت ترى سلسلة التنازلات التي أقدم عليها والتي لا تليق بكردي مناضل وأنت تعرف تاريخ الحركة الكردية كان المناضلون ينشدون الأناشيد وهم يصعدون إلى أعواد المشانق.

نحن نؤيد إخواننا الأكراد في تركيا في نضالهم العادل من أجل حقوقهم المشروعة شريطة أن يكون هذا النضال على أراضي تركيا وفي كردستان تركيا ونرفض تماماً أي محاولة من أي طرف مهما كان هذا الطرف لإفشال تجربتنا التي أدت إلى أن يعرف شعبنا الاستقرار لأول مرة.. وكفى ما تعرض له من ويلات ومآسي طوال تاريخه..

مرت لحظات من الصمت استرجعت خلالها جملة قرأتها في كتاب (الأكراد) تأليف ديفيد ماكدويل تقول الجملة (وأدت المقاومة الصلبة لحفنة من مقاتلي الحزب الديمقراطي الكردستاني عند منتجع صلاح الدين الجبلي إلي اقتناع بغداد بوقف تقدمها الهجومي) وتذكرت أيضاً أنه في طريق وصولي لأول مرة من دهوك إلى صلاح الدين استرعى انتباهي وجود عدد من الدبابات المعطوبة والمدمرة مغروسة في الأرض في منطقة (كوِرێ) وهي تقع

بين مدينتي شقلاوة وصلاح الدين وعندما سألت عن هذه الدبابات أجيبت: كانت معركة ضخمة أندحر فيها الجيش العراقي وعليك بسؤال الأخ مسعود عنها.

وهنا تنهدت وسألته: ذكرياتك عن موقعة (كوّرِىّ).. وتأملت وقع الكلمات على وجهه فوجدته يغالب ابتسامة سعادة عريضة وهو يدير شريطاً من ذكريات سعيدة.......

في ١٢ مارس آذار ١٩٩١ كنت في شقلاوة ووصلتنا رسالة من رئاسة الجمهورية تقترح الدخول في مفاوضات مع الحكومة العراقية.. عرضت الأمر على قيادة الجبهة (الجبهة كانت قد تشكلت من ٨ أحزاب عام ١٩٨٨ وهي الحزب الديمقراطي الكردستاني - الاتحاد الوطني الكردستاني - الحزب الاشتراكي الكردي (پاسوك) - الحزب الاشتراكي الكردستاني العراق - الحزب الشيوعي العراقي - حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني - حزب كادحي كردستان - الحركة الديمقراطية الآشورية) تم إعداد الرد في ١٤ مارس آذار واستلم الرسول الرد.. وفي الطريق بين أربيل وكركوك تعرضت سيارته للقصف.. وهرب الرسول من السيارة التي احترقت ومعها الرسالة..

نحن تصورنا أن رسالتنا قد وصلت إلى الحكومة العراقية لأننا لم نعرف ماذا حدث للرسول وللرسالة.. ولما لم يأتينا أي رد تهيأنا لتحرير كركوك وحررناها في ٢١ مارس آذار بعدها عاد إلينا الشخص ليحكي لنا ماذا حدث له.. في نفس الوقت حدث هجوم معاكس من قوات الحرس الجمهوري أدى إلى استعادتهم مدينة كركوك.. وبعدها كانت هناك نسخة أخرى من الرسالة أرسلت مع آخر ووصلت إليهم.. تصورت الحكومة العراقية أن

رسالتنا هي طلب استسلام من ضعيف.. فتقدمت القوات العراقية إلى أربيل واستولت عليها.. وعرضوا علينا خياراً واحداً فقط وهو الاستسلام وتسليم السلاح بدون أي قيد أو شرط.

ورفضت الإجابة على رسالتهم الجديدة وطلبت من الرسول أن يبلغ الحكومة العراقية شفاهة رفضنا القاطع لهذا الأسلوب وأن هذه اللغة لا نفهمها ولسنا على استعداد لأن نفهمها أيضاً.. نحن فقط على استعداد للمقاومة حتى النهاية.

لكن إذا رجعنا لواقع الحال لتبين الموقف الحقيقي والذي تدركه بغداد جيداً وتجعلها تتحدث بهذه اللهجة الجافة.. سنجد أن ميزان القوى ليس في صالحنا على الإطلاق.. فقواتنا غير كافية عدداً وعدة.. ولا مجال للمقارنة بينها وبين قوات الحرس الجمهوري.. يضاف إلى هذا الجانب المعنوي وله أهميته.

فذكريات أنفال وحلبجة والسلاح الكيماوي مازالت دامية في الأذهان.. واعتقاد الجماهير الكردية الجازم أن القوات العراقية على استعداد تام لتكرار ذلك من جديد.. بدأت في محاولة لشحذ همم المواطنين على المقاومة.. خطبت في الجماهير الكردية في راوندوز.. ووعدتهم بأن أكون أنا في المقدمة لأنني لست على استعداد لأن أعود من جديد لاجئاً في إيران أو الولايات المتحدة.. فإما أن أسترد لشعبي حريته أو أحفر قبري بيدي داخل أرضي.. أما أن أعود لاجئاً من جديد فلا وألف لا..

كل قواتي كانت بالضبط ٩٧ مقاتلاً فقط وأثمرت نوعاً ما خطبتي فانضم لي مزيد من المقاتلين لتصبح في حدود ٢٠٠ مقاتل مطلوب منهم أن

يواجهوا جيشاً بالكامل.. وجدنا أن أنسب مكان لمواجهة قوات الحرس الجمهوري المتقدمة هي منطقة كوّرِىّ فالطريق عندها صاعد وملتوي وعلى يمين الطريق الصاعد من اتجاه أربيل منحدر شديد بعده عائق مائي ثم مرتفع جبلي وعلى اليسار هناك مرتفع جبلي.. كانت الفكرة هي الاستعانة بالصديق التقليدي الدائم للأكراد على مر التاريخ وهو الجبل.. كمن الرجال في هذه المنطقة وأصبح الطريق تحت السيطرة الكاملة لهم.

وفي ٧ أبريل نيسان ١٩٩١ تم رصد أرتال دبابات الحرس الجمهوري وهي تتقدم في اتجاه منطقة كوّرِىّ.. وكمن الرجال إلى أن أصبحت الدبابات في مرمى النيران فتم إطلاق أول قذيفة والتي أصابت إحدى الدبابات إصابة مباشرة.. وهنا دب الذعر في قوات الحرس الجمهوري فلاحقتها القذائف وهي تتراجع وتم إصابة ثلاث دبابات أخرى.. وعادت القوات من حيث أتت بعد أن تعرضوا لهزيمة ضخمة.. كان لهذه المعركة فعل السحر على المواطنين الأكراد فانضموا إلى قواتنا بأعداد كبيرة حتى زادت تلك القوات بشكل ملحوظ.

وبعد ثلاثة أيام.. في يوم ١٠ أبريل نيسان عاودت قوات الحرس الجمهوري هجومها من جديد وبدرجة أشد ولكننا كنا أقوى عددياً ومعنوياً من المعركة السابقة وتم هزيمة هذا الهجوم بل تم أسر عدد من الضباط العراقيين قمنا بإعادتهم إلى السلطات العراقية في حماية قواتنا بعد ذلك.

وصلتني برقية من الأخ جلال الطالباني يعلمني فيها بأن بغداد تعرض المفاوضات من جديد.. ورحبت بالعرض.. وبدأت المفاوضات..

عند هذا الحد قدمت للأخ مسعود نسخة من الكراسة الاستراتيجية

الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية بعنوان (المسألة الكردية في العراق وتركيا ) أخذها مني شاكراً ثم قرأ الإهداء وشكرني على هذا الجهد واعداً أنه سيقرأها بسعادة.

دخل رجل وهمس في أذنه وهنا قال الغذاء حاضر تفضلوا ونهضنا لتناول الغذاء وعلى مائدة الغذاء أخذ الحوار طابعاً خفيفاً تبودلت فيه الكلمات الطيبة والدعابات أذكر أنني قلت له أنه كانت هناك وسيلة للإعدام لدى الرومان ونظرت للدكتور سعدي البرزنجي عميد كلية القانون وطلبت منه أن يقول هو ما هي تلك الوسيلة.. فقال الدكتور سعدي كانوا يضعون السجين في غرفة مغلقة ويطعمونه اللحم فقط إلى أن يموت.. هنا قلت أنا أقول ذلك دائماً فكل أكلكم هو لحم ويبدو أنكم تريدون إعدامي على الطريقة الرومانية وضحك كثيراً..

وبعد انتهاء الغذاء جلسنا من جديد وقال لي مؤكداً أنت في وطنك وقابل من تشاء وتحدث مع من تشاء وأنت في النهاية الذي تحدد موعد سفرك وزيارتك لنا مفتوحة إلى أي وقت تريد..

داعبته قائلاً: أم حمادة زوجتي زعلت مني كثيراً لأنها كانت تود الحضور إلى كردستان معي.

قال: أهلاً وسهلاً دعوة خاصة للست أم حمادة.

قلت: والأولاد..؟

قال: والأولاد.

قلت: وأنا..؟

قال ضاحكاً: لماذا أنت..؟

قلت لأكون محرم لزوجتي (بكسر الميم الأولى وتسكين الحاء).

ضحك كثيراً وقال بالنسبة لك دعوتك لزيارتنا قائمة في أي وقت أنت وحدك الذي تحدد موعد هذه الزيارة..

وقبل أن أصافحه مودعاً ارتسمت على وجهي علامات الجد وسألته سؤالاً مباغتاً: كاكا مسعود.. ماذا أخذت من الراحل الملا مصطفى البارزاني..؟

فوجيء بالسؤال ولكنه ابتسم وقال تريد الإجابة الآن..؟.. كيف..؟.. هذا أمر يحتاج إلى جلسة طويلة قلت: أريد ذلك في كلمات بسيطة.

أسهم قليلاً ثم قال: أخذت منه حب شعبي وأنني مهما ضحيت في سبيل هذا الشعب فإنه يستحق المزيد.

مع ..

## رئيس الحكومة

يرأس حكومة الإقليم الدكتور رۆژ نوري شاوەيس.. وحرف الراء الذي تعلوه ثلاث نقاط ينطق كما ننطق في مصر حرف الجيم الذي أسفله ثلاث نقاط..

كان لقائي بالدكتور رۆژ في مقر الحكومة يوم الأحد الموافق ٦/٢٠ الساعة ١٠,٣٠ صباحاً استقبلنا بحفاوة بالغة.. تناولنا في البداية القهوة المرة.. تحدث عن الجهد الكبير الذي يقوم به.

سألته: أعلم أن تحديات كثيرة قابلتكم أهمها عدم الخبرة الإدارية.. كيف تسنى لكم تذليل هذه الصعاب؟..

قال: توجهنا للجميع.. ناشدناهم.. هذه بلدكم تحتاج إليكم وإلى خبراتكم وعلى كل إنسان ألا يضع في اعتباره الماضي أو التاريخ أو الإلتزام الحزبي.. نحن نريد طبقة التكنوقراط لإدارة العمل.. التاريخ الحزبي لن يقوم بصيانة ماكينة.. جاءت إلينا الكوادر الفنية من كل صوب تلبية للنداء.. وحاولنا.. والحمد لله أعتقد أننا استطعنا أن ننهض..

سألته: هل تتصور أن التحدي الموجود داخل كل منكم كرد فعل لتحد

خارجي تمثل في سحب الإدارات المدنية العراقية.. ألم يكن هذا التحدي من قبلكم عاملاً هاماً في نجاحكم..

أجاب: بكل تأكيد وهو أمر نعتز به فعند الشدائد تظهر المعادن الحقيقة للرجال وفعلاً كان هناك من يصل الليل بالنهار في عمل متواصل.

سألته: الحزب في الجبل والحكومة في المدينة.. أليس لهذا الأمر دلالة ما...؟

أجاب: ربما.. الجبل هو الصديق الوحيد للأكراد كما تعرف والحزب كان مكانه النضالي في الجبل لذلك فمن الأمور المنطقية أن يستمر مكانه في الجبل.

أما الحكومة فهي جهة الإدارة.. والإدارة أمر جديد علينا بل وعلى الكثير من الشعب الكردي الذي عاش حياته مناضلاً في الجبال لذلك كان يجب أن تكون الحكومة في المدينة ووسط الإدارات المدنية والناس.

سألته: هذا الأمر ألا يكون مريحاً لك كرئيس حكومة تعمل بعيداً عن الحزب وتدخلاته أحياناً..؟

أجاب: ليس بالضبط هكذا فأنا في نفس الوقت عضواً بالمكتب السياسي للحزب وهو أعلى سلطة قيادية فالتناقض إذن غير موجود.. وضغط طرف على طرف غير وارد أو تدخل هذا في شأن الآخر غير وارد.

سألته: عندما يحدث خلاف بين الحكومة بوزاراتها المختلفة أو حتى بإداراتها المختلفة وبين الحزب عند أي مستوى تنظيمي.. لمن يتم الاحتكام؟

أجاب: يتم الاحتكام على مراحل حسب الدرجة الإدارية والدرجة الحزبية التي حدث عندها الخلاف ويتم التصعيد إلى أن يعرض الأمر في النهاية

على المكتب السياسي والذي يرأسه كاكا مسعود.. وصدقني هذا الأمر لم يحدث على الإطلاق..

سألت: ما هو مصدر القوانين والتشريعات التي تحكم عملكم..؟

أجاب: نحن نستخدم كافة القوانين والقرارات الإدارية العراقية التي كانت سائدة في المنطقة.. وإذا وجدنا أن أي قانون أو قرار يحتاج إلى تعديل فإن ذلك يتم من خلال برلمان الإقليم..

صمت قليلاً الدكتور رۆژ ثم قال صدقني لم نكن نتوقع أن تدوم هذه التجربة طويلاً ولأكثر من شهور معدودة ولكنها دامت والحمد لله وها أنت ترى النتائج.

أحسست أن وقت الدكتور رۆژ مشحون بآلاف المشاكل والأمور وأن الهاتف لا ينقطع عن الرنين وأننا بهذه الجلسة نتعدى على حقوق الآخرين الذين تتعلق مصالحهم بدقائق من وقت الدكتور رۆژ يعطيه لهم من أجل تلك المصالح..

شكرته ونهضت.. أصر بأدب شديد على مرافقتي أنا والأخ عمر بوتاني إلى الدور الأرضي ومن ثم إلى خارج المبنى.. حاولت إثناؤه.. ضحك قائلاً هي فرصة أشم فيها الهواء الطبيعي النقي المحروم منه بسبب أعباء الوظيفة..

وأنا أستعد لركوب السيارة، فوجئت بأحد موظفي الحكومة يقترب ليصافحني واستجمعت ذاكرتي سريعاً في نفس الوقت الذي كان يقدمه لي الدكتور رۆژ قائلاً: كاك رفيق مدير الديوان العام.. هتفت أعرفه أعرفه كان يشغل مدير آثار أربيل وكان مقره في القلعة وكان عضواً بارزاً في نشاط

نادي السينما بمديرية الثقافة الجماهيرية والذي كنت أتولى مسئوليته متطوعاً، وكانت بيننا مساجلات فكرية طويلة وتعانقنا وتبادلنا كلمات قليلة احتراماً لوقت الدكتور رؤژ الذي أصر ألا يغادر المكان إلا بعد أن أصعد إلى السيارة وتتحرك السيارة وهو يحييني مودعاً..

مـــع . .

## رجل الأمن الأول

مساء الأحد الموافق ١٩٩٩/٦/٢٠ أبلغني الأخ عمر بوتاني أننا مدعوان إلى منزل الأستاذ فاضل ميراني وزير الداخلية..

ذهبت إلى داره في الحي أو المحلة التي كانت تسمى سابقاً باسم ٧ نيسان (عيد تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي).

استقبلنا في منزله بحفاوة بالغة وأدب جم ثم دعانا إلى مائدة العشاء في الحديقة والتي حرصت السيدة الفاضلة حرمه أن تكون معنا على المائدة وهي عادة كردية متأصلة رصدتها منذ الثمانينيات في أي بيت كردي كنت أُدعى إليه..

وعندما تحدد لي موعد لقائه بالوزارة صباح الأربعاء الموافق ٦/٢٣ شعرت أنني ذاهب للقاء صديق قديم وأخ عزيز فاضل..

حضر اللقاء في الوزارة اللواء مدير الأمن العام واللواء الحقوقي عميد كلية الشرطة.

بعد ذلك بدأ الحوار بيننا.. سألته

الفساد ومدى تواجده في المنطقة..

أجاب بهدوء لا يمكن على الإطلاق أن أنكر وجود الفساد.. هو موجود لكننا والحمد لله نلاحقه باستمرار ونتعقبه، المهم أنه لا يوجد فساد نتستر عليه وعلى سبيل المثال بالنسبة لي شخصياً فأنا أرفض الوساطة في أي شيء والمثال على ذلك بكلية الشرطة أرفض نهائياً أي استثناءات في القبول.. هناك ضوابط وشروط من تنطبق عليه يلتحق أما من يفقد شرطاً من هذه الشروط فلا يمكن على الإطلاق أن يجد مكاناً له في الكلية..

وهنا سألته: ولكن جرى العرف أن هناك نسبة معينة يترك أمر قبولها لوزير الداخلية.. ألا يوجد هذا لديكم..؟

وهز رأسه باصرار: أبداً.. وحتى لو كان القانون يعطيني هذا الحق فأنا أرفض تماماً استخدامه.. وصدقني هذا شيء أراحني كثيراً.. أنت تعرف أننا مجتمع عشائري فضلاً عن وجود زملاء أعزاء في الحكومة وفي المكتب السياسي للحزب وغير ذلك.. فلو فتحت أي باب للاستثناءات وأعطيت لنفسي أي حق فإنني سأتعب كثيراً لأني لن أستطيع تلبية كل هذه المطالب لأن كل عضو في المكتب السياسي له قريب.. كل عضو في الحكومة أيضاً.. كل زعيم عشيرة.. وهكذا.. الأفضل أن أرفض تماماً لنفسي هذا الاستثناء حتى لو جاء في القانون فما بالك إذا لم يكن ذلك في القانون.

سألته: بالنسبة لحقوق الإنسان: ما هي ضماناتها..؟

من حيث المبدأ أنا أصدرت أوامري بأن يسمح لأي جمعية لحقوق الإنسان محلية أو إقليمية أو دولية بدخول السجون في أي وقت بل ومخافر الشرطة ومديريات الأمن بلا أي ضوابط.. وبالطبع أنت تعرف أن منطقتنا للظروف الخاصة التي تمر بها توجد بها هيئات ومنظمات إنسانية دولية تصل إلى

حوالي (٤٠) منظمة وهيئة لذلك فإنه يصعب حدوث أي انتهاك لحقوق الإنسان في المنطقة في ظل هذا الوجود الدولي المكثف.

وسألته: أليس لحالة التعددية الحزبية التي تمارس حالياً في كردستان العراق دور في متابعة وملاحقة أي انتهاك لحقوق الإنسان؟

وأجاب: بالطبع.. هل تعلم أن عدد الأحزاب المجازة في كردستان العراق وصل إلى ٢٢ حزباً وحركة سياسية مجازة من قبل وزارة الداخلية بحكومة إقليم كردستان العراق.. وإذا كان لهذه الأحزاب صحفاً وإذاعات ومحطات تليفزيون ومكاتب في الخارج.. وتتحدث وتنتقد ألا يشكل هذا رادعاً لأي انتهاك لحقوق الإنسان.. وكشفاً لأي حالة قد تحدث..؟..

ولم أجد سوى كلمة واحدة: صحيح..

بعد انتهاء زيارتي لوزير الداخلية أصطحبني عميد كلية الشرطة اللواء الحقوقي جميل خدر خوشناو إلى الكلية وشرح الأهمية التي كانت وراء إنشاء هذه الكلية..

عندما وجد الأكراد أن من المحتم عليهم إدارة أمور إقليمهم بأنفسهم فإن العديد من الضباط الأكراد الذين كانوا في السابق في السلك الأمني العراقي انضموا إلى الجهاز الأمني وجهاز الشرطة بالإقليم.. وظهرت الحاجة إلى رفد هؤلاء بضباط جدد كل عام ولم يكن من الطبيعي أن يتم ذلك من خلال كلية الشرطة ببغداد إذ يجب أن يتم ذلك بإمكانيات محلية.. وتم فتح الكلية..

يقول اللواء جميل استعنا بتدريس المواد القانونية بالأساتذة في كلية القانون والسياسة جامعة صلاح الدين.. أما بالنسبة لمواد الشرطة فتم

الاستعانة بكبار ضباط الشرطة في المنطقة. وتم تحديد المنهج الدراسي مطابقاً للمنهج الدراسي في كلية الشرطة ببغداد والحمد لله.. الكلية ثلاث سنوات دراسية مثل بغداد تماماً.. حالياً لدينا الصف الأول والثاني والثالث فالكلية عمرها قصير وتم بناؤها بالإمكانيات المتاحة هذا العام سيتخرج منها أول دفعة.

وتأملت اللواء جميل وهو يتحدث في حماسة.. أحسست أنه يتحدث عن وليد عزيز له أنجبه ثم تعهده بالرعاية وها هو يشب عن الطوق يانعاً يبشر بالخير.. تفقدت معه الكلية وأماكن الطعام والمبيت وساحات التدريب ووجدت أنه كان على حق في حديثه الحماسي عن الكلية وعن هذا الوليد الذي شب عن الطوق.

## مــم ..
## وزير الثقافة

في الطريق من دهوك إلى صلاح الدين وفي أول الزيارة فاتحت الأخ عمر بوتاني برغبتي في لقاء الأستاذ فلك الدين كاكەيي وزير ثقافة الإقليم فوجئت برد الأخ عمر: أعتقد أنه في منتهى الصعوبة أن تلتقي بكاك فلك الدين.. لماذا..؟ قال: حالياً تجري الترتيبات لعقد المؤتمر الثاني عشر للحزب الديمقراطي الكردستاني وأول تلك الترتيبات هي تسمية أعضاء المؤتمر وهذا يتم بالانتخاب المباشر في كافة القواعد والأستاذ فلك الدين يقوم بهذه العملية الديمقراطية ويباشرها بنفسه لأنه يرأس اللجنة التحضيرية للمؤتمر..

عرفت فيما بعد أن هذه اللجنة تتشكل من ٦٠ عضواً من ضمنهم تسع سيدات ومرت أيام الزيارة وكلي أمل في أن ألتقي بالأستاذ فلك الدين لأكثر من سبب منها أنه وزير الثقافة وهذا القطاع بالذات يشكل لي اهتماماً خاصاً وأن آخر أيام عملي في أربيل كانت في مديرية الثقافة الجماهيرية.. ومنها أيضاً أنني منذ فترة قرأت له مقالاً في مجلة گولان انتقد فيه بعض جوانب الحوار العربي الكردي.. وقد أسعدني ذلك فها أنذا أقرأ لرجل من

المنظومة الحاكمة مؤتمراً شاركت فيه الحكومة والقيادة السياسية وهذا بالنسبة لي مؤشر جيد في الرأي والرأي الآخر حتى عند النخبة الإدارية العليا وأعتبره أمراً جديداً على المنطقة.

وأثناء لقائي بالأستاذ فاضل ميراني وزير الداخلية وخلال الحوار أبديت له أسفي لأنني لن أتمكن من لقاء الأستاذ فلك الدين وزير الثقافة بسبب الجهد الملقي على عاتقه هذه الأيام.. لم يلتفت الأستاذ فاضل مشكورا إلى تحفظي هذا وطلب من السكرتير أن يرسل برقية لوزير الثقافة يخبره برغبتي في لقائه..

ومساء نفس اليوم الأربعاء ٦/٢٣ كانت محاضرتي بمقر الحزب الديمقراطي الكردستاني في أربيل وأصر الرفاق في الحزب على دعوتي للعشاء وبقيت معهم إلى حوالي الساعة ١١ م ثم صعدت إلى مقر الضيافة بصلاح الدين ففوجئت بمشرف الدار يخبرني بأن الأستاذ فلك الدين حضر إلى الدار في العاشرة والنصف وانتظرني لأكثر من نصف ساعة ثم انصرف.. أحسست بالخجل مما حدث وأحترت كيف أتصرف..!!

في الصباح طلبت الاتصال به هاتفياً وعندما اعتذرت أخجلني أكثر بأدبه الشديد بأنه لا مجال للاعتذار لأنه لم يكن هناك موعداً مسبقاً بيننا.. ثم طلب موعداً للقاء واتفقنا على الساعة العاشرة والنصف مساءاً لأنني في هذه الليلة لدي حوار تليفزيوني على الهواء في محطة گولان..

في تمام الساعة العاشرة والنصف بالضبط وجدت باب دار الضيافة يفتح ويدخل منه الأستاذ فلك الدين كاكەيي وزير الثقافة.. تعانقنا وكأن هناك معرفة عميقة سابقة.. تأملته.. أحسست أنني أجلس إلى أحد الشعراء أو

الأدباء الروس الكلاسيك العظماء وبالذات بوشكين أو تشيكوف.. هيئته.. نظرته الهادئة العميقة..

وبدأنا سريعاً الحوار ولقد شجعني فقد انطلق متحدثاً دون توقف في موضوعات كانت تهمني حتى قبل أن أسأل:

اليوم تعرضنا لموقف غاية في الطرافة في عمليات انتخاب مندوبي المؤتمر في إحدى المناطق.. المنطقة جبلية والوصول إليها ومن ثم العودة قد يأخذ اليوم بأكمله.. لكن لا بد أن تتم عملية الانتخاب بالأسلوب الديمقراطي.. توصلنا إلى حل بعد موافقة جميع الأطراف هو أن نأخذ عملية التصويت من خلال جهاز اللاسلكي.. وفي حضور مندوبين لنا هناك.. كان الشخص يأتي إلى الجهاز ويقول أنا فلان.. والمندوبين يؤمنون لنا على ذلك نعم هو فلان فنقوم بالتأشير في كشوف معنا على اسمه ثم نقول له تختار من ؟ فيقول أختار فلان.. وبهذه الطريقة استطعنا أن ننجز مهمة أعتقد أنه ما كان يمكن إنجازها.

وسألته أليس ذلك ضد مبدأ سرية التصويت وما يترتب على ذلك من حرية الناخب في الاختيار دون ضغوط.. فأجاب:

أعتقد أن السرية كانت متوفرة لأن هذا الأمر كان يتم بعيداً عن المرشحين وقد أكدنا على ذلك.. فضلاً عن أن المنافسة لدينا ليست بهذه الحدة التي تتم في غيرها من الانتخابات.. المواطن يهمه شيء واحد فقط هو نجاح التجربة في الدرجة الأولى.. والأسماء تأتي بعد ذلك من حيث الأهمية..

وسألته: لماذا وقع الاختيار عليك لتولي هذه المهمة الخطيرة.. ؟

أجاب: كان هذا التكليف أمانة كبيرة ومقدسة وعبء ضخم ومسئولية

غـاليـة وأنا طبـعـاً أشعـر أنني مـدين بالامـتنان للرئيس مـسعـود البـارزاني وللمكـتب السـيـاسي للحـزب لهـذه الثـقـة الغـاليـة في شـخصي وفي زمـلائي أعضاء اللجنة.

وسألتـه: من خلال تجربتك في رئاسة هذه اللجنة ومتابعتك لنشـاطها ألا ترى في العملية الانتخابية بعض المؤشرات بالنسبة لتجربتكم.. ؟

أجاب: بالطبع لقد كانت الانتـخابات الأوسع في كردستان منذ انتـخابات عـام ١٩٩٢ وحتـى الآن أفرزت هذه الانتـخابات عناصر ممتـازة أنا عـلى ثقة من أنها ستسهم إسهاماً كبيراً في إنجاح المؤتمر الـ ١٢ للحزب.

وانتقلنا إلى الحديث عن الثقافة والإعلام.. قال:

عندما توليت المسئولية فـقد توجهت إلى مـختلف الكوادر المثقفة بالإقليم وعـرضت عليهم التـعاون مـعنا.. بل إن الذين بلغـوا سن التـقاعـد تم تعـيـينهم كمستشارين ثقافيين لأن المثقف في رأيي لا يحال للتقاعد.. مسألة الانتماء الحزبي السابق أو الحالي لم تؤخذ في الاعتبـار.. نصدر العديد من الصحف والمجـلات إضـافـة إلى تشـجـيع التـأليف في مـجالات الإبداع المخـتلفـة في الشعر والقصة والمسرح.. وأعتقد أننا حققنا الكثير..

سألتـه عن بعض الأسمـاء التـي كـانت لي عـلاقـة سابقة بها ففوجئت أنه وهو الوزير يعلم الكثير عن كل من سألت عنهم...

في خاتمة لقـائي معـه أهديتـه نسخـة من كراسات استـراتيـجيـة (المسألة الكردية في العراق وتركيا من تأليفي) أخذها شاكراً وانصرف..

في صباح اليوم التـالي اتصل بي طالباً لقاءاً آخر معي اتفقنا على عـصر هذا اليـوم.. وحـضر لـي في تمام السـاعـة الخـامـسـة وفـوجئت به قـد حـضر كي

يهديني مكتبة ضخمة من الكتب الخاصة بالمسألة الكردية.. قال لي بتواضع جم:

لقد قرأت المراجع التي اعتمدت عليها في مؤلفك كراسات استراتيجية وقررت أن أهديك الكتب الغير موجودة في هذه المراجع..

شكرته ولكنه ودعني وهو ينصرف سعيداً وشعرت أنه هو الذي يشكرني لأنني أعطيته الفرصة كي يتمكن من أداء واجب كان يجب عليه أن يؤديه من وجهة نظره.

مـــع ..

## وزير الزراعة والري

عند حـضـوري من دهوك إلى أربـيل وفي الطريـق عند عـقـرة كـانت هناك استـراحـة صـغـيـرة أو مـقـهى شـعـبي في حـضن جـبل تنزل منه المياه البـاردة الرائقة، هتف الأخ عـمر بوتاني للسائق قف هنا.. لي صديق عزيز يجلس مع هؤلاء.. وتوقـفت السـيـارات ونزلنا منهـا ليـقف الدكـتـور حـمـيد ئاكرەيى وزير الاتصالات ووزير الزراعة والري بالوكالة.. محيياً ومستقبلاً.

وفي مسـاء الجمعة حضر إلى مقر إقـامـتي بصلاح الدين كي يشـارك في الترحيب بي وكانت أمسية رائعة شارك فيها الدكتور حميد والدكتور سعدي البـرزنجي والأخ عمر بوتاني والأخ غازي الزيباري كان الحديث خلالهـا خليط من الحديث الجاد في العديد من الأمـور الهـامـة مثل كـيـفـيـة إدخال نظم الري الحديثـة (التنقيط والرش) إلى المنطقة لتـرشيد استـخدام المياه والاستـفادة من تجربة مصر في ذلك.. إضافة إلى الدعابات والقفشات المصرية..

وفي يوم الإثنين ٦/٢١ كـان لقـائي مع الدكـتـور حـمـيـد في مكتـبه بوزارة الزراعة والري وقد حضر اللقاء كافة وكلاء الوزارة والمسئولين بها..

تطرق اللقـاء إلى مـشـاكل الزراعـة في الإقليم خـصـوصـاً وأن المطر كـان

شحيحاً هذا العام وقدموا لي جدولاً بمعدل سقوط الأمطار في محافظة أربيل هذا العام مقارنة بالأعوام السابقة فكان المعدل في الموسم ٩٨/٩٩ هو ١٨٥,١ ملم في حين أنه وصل في موسم ٩٤/٩٥ إلى ٦٩٤,٤ ملم وكان في الموسم السابق ٩٧/٩٨ هو ٤٠٣,٣٩ ملم وأن هذا المعدل المنخفض هذا العام أدى إلى شحة كبيرة في مناطق الرعي بالمنطقة ورغم ذلك فإن الأخوة من الرعاة العرب العراقيين تم دعوتهم ضيوفاً أعزاء وفي وطنهم كي يشاركوننا في هذه المراعي القليلة.

وقد سألته عن العدد التقريبي لرؤوس الأغنام التي وصلت إلى المنطقة من المنطقة العربية.. وأجاب أحد المسئولين حتى الأمس كان عدد الأغنام التي وصلت في حدود مليون رأس غنم وهو رقم ضخم كما ترى.

القرار ٩٨٦ الصادر عن الأمم المتحدة وهو المعروف بقرار النفط مقابل الغذاء يرى الدكتور حميد أن له آثاراً سلبية على الزراعة في المنطقة، فمن خلال هذا القرار يصل الطحين إلى المواطنين مما يؤدي إلى قلة في الطلب على القمح الذي ينتجه الفلاحون.. التسويق حالياً أصبح في منتهى الصعوبة وقد طلبنا من الأمم المتحدة أن يستبدلوا الطحين بالقمح حتى نستفيد على الأقل بالنخالة في العلف الحيواني إضافة إلى زيادة الطلب على القمح لدى المزارعين ولم يجيبونا إلى طلبنا.

لكن هل تقدم الحكومة دعماً للمزارعين من خلال الوزارة.. ؟.. سألت الدكتور حميد فأجاب بالطبع عمليات مكافحة الآفات تقوم بها أجهزة الوزارة وبالمجان.. الخدمات الإرشادية المجانية كانت الصلة في الماضي قد انقطعت بين الفلاح والدائرة الزراعية الآن الصلة عادت من جديد.. أربيل

وحدها بها ٢٢ فرع زراعي يقوم بكافة الخدمات الزراعية المجانية للمزارعين..

لكن ما هي مشكلات الزراعة.. ؟

أجاب أهم المشكلات هي مسألة النزاع على الأراضي وعودة المهجرين إلى قراهم ليجدوا أن هناك من تملك أراضيهم بموجب سندات ملكية.

من المشاكل أيضاً عدم مقدرة بعض الفلاحين على استغلال أراضيهم لوجودها في مناطق عسكرية أو جنوب خط العرض ٣٦ حيث لا حماية لهؤلاء..

ولاشك أن معدل الإنتاج متدني هذا العام بسبب مشاكل الجفاف والمعدل لا يصل إلى ربع العام الماضي في أفضل الأحوال.

## مــــع المسؤولين في :
## مديرية شرطة أربيل

بعد انتهاء محاضرتي في الفرع الثاني للحزب الديمقراطي الكردستاني تقدم إلي عقيد بالشرطة ولاحظت لأول مرة أن ملابسه هي نفس ملابس الشرطة العراقية وكذلك الرتب العسكرية.. قال لي: أثناء زيارتك صباح اليوم للسيد وزير الداخلية طلبت بيانات عن حالة الأمن في المحافظة.. ثم دعاني صباح اليوم التالي الخميس لزيارة مديرية الشرطة للإطلاع على هذه البيانات.

وبعد انتهاء زيارتي للأستاذ عزيز محمد السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي في منزله توجهت إلى مديرية شرطة أربيل واستقبلني اللواء مدير الأمن العام واللواء مدير المرور العام ومدير شرطة أربيل..

تطرق الحوار إلى حقوق الإنسان في المنطقة وهل هناك انتهاك لتلك الحقوق أم لا.. وكان العقيد مدير شرطة أربيل هو المفوض في الحوار والإجابة على تساؤلاتي.

قال: سأعطيك مثالاً واحداً يوضح أننا نحافظ على حقوق الإنسان ولا نسمح بأي انتهاكات لذلك داخل دوائر الشرطة في المحافظة.. لقد قمنا

بتركيب مبردات هوائية في السجون قبل آن نقوم بتركيب مثلها في دوائرنا لأن منطلقنا إنسانياً.. فهؤلاء المسجونين بالطبع موجودين في أماكن مغلقة وأعدادهم كبيرة في هذه الأماكن ورغم أنهم يقضون فترات عقابية إلا أننا فضلناهم علينا..

سألت عن وضع الأمن العام حالياً مقارنة بالسنوات السابقة.

قال: في وقت من الأوقات لم يكن هناك أي أمن على الإطلاق بالمنطقة لقد وصل الحال إلى أن البعض كان يخاف على سيارته من السرقة فكان يرفع إطاراتها الأربعة ثم يأتي برافعة تضعها على سطح داره ويستغني نهائياً عن حاجته لها كسيارة.

كان المواطنون في أي شارع أو محلة يكونون فيما بينهم نظام للخفارة بالتناوب يقومون فيه بالحراسة على بيوتهم من اللصوص.

حالياً أستطيع أن أقول أن الناس في أمن وأمان ليس بدرجة ١٠٠٪ فهذا لا يمكن أن يكون أبداً في أي مكان ولكن على الأقل بدرجة ٩٠ ٪ فالمواطن يستطيع ترك أغراضه بالشارع أمام بيته وهو متأكد أنه لن يمد أحد يده إليها ، معدل الجريمة انخفض إلى حد كبير حالياً..

وعن العلاقة بين رجال الشرطة والمواطنين فقد جرت العادة أن يشعر الإنسان برهبة عند دخوله إلى أي مكان للشرطة.

أجاب بالنفي القاطع هذا الأمر غير موجود نهائياً فمبدأ أن الشرطة في خدمة الشعب مطبق بحذافيره ومخفر الشرطة هو ملاذ للمواطنين من أي ظلم وأبوابه مفتوحة لأي مواطن في أي وقت وبكل ترحاب.

مــم ..

# حمامة السلام الداخلي

عندما شرفت باستقبال وفد الحزب الديمقراطي الكردستاني لمؤتمر الحوار العربي الكردي بالقاهرة نيابة عن اللجنة المصرية للتضامن التقيت بالأستاذ عزيز محمد والذي كان عضواً بالوفد وأجريت معه حواراً مطولاً وهذا الحوار هو موضع اعتزازي حتى الآن..

والأستاذ عزيز محمد في حد ذاته تاريخ نضالي ليس على المستوى الكردي فحسب بل على المستوى العراقي بأسره إذ تولى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي لفترات طويلة..

أذكر من حواري مع الأستاذ عزيز محمد في تلك الليلة بصالة كبار الزوار في مطار القاهرة الدولي إجابته على هذا السؤال:

ـ هل بالإمكان قيام فيدرالية في غياب نظام ديمقراطي حقيقي في بغداد ؟.. وأجاب بشكل قاطع:

ـ اعطني ديمقراطية أتخلى فوراً عن كل القضايا.

وظلت هذه الجملة في ذهني أستشهد بها في أي كلمة أقولها..

فالديمقراطية تحل كل المشاكل.. الديمقراطية هي الضمان الحقيقي لوأد أي مشكلة أصلاً في مهدها.

استقبلني في داره معانقاً وهو يرتدي الملابس الكردية وقال لي بابتسامته الهادئة التي تخفي ورائها الكثير وبلهجة قلد فيها المصريين: أنا مش عزيز.. أنا أخوه.. ضحكت: لا يا أستاذ عزيز لم تقول هذا الكلام..؟

ـ هذه الملابس أنت لم تراني بها من قبل.

ـ أجبته: لا رأيتك بها كثيراً

قال: أين..؟

قلت: صورك وأنت ترأس اجتماعات اللجنة العليا للتنسيق بين الحزبين الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني..

ضحك وقال: عفية..

رغم ظلال الابتسامة التي ما فارقت وجهه إلا أنني لاحظت أن هناك حزناً عميقاً خلف هذه الابتسامة.

ما هي الحكاية يا أستاذ عزيز؟

قال في هدوء بالغ وهو ينتقي عباراته بعناية: الخلافات.. هذا هو همي الوحيد كلما بدت المصالحة الشاملة قريبة يستجد شيء على الساحة ليجعل منها سراباً.. الخلافات هي أكبر خطر يهدد شعبي ويهدد ما حققه حتى الآن من إنجازات.

وصمت قليلاً وأعطاني فرصة للحديث.. أنا أعلم مدى الجهد الذي بذلته بأمانة وإخلاص وقد نوهت عن هذا الجهد في الصحف المصرية ورحلاتك المكوكية بين صلاح الدين والسليمانية إلى أن تمكنت في النهاية من نقل

رسالة التحية الشهيرة من الأستاذ جلال الطالباني إلى الرئيس مسعود البارزاني في ١٩٩٧/١٢/٣١ والتي أدت إلى نتائج باهرة من خلال لجنة التنسيق العليا والتي كانت تجتمع كل خميس برئاستكم وينتظر نتائجها بفارغ الصبر جموع شعبكم الصابر.. إلى أن قطفت الولايات المتحدة ثمرة جهودكم ووقعت اتفاقية واشنطن بين الزعيمين الكرديين.

أجاب بإخلاص:

أنا لا يهمني أن أكون أنا وراء المصالحة أو غيري المهم هو أن تعقد هذه المصالحة.. هذا هو همي الأول والأخير.. اقترحت صيغاً عدة طبقت في حالات كتلك في بعض الدول الاشتراكية.. لكن الأحداث تحيط بنا من كل جانب وتلاحقنا وكلما تهدأ الأمور يستجد ما يخرجها عن هدوئها.. الخلافات تهدد بضياع كل ما تحقق..

تأملت وجهه وعيونه شعرت بأن هناك حزن عميق. ولكنه.. حزن نبيل..

قلت له قبل أن أنصرف أرجوك لا تيأس وأنا على ثقة من أن مثلك يصعب أن يعرف اليأس طريقاً إلى نفوسهم.. استمر في مهمتك وكل القلوب معك.. على الأقل دعاءاً بالتوفيق.. وترقباً لنجاح مساعيك.

## مــع ..

# ربيع العمــر

مساء الإثنين ٦/٢١ كان لقائي بعدد من الأصدقاء القدامى.. زملاء عمل.. وجيران.. وأصدقاء ربطتني بهم صداقة عميقة وصولاً إلى المستوى الأسري.. كان اللقاء في نادي الحقوقيين.. حضر هذا اللقاء من الأصدقاء الأساتذة / فيصل حسين العساف ـ دلّدارگردي ـ أديب شيت مصطفى ـ طلعت أغا العزيري ـ ثروت البشدري ـ سردار حميد ميران ـ تحسين كمال عبد الوهاب ـ عبد الخالق سرسام ـ زرار مولود القصاب ـ گوڤەند فتحي معصوم ـ كاوه فتحي معصوم.. وأرجو ألا أكون قد نسيت أحد..

أغلب هؤلاء الأصدقاء كانت ـ ومازالت ـ تربطني بهم في الثمانينيات صداقة عميقة وعلى المستوى الأسري.. وهناك آخرون لم تسمح الظروف بأن يشاركوننا هذه الجلسة الممتعة ربما لصعوبة الاتصال بهم أو لأن بعضهم حالياً في بلاد المهجر في أوروبا مع الهجرة المليونية.. وعن علاقتي بهؤلاء الأصدقاء..

الأستاذ / فيصل حسين عبد اللهّ العساف: هو أول من عرفت من هؤلاء

ومعرفتي به بدأت من القاهرة وفي عام ١٩٧٥.. كان أخي الأصغر المهندس/ عماد الدين قد سافر حديثاً إلى كردستان العراق وعمل مهندساً مدنياً بالمنشأة العامة للدواجن الشمالية في أربيل وأشرف على إنشاء حقول دواجن أربيل ثم كركوك.. ثم بادوش بالموصل ثم سميل بدهوك ثم الشرقاط بالموصل..

وصلتني رسالة منه تخبرني بأن صديقاً عزيزاً له سيصل إلى مصر بهدف الحصول على قبول للدراسات العليا في الجامعة.. ووصل الأخ فيصل وقمت له بما يمكنني القيام به وتم قبوله في الدراسات العليا بكلية التجارة جامعة عين شمس..

فيما بعد حضر إلى القاهرة لقضاء شهر العسل حيث كان قد تزوج حديثاً (رحم الله رحمة واسعة زوجته المرحومة أم همت والتي توفيت فيما بعد وبعد مغادرتنا كردستان العراق بحوالي عام.. لقد كانت بالنسبة لنا نعم الأخت الفاضلة)..

ثم بعدها عاد لبدء الدراسة وتعاونت معه في استئجار شقة في منطقة مصر الجديدة وظلت العلاقات بيننا أكثر من طيبة.. وفي القاهرة أنجب طفلته الأولى همت في المستشفى الإيطالي بالقاهرة وكانت زوجتي إلى جوارهما في هذه الظروف.

وسافرت إلى العراق وهو بعد ما زال في القاهرة.. ثم عاد بعد أن أنهى دراسته ليشغل منصب مدير الحسابات كما كان من قبل السفر وبعدها شغل منصب معاون المدير العام وفي المراحل الأخيرة شغل منصب المدير العام..

وأشهد أنه خلال هذه الفترة كانت علاقاتنا الأسرية أكثر من ممتازة بل

أشهد أيضاً أنه وهو في موقع المسئولية كان هناك شيء ما يجعله لا يرفض لي طلباً أو يعاتبني على أي خطأ إداري.. بل كثيراً ما كان يقف موقف المدافع عني في حضوري وفي غيابي.

أما الأستاذ طلعت أغا: فمنذ بداية تعييني في التخطيط والمتابعة بالمنشأة العامة للدواجن كان طلعت أحد الأعمدة الرئيسية للمكان.. سريعاً ما تآلفنا فهو من النوع الذي لا يحب أن يحمل هماً يحكي حكايا عن أمور وقع فيها ضحية لمقالب من الزملاء في قالب ساخر يدعو إلى الضحك.. وكان لابد أن نأتلف سريعاً.. هو من العائلات المرموقة في المدينة وكان والده عضو مجلس النواب العراقي في عهد نوري السعيد باشا.. تناولت الغذاء في داره أكثر من مرة وكان ودوداً معي ولي معه آلاف الحكايات والذكريات وكلها ذكريات حلوة..

أذكر عن طلعت ما كان ينتابه من قلق عندما تتواتر الأخبار عن قيام حملة للتطوع للجيش الشعبي للذهاب إلى جبهات القتال (لا أعرف كيف تسمي تطوعاً وهي كانت ملاحقة ومطاردة وإلقاء قبض وزج بالقوة بل وإلقاء الشخص في غرف أشبه بالسجون في المنظمات الحزبية والشخص لا علاقة له بالحزب من بعيد أو قريب).

وكان منظر طلعت بهيئته التركية وشعره المسدل على جبينه وبدانته الارستقراطية وهندامه الأنيق من الملابس الكاملة ورباط العنق.. هذا المنظر وهو يهرول من هذه الغرفة إلى تلك. يختبيء أحياناً في دورة مياه أو شرفة.. حقيقة هو لا يصلح لقتال.. بل شخص كهذا ربما يصبح عبئاً على أي مجموعة قتالية.. لكن.. لمن تقول هذا الكلام.. كل فرد مطلوب منه أن

يجمع عدداً من الأفراد.. وأي عدد والسلام.. وحول هذا الموضوع انتشرت العديد من النكات الساخرة يحكونها على أنها قد حدثت.. هذا الرجل الذي أمسكوه بالسوق ومعه كيساً من الطحين فقال لهم بعد أن أودع كيس الطحين في داري أحضر معكم.. وحتى يضمنوا عدم إفلاته من أيديهم أركبوه السيارة ومعه كيس الطحين ثم ساروا به إلى داره لإلقاء كيس الطحين بها ومن ثم أخذه معهم.. وعندما تم ذلك.. أظهر لهم أوراقه التي تثبت أنه مجند وهو في أجازة وسط أهله.. وبحيلته تلك تمكن من توصيل كيس الطحين بالمجان إلى منزله. وغيرها من النكات التي تلقي على أنها حكايات حدثت بالفعل.

الأستاذ سردار حميد ميران: عرفني به الأخ طلعت وهو على شاكلة طلعت على وجه التقريب.. الملامح الارستقراطية والهندام الكامل.. سردار كان يعمل في الأمانة العامة للثقافة والشباب (وزارة الثقافة حالياً) وكانت له اهتمامات ثقافية وقراءات.. لذلك أصبحنا أصدقاء.. وعندما بدأت في نشاط نادي السينما كان من الأعضاء الدائميين بهذا النشاط..

في مرة توفى أحد أقربائه وذهبت للعزاء مع الأخ طلعت وشقيقه التوأم الدكتور جودت.. كان العزاء في شقلاوة وصعدت السيارة إلى أعلى منطقة في شقلاوة.. ثم وجدناها تهبط في ممر ملتوي في باطن الجبل ومن حولنا المسلحون الأكراد إلى أن وصلنا إلى أدنى نقطة لنجد قصر عمه حيث كان العزاء وجلست في بقعة ساحرة ما كنت أعتقد أنني سأجلس في مثلها في يوم من الأيام.. في الوسط تماماً توجد عين مياه وسط حوض كبير في أحد جوانب هذا الحوض ينساب الماء إلى جدول صغير. وحول هذا الحوض تم بناء

مصاطب موازية لحافته للجلوس.. وفي كل ركن من أركان المكان هناك شجرة جوز ضخمة وتلتقي أفرع الأشجار الأربعة لتصنع مظلة كاملة على المكان.. ومن أفرع تلك الأشجار تأتي أصوات شقشقة العصافير..

كانت تعزية لكني ما كنت أعتقد أنها ستكون في هذا الجو الأسطوري الساحر.

الأستاذ / أديب شيت مصطفى: لم تكن علاقتي به في البداية طيبة.. كنت أشعر دائماً أن هناك حاجزاً يقف بيننا.. بعض الأطباء البيطريون المصريون الذين عملوا معه وهو مسئول حقل دواجن ثم معاون مدير حقول دواجن أربيل أعطوني فكرة غير طيبة عنه من حيث أنه لا يحب المصريين.. ولعل ذلك كان فيه شيء من الصحة إذ لعله كوّن فكرة عن المصريين من خلال بعض النماذج التي احتك بها..

وعلمت أنه تم نقله إلى قسم التخطيط والمتابعة والذي أعمل به.. واعترف أنني أحسست بالضيق من ذلك فأن يشاركني العمل في نفس المكان رجل يكره المصريين مقدماً فهو أمر لا يدعو إلى الارتياح.. !!.

واستلم أديب العمل ولم تدم طويلاً حالة التحفظ فيما بيننا.. كل ما في قلبينا من ثلوج ذاب سريعاً.. وأصبح أديب من أعز أصدقائي بل وانتقلت هذه الصداقة إلى المستوى الأسري وأصبحنا نتزاور على المستوى العائلي وأذكر جيداً أن زوجته الأخت الفاضلة أم ديّرين كانت معلمة في بعض الأوقات لابني محمد.. وكانت إنسانة مجاملة إلى أبعد الحدود.. فألف تحية لها..

أذكر أن أديب ظل مطارداً لفترة طويلة من قبل الجيش الشعبي وضاق

عليه الخناق إلى أن وجد أنه لا مفر من الاستسلام فالتحق بإحدى الوجبات المسافرة إلى القطاع الجنوبي في العمارة.. وأمضى فترة ثم عاد وأذكر دائماً أنه كان يلوّح لطلعت مداعباً.. كاك طلعت.. الويل لمن لم يشارك في قادسية صدام.. سيأتي الحساب.. ويرد طلعت مغمغماً.. الله كريم.. الله كريم.. وفعلاً ياكاك طلعت.. الله كريم.. هكذا أثبتت الأحداث فيما بعد.

أذكر في أواخر أيامي في أربيل أن خرجت مع أديب بسيارته لبعض الأمور الخاصة بالسفر وفي أحد إشارات المرور فوجئنا بسيارة تدفعنا من الخلف بقسوة وتسبب أضراراً فادحة لسيارة أديب وأحسست بالذنب لأن المهمة كانت خاصة بي ووجدت لا مبالاة من جانب أديب للأمر بأكمله وأنه لا ذنب لي إطلاقاً فيما حدث.. ما حدث كان قدراً وراح يحكي بعض الحكايات وبشكل ضاحك ليسكن روعي.

الأستاذ تحسين كمال: من الأصدقاء الأعزاء.. كان سكرتيراً للمدير العام وكانت علاقته طيبة جداً بالجميع وعلى كل المستويات وكان الجميع يعاملونه بنفس الدرجة..

كانت زوجته الأخت الفاضلة آواز معلمة لأولادي في المدرسة ودائماً كانت تقول أن منى هي ابنتها.. وكانت تحب طفلاي حباً بلا حدود.. أذكر أنه في ليلة السفر النهائي وكان بيتي لا يصلح للإقامة فكل الأغراض تم بيعها.. سهرنا مع الأصدقاء في حديقة منزل تحسين وشاركنا في السهرة الأستاذ فيصل وأسرته وأذكر أن زوجة الأستاذ فيصل.. أم همت رحمها الله كانت تغالب آلاماً مبرحة (لم نكن نعرف حينئذ أنها مقدمة النهاية) ورغم ذلك أصرت على أن تظل ساهرة معنا لتودعنا.. والحقيقة.. لنودعها.. !!..

وسبحان علاّم الغيوب.. وأيضاً كان معنا أديب وزوجته وأصدقاء آخرين.. وعندما انتهت السهرة كان الأخ تحسين قد هيأ لنا سطح الدار بالفرش كي ننام فيه. وما هي إلا ساعات قليلة وكان ضوء النهار.. وذهبنا إلى دارنا لنستعد للرحيل.. ووصلت السيارة.. وارتمى تحسين على كتفي باكياً وبادلته البكاء.. وتحركت السيارة وكان آخر من رأيناه من أهل الدواجن هو تحسين وزوجته الأخت آواز.

عندما استدعيت مواليده للخدمة العسكرية.. امتنع عن الذهاب للعمل.. في نفس الوقت كانت حقول الدواجن قد تم بيعها.. التحق بالعمل في تلك الحقول بعد أن أصبحت قطاعاً خاصاً مندوباً للمشتريات وكان هذا مكسباً لصاحب الحقول للأمانة المنقطعة النظير له.. أما مسألة الترتيب الرسمي للأوراق تجاه الدولة بخصوص المواليد والخدمة العسكرية فأمرها سهل إذ يكفي الحصول على هوية الالتحاق بالفرسان.. أو الجاش كما يقول الأكراد.

الأستاذ دلّدار گردي: كان معاوناً لمدير حقول أربيل لفترة ثم انتقل مديراً للتخطيط والمتابعة وكانت علاقتي به أكثر من ممتازة وأيضاً مع السيدة حرمه والتي كانت معنا بقسم الإنتاج بالدواجن الأخت الفاضلة (بێگەرد)..

ولأنه من أبناء المنطقة ولابد أن يكون له حصة في قادسية صدام المجيدة سواء أراد أو لم يرد فكان دائماً من المطاردين وكان بين وقت وآخر يدافع عن نفسه بحجة المرض ويبرز في سبيل ذلك مئات التحليلات الطبية لكن كل هذا كان لا يفيد.

(أرى من المفيد أن أوضح نقطة هنا.. في البداية الأولى لحملات التطوع للجيش الشعبي للقتال في قادسية صدام عرض تليفزيون بغداد عدداً من

المكفوفين يرتدون ملابس الجيش الشعبي ويحملون السلاح والرئيس العراقي صدام حسين يستقبلهم وهم يعلنون تطوعهم للقتال في قادسية صدام المجيدة.. !!.. كيف.. ؟.. لا أحد يدري.. واعتبر الأمر أشبه بالنكتة.. لكنها لم تكن نكتة.. كانت أمراً مقصوداً.. خرجت بعدها أغنية حماسية تقول «شيخ الديرة اتطوع.. والمكفوف اتطوع».. إلخ.. فيما بعد ومع حملات الملاحقة للتطوع كان الشخص يقول: نظري ضعيف فيكون الرد الحاسم: وماذا بها.. ؟.. لقد تطوع المكفوف.. !! وكانت تلك خطة مدروسة لقطع الطريق على الشيوخ والمرضى وغيرهم )

لذلك كانت كل التحاليل التي كان يقدمها الأخ دلدار لا تفيد ولعله كان يلجأ إلى طريقة أخرى قد يكون من بينها هدية لهذا أو ذاك وتلك كانت أمور واردة جداً جداً.. وأؤكد على كلمة قد يكون منها..

عبد الخالق سرسام: اسمه عبد الخالق عزيز حسن.. وعندما سألته عن حكاية سرسام تلك أجابني أن معناها الحائر.. وهو شاعر وقد كان يشغل منصب رئيس اتحاد أدباء أربيل إضافة إلى وظيفته بالدواجن.. وأيضاً يرسم.. ومن رسومه تلك الصورة التي كانت على واجهة المنشأة العامة للدواجن للرئيس العراقي لصدام حسين وهو يحمل طفلاً كردياً مذعور النظرات.. حالياً سرسام مشغول باكتشاف مقبرة صلاح الدين الأيوبي وأمور أثرية أخرى..

هو شخصية طريفة لا يمل الإنسان من الجلوس إليها والائتناس إلى حديثه.. ولعبد الخالق الفضل الأول في هذا الجمع فقد طلبت منه ذلك عندما التقى بي صباح نفس اليوم في مؤسسة گولان وقام بالمهمة خير قيام.

الأستاذ: ثروت البشدري: كانت داره تلاصق داري تماماً وكانت علاقة الجيرة بيننا ممتازة ابنتيه سوزان ورامان كانتا صديقتان لابنتي مني يجلسون سوياً أمام داري أو داره يلعبون ويتسامرون.. وكنا نتزاور وكانت زوجته السيدة الفاضلة لميعة مدرسة بأربيل وأشهد أنها كانت نشيطة إلى أبعد الحدود (نفس الصفة العامة للمرأة الكردية).. في أيام الصيف كانت ومع العصر تمسك بخرطوم مياه الحديقة بيد وباليد الأخرى تدفع المياه مع الأتربة لتصبح حديقتها في منتهى الروعة.. وتهذب الأشجار هنا وهناك وتهيء المكان لجلسة المساء واستقبال الضيوف.. ومما أذكره في هذا الصدد أن غارة جوية حدثت عصر أحد الأيام على أربيل في الوقت الذي كانت فيه تقوم بواجبها المعتاد في الحديقة.. الكل هرول إلى مكان للاختباء.. وأنا وأسرتي نقرأ القرآن وندعو.. أما هي.. ظلت على عملها في الحديقة.. فبعد انتهاء الغارة خرجت لأنظر الدنيا فوجدتها تنهي ما بدأته.. وعندما سألتها زوجتي فيما بعد قالت: أنا لا أخاف.. لو مكتوب علينا شيء لا بيت ولا ملجأ سيحمينا من المكتوب..

أخر مرة رأيت فيها الاستاذ ثروت كانت لحظة سفري ووداعه الحار لي هو وزوجته.. بعدها تبادلنا الرسائل وأنا في القاهرة.

الأستاذ زرار مولود القصاب: كان يشغل مدير إدارة الذاتية أي شئون العاملين بالدواجن وكان له شقيق توأم هو يوسف ويعمل بالحسابات وكان أمراً غاية في الصعوبة التمييز بينهما (ظاهرة التوأم منتشرة في أربيل لا أدري سبباً لها ربما رد فعل من الطبيعة لمحاولات إبادة الجنس الكردي..!!)

كان منزل الأستاذ زرار قريباً من منزلي وكانت زوجته الأخت الفاضلة

جاهدة من السيدات اللاتي لهن مكانة محبوبة لدى الجميع بعلاقاتها الممتازة ومودتها ومجاملاتها..

في أواخر الثمانينيات ومع اشتداد حملات التطوع للجيش الشعبي والمطاردة المستمرة التي كانت يتعرض لها الأخ زرار وأخيه يوسف تركا العمل ولزما بيتهما ودبرا أمورهما الرسمية بشكل أو بآخر .. إلى أن يأتي كرم الله.. !!.. لأن.. الله كريم.

الأستاذ گۆڤەند فتحي معصوم وكاوه فتحي معصوم: الوحيدان في هذه الجلسة من خارج الدواجن إضافة إلى الأخ سردار حميد ميران.

والدهما هو الأخ الحبيب العزيز الأستاذ فتحي معصوم.. عرفته في البداية عن طريق صديقي العزيز نزار محمد صالح زنگنه (أبو سيروان) والذي كان يشغل مدير الشئون القانونية ومعاون مدير عام الدواجن وكان شخصاً فاضلاً بكل معنى الكلمة..

كانت لزوجتي مشكلة في احتساب سنوات خدمتها السابقة وعرفني أبو سيروان بالأستاذ فتحي معصوم (أبو كاوه) والذي قام بهذه المهمة بشكل لم أكن أتوقعه من أي إنسان..

تطورت العلاقة بشكل سريع جداً بيني وبينه حتى أنه أصبح الأحب إليّ داخل أربيل أذهب إلى بيته في أي وقت مع عائلته لتستقبلني زوجته الأخت الفاضلة الحبيبة (رحمها الله) أم كاوه.. إضافة إلى ذلك فقد كان أبو كاوه مهتماً بالأدب وله إسهامات وأذكر أن محطة تليفزيون كركوك ذهبت إلى بيته لتسجل حواراً معه واتصل بي وأصرّ على أن أتحدث عن رأيي في كتاباته ضمن هذا الحوار وقد كان..

وكانت علاقتي بأبنائه من خلال علاقتي به..

صباح يوم الإثنين حاولت الاستدلال على بيت أبو كاوه، فشلت، وعند زيارتي لمؤسسة گولان الصحفية في نفس اليوم سألت في ختام الزيارة.. هل هناك من يعلم بيت أبو كاوه وعرض أحد الحضور القيام بهذه المهمة..

والتقيت بأبو كاوه.. المرض والأحداث والظروف ورحيل الغالية أم كاوه.. كل ذلك كان واضحاً على وجهه.. لكن مازال أبو كاوة رغم كل شيء يحمل نفس الإصرار الذي عرفته عنه..

وأعود إلى الحوار مع الأصدقاء واسترجاع بعض من أيام الشباب.

تطرق الحوار في البداية عما وصلت إليه الأحوال الأسرية للجميع.. وكان لابد أن تفرض الانتفاضة وظروفها نفسها على الحديث..

قال الأستاذ فيصل: والله أيام كأنها سنوات مرت بنا.. في ليلة انطلقت قذيفة فوق رؤوسنا بالضبط.. صدقني مسافة بسيطة وكانت حصدتنا جميعاً..

طلبت أن يذكر من يستطيع ذكرياته الخاصة عن هذه الأحداث..

تقدم الصديق العزيز الأستاذ طلعت قال: عندما دخلت قوات الحرس الجمهوري أربيل.. أنت تعرف أنا لا أتدخل هنا أو هناك بيتي وأولادي فقط.. كان والدي رحمه الله جالساً بالحديقة على الأرجوحة وإذا بالباب يدق وفتح الباب ويدخل ضابطان وخلفهما جنود وبعنف سأل أحدهم: من صاحب هذا البيت ؟ فأجبت: أنا.... والله وحده يعلم ماذا كانت حالتي وضربات قلبي.. نظر إلى أبي: ومن هذا.. ؟.. قلت أبي، وقال أبي في هدوء تفضلوا أي خدمة نستطيع أن نؤديها لكما..

قال لي الضابط فجأة: وجهك للحائط.. وأنت تعرف أنني مطيع فأدرت وجهي للحائط وضربات قلبي ترتفع أكثر من صوت الطلقات التي تأتي من بعيد أو قريب.. (وهنا لم أتمالك نفسي من الضحك بصوت مرتفع وأنا أحاول أن أتمثل أمام ناظري منظر طلعت بملامحه الارستقراطية وقلة حيلته أمام أي مأزق) (وانفجر الآخرون في الضحك وقالوا لم تقل لنا هذا من قبل..) واستطرد طلعت: ماذا كنت أقول..؟ المهم وجدت الضابط يقول: لقد وجدنا بندقية في الحديقة.. ياللهول.. !!.. هكذا هتفت في نفسي رحت ياطلعت بلاش في بلاش..

(وارتفعت وتيرة الضحك أكثر وأكثر)

وهنا قال أبي: نحن في حالنا لا علاقة لنا بأي أحداث وها أنت دخلت فوجدتني أجلس في هدوء لابد أن تلك البندقية هناك من رماها وهرب.. ولا علاقة لنا بها.. وأقسمت للضابط أن السلاح الوحيد الموجود في بيتي هو سكين المطبخ وصدقني لا أعرف طريقة استعماله في أي شيء..

وحدثت مداولة للحظات كانت دهراً بالنسبة لي أحد الضباط يقول للآخر نعتقله.. والآخر لا يرد.. إلا أن عادت إليّ الحياة وأنا أسمعهم يقولون.. مكانك يا أخي.. نحن نذهب الآن وعليكم إبلاغنا بأي شيء.. هنا تنفست شهقة الحياة وقلت أمركم.. صار..

وأحسست أن الأستاذ طلعت قد أزاح هماً ثقيلاً من على كاهله فقد استراح بعدها..

انطلق الأستاذ عبد الخالق سرسام.. أنا هربت بعيداً عن محلة الدواجن مع وصول قوات الحرس الجمهوري.. بعدها أخبرتني امرأة من محلة الدواجن أن

بيتك تم نهبه بالكامل.. ذهبت إلى الدار مذعوراً فوجدت أن شيئاً لم يحدث وكان هناك أثر لعدة رصاصات على الباب والحائط.. وصلت الدار وكان كل شيء كما هو..

كانت هناك مذابح فظيعة.. أمام المستشفى الجمهوري كانت الجثث مكومة.. هناك جثة لشخص لم يتعرف عليه أحد حتى الآن.. كانت أيام فظيعة.. فظيعة..

سألت الأستاذ سردار ميران عن ظروف وفاة صديقي وأخي المرحوم عبد الرزاق مرعي حسن.. فقال: والله تضاربت الآراء في هذه الظروف أنت تعرف أنه كان محبوباً من الجميع ولكنه الأرجح أنه كان يتمشى في طريق كركوك من الثقافة الجماهيرية في اتجاه الجامعة.. في هذه المنطقة بالذات كانت هناك معركة ضخمة بين القوات الكردية والقوات المدافعة عن مبنى الأمن والاستخبارات الموجودة في هذه المنطقة ويبدو أنه اقترب من تلك الأحداث فقتل..

وسألت الجميع عن ظروف وفاة يحيى حمودي حسن مسئول أمن الدواجن وكان كادر حزبي متقدم..

قالوا: هو لم يقتل في الدواجن بل قتل من خلال معركة بين المقاتلين الأكراد وميليشيات الحزب التي كانت تدافع عن فرقة الفاروق الحزبية..

سألتهم ولكنني أعلم أنه كان شخصية مكروهة من الجميع وأشهد بأمانة أن الجميع قالوا بخشوع: رحمه الله.. والله ماكانت هناك شماتة من أحد في مقتله بل إن أولاده كانوا موضع رعاية وعطف الجميع وظلوا لفترة بيننا إلى أن استعدوا للرحيل إلى مدينة الخالص وساعدناهم في الرحيل وفي كل شيء

حتى آخر لحظة..

وللتأكيد على صدق كلامهم قالوا عندك الأخ غانم هو أيضاً رفيق حزبي متقدم في حزب البعث وكان مقيماً بالدواجن وكان مسئول أمن الدواجن لفترة طويلة قبل المرحوم يحيى ولم يحدث له أي مكروه وظل معنا لمدة طويلة حتى رحل في سلام إلى الموصل.

لابد أن أنوه بحدث أرى أنه في منتهى الأهمية أثناء اللقاء انطلق صوت المؤذن بالأذان لصلاة المغرب وفجأة وجدت طلعت يستأذن مع تحسين للذهاب لصلاة المغرب..

تحسين معقول طوال علاقتي به كنت أراه يصلي.. أما طلعت فتلك من رابع المستحيلات وتذكرت قول الله سبحانه وتعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)..

وعندما عاد من صلاته سألته هل توقفت عن الشرب ياكاكا طلعت ؟ أجاب: نعم، وهززت رأسي قائلاً سبحان الله واستعدت أيام الثمانينيات فما أعتقد أن ليلة واحدة مرت على كاك طلعت دون أن يشرب فيها..

بلّ إنني أذكر أنه أحياناً كان يأتي في الصباح عبوساً وعندما أسأله عن السبب يقول (لا يوجد عرقي في السوق)..

سأله: هل تصوم ياكاك طلعت ؟

قال: نعم أصوم.

وكنت أتذكر دهشته عندما كان يراني في رمضان صائماً وكان يسألني كل يوم نفس السؤال: صائم.. ؟!.. أقول: نعم والحمد لله.. فيهز رأسه متمتماً.. الحمد لله.. الحمد لله.. ثم يقول قواك الله.. والله ما أعرف كيف

ينقطع الإنسان عن الطعام والشراب طوال يوم كامل..

وعرف الأخ والصديق العزيز طلعت أن الانقطاع عن الطعام والشراب طوال يوم كامل ليس بالأمر المستحيل.

وصام طلعت.. وصلى طلعت.. وهذا هو شيء من الفرق بين..

أربيل ٨٨ هەولێر ٩٩

مـــع . .

# رجل حكيم

فاتحت الأستاذ محسن دزەيى برغبتي في الالتقاء والتحاور مع الأستاذ جودت أحمد ناجي، وهل تسمح ظروفه الصحية بذلك..؟.. لكن كيف أتصل به..؟ تطوع الأستاذ محسن مشكوراً بالاتصال هاتفياً به وقال لي وأنا أحب أيضاً أن تلتقي به فالأستاذ جودت كنز من المعلومات.. ورأيه في أي أمر له وزنه.

عصر يوم الثلاثاء ٦/٢٢ كان موعد لقائي بالأستاذ جودت في داره بمحلة آزادي أي الحرية..

الأستاذ جودت أحمد ناجي من الشخصيات القليلة التي جذبتني ثقافتها الإنسانية الرفيعة والموسوعية في حقبة الثمانينات.. عرفته من خلال نشاط نادي السينما بالثقافة الجماهيرية والذي أسسته وأدرته متطوعاً وكان متنفساً ثقافياً لي.. كان الأستاذ جودت العضو الأساسي لهذا النشاط بل لعله كان الرئيس الفخري له ومهما كانت ظروفه فقد كان حريصاً على ألا يفوته أي لقاء وكان يجد من الوقت لكي يحضر ويناقش الفيلم المعروض.. كان يسبق أي عرض مداولات هاتفية فيما بيننا حول ما يمكن أن نعرضه في

اللقاء القادم. هذا الأمر كان يحدث ببساطة رغم أنه كان يشغل منصباً رفيعاً في فترة الحكم الذاتي فقد كان يشغل منصب نائب الأمين العام للشئون الداخلية ثم الأمين العام وكالة..

أذكر وأنا أزوره في مكتبه كي أصافحه مودعاً عند مغادرتي العراق لآخر مرة أن عانقني وبللت دموعه كتفي وهو يؤكد أنه يعتز بصداقتي إلى أبعد الحدود.. وما كنت أظن أبداً أن الأيام ستدور وسنلتقي من جديد.. وقد كان..

استقبلني وأنا أنزل من السيارة معانقاً.. جلست في الحديقة تبادلنا الأحاديث واسترجعنا الذكريات تناول بعض كتاباتي التي قرأها مؤخراً وأشاد بها.. ثم بدأ الحوار سألته عن ذكرياته عن أيام الانتفاضة.. ولأن رجل كالأستاذ جودت لا يمكن أن يقول إلا صدقاً فإن حديثه لي كان يحمل قيمة خاصة.. يقول:

الانتفاضة لايمكن أن نعطي بطولة القيام بها لفرد بالذات.. أبداً.. الانتفاضة تمت بشكل تلقائي تماماً ولا دخل للقيادات الحزبية في الجنوب أو الشمال بها.. والانتفاضة في المنطقة الشمالية كانت امتداد لانتفاضة الشعب العراقي بأسره..

ويسترجع الذكريات قليلاً وأتركه على راحته ويستأنف:

بداية الانتفاضة كانت في المنطقة القديمة في البصرة بأقصى جنوب العراق.. أحد ضباط الجيش العراقي برتبة ملازم أول عاد من الكويت مهزوماً منكسراً فوجد تمثالاً للرئيس العراقي صدام حسين يواجهه فأخرج مسدسه وأطلق عليه الرصاص مفرغاً غضبه فيه فانفجرت الجماهير غاضبة

هي الأخرى وهنا قامت الانتفاضة وبشكل تلقائي تماماً..

في المنطقة الشمالية بدأت الانتفاضة كرد فعل لما حدث في الجنوب.. بدأت في منطقة رانية ثم امتدت إلى السليمانية ثم إلى باقي المنطقة.. وعندما أصبحت المنطقة خارج أي سيطرة ولاتوجد أي جهة تديرها تقدمت الجبهة لإدارة المنطقة..

يسهم قليلاً وأتركه لذكرياته احتراماً لما لديه من مخزون ولتجربته الطويلة وظروف السن والصحة..

صدقني في أعماقي لم أقتنع أبداً بأن تولي الجبهة الكردستانية بهذا الشكل لإدارة المنطقة سيكتب له النجاح.. فأعضاء الجبهة من الأحزاب المؤتلفة لم يكن لديهم حينئذ نظرة استراتيجية للأمور فضلاً عن افتقادهم للخبرات الإدارية لذلك شابت العشوائية معظم قراراتهم.. كما أن من الأسباب التي جعلتني أخرج بهذه النظرة أنه بحكم خبرتي الطويلة بالحكومة العراقية أنها لا يمكن أن تستسلم هكذا بسهولة وكان الأمر مجرد وقت كما اتضح فيما بعد كي تقمع فيه انتفاضة الجنوب بوحشية وترتب أوراقها هناك ومن بعدها تستدير للشمال حتى تقمع انتفاضته هي الأخرى.. وقد كان.

بأمانة وضمير مستريح.. العنف الحكومي أو وحشية قوات الحرس الجمهوري والتي يتكلم عنها الناس هو أمر مبالغ فيه.. فعودة قوات الحرس الجمهوري إلى المنطقة مع وصول أخبار العنف الذي حدث منها في الجنوب والذكريات الأليمة عن أنفال وحلبجة أدى إلى الهجرة المليونية إلى الجبال لذلك فعندما دخلت قوات الحرس الجمهوري أربيل كانت شبه خالية وكانت الصدامات في بعض بؤر المقاومة وكان فيها الكثير من القسوة بالطبع.. أما

أن نقول العنف الوحشي على إطلاقه فهذا غير صحيح..

أنا شخصياً لم أخرج من بيتي هذا.. وطوال هذه الأحداث بقيت في أربيل.. وجاءوا للتفتيش وفتشوا بكل أدب ولم نر مضايقة من أحد.. وكنت أذهب على أقدامي للأسواق لشراء أغراض المنزل ولم أتعرض لمضايقة من أحد..

وسألته عن معركة (كوّرِيّ)..

هز رأسه ثم قال:

معركة (كوّرِيّ).. هذه المعركة كانت نقطة التحول الحقيقية في مسار الأمور في المنطقة.. عدد قليل من المقاتلين الأكراد بإشراف شخصي ومباشر من الأخ مسعود البارزاني تمكنوا من إلحاق هزيمة فادحة لدبابات الحرس الجمهوري.. ومن ثم لم يمكنوهم من اجتياح المنطقة بأسرها وفرض سيطرتهم عليها بالكامل..

ومرت فترة من الصمت بعدها قطعت الصمت بسؤالي:

الجيش العراقي أو قوات الحرس الجمهوري في المنطقة الشمالية لم تتعرض إلا لهزيمة واحدة هي معركة كوّرِيّ فأي سبب جعلهم يسحبون قواتهم فيما بعد من كل المنطقة..؟.

أجاب سريعاً: السبب يكمن في وجهة نظري إلي قناعة القيادة العراقية مؤخراً بأن التفكير في استمرار التواجد سيكون باهظ التكاليف.. وأن معركة كوّرِيّ ونتائجها المبهرة انتزعت الخوف من قلوب الأكراد.. ولعلهم يتمثلون أحداث حلبجة وأنفال كي ينتقموا لها وأن هذه القوات بناء على ذلك ستتعرض إلى استنزاف مستمر من خلال عمليات عسكرية واغتيالات

وأعمال فدائية فانسحبوا عسكرياً ثم بعدها إدارياً.. ولا تنس أيضاً قرار المناطق الآمنة..

طلبت منه تعليقاً عن الخلافات الكردية الأخيرة..

ارتسمت علامة حزن وأسىً على وجهه.. واستأنف الحديث..

كنت أعلم جيداً أن هناك مشاحنات لن تنتهِ بين الپارتي والاتحاد وأنه لا بد أن يحدث صدام فيما بينهما في يوم من الأيام.. وفي رأيي أن إقدام مسعود البارزاني على التنازل عما كان يستحقه حزبه في الانتخابات هو أمر بالغ العظمة وتضحية هائلة حيث قدم المصلحة الكردية العامة على مصلحة حزبه ومصلحته الشخصية وجعل الهدف الأساسي هو إنجاح التجربة..

والعجيب أن البعض يرى في هذا السلوك تنازلاً للطرف الآخر وأنا لا أرى فيه كذلك.

هل لك تعليق حول موضوع الرعاة العرب.. سألته وأجاب:

في موضوع الرعاة العرب أراه أمراً بالغ العظمة أيضاً ويتجاوز المحن ولكن الأخ مسعود يُهاجم بسببه من البعض.. وأنا أرى في هذا الرجل نموذجاً إنسانياً فريداً وقراره كان صائباً.. هذا الرجل يتحمل الكثير ويُحمله الناس الكثير بل يحملونه مسئولية العديد من الأمور التي لا دخل له فيها.. كانقطاع التيار الكهربائي مثلاً بسبب شحة الأمطار وتوقف المولدات الكهربائية عن العمل..

وسكت لحظة.. ثم قال:

هذا الرجل إذا نفذ ما وعد به يكون قد أنجز إنجازاً كبيراً.. لقد وعد

بتطهير الجهاز الحكومي من الفساد والمفسدين لكن الأحداث المتلاحقة تواجهه وتلاحقه ولا تعطيه مجالاً لذلك..

سألته: ألم يحاولوا الاستفادة من خبراتك.. لقد وجدتهم يستعينون بمن هم أقل منك خبرة ؟

واعترت وجهه مسحة حزن وكدت أرى مقدمة لدموع وقال: زوجتي توفيت لرحمة الله عام ١٩٩٢ في وقت أنا في أشد الاحتياج إليها وأنا في شيخوختي.. وصحتي كما ترى لا تساعدني.. طلبوا مني ذلك وأنا أشكرهم على ثقتهم.. اعتذرت.. وفي نفس الوقت أبديت استعدادي للمشورة في أي أمر وفي أي وقت من أجل الصالح العام.

ملحوظة: عند حواري مع الأستاذ فاضل ميراني وزير الداخلية أكد لي على ذلك وقال أنهم كانوا يأملون أن يشاركهم التجربة إلا أنه اعتذر لظروفه ولكننا نستشيره بين وقت وآخر ولا يضن علينا بالمشورة.

# محاضرتان

## العلاقات العربية الكردية
## الواقع
## والآفاق المستقبلية

**بسم الله الرحمن الرحيم**

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

صدق الله العظيم

### الأخوات والأخوة

شرف لي أن أجلس إلى حضراتكم متحدثاً في هذه القاعة والتي تحمل حالياً اسم قاعة البارزاني بدلاً من اسمها السابق والذي كان غير هذا الاسم بالتأكيد.. مشاعر كثيرة تنتابني الآن وأن أجلس إليكم في مكان كان قلبي

* هذه المحاضرة ألقيت في قاعة البارزاني بمقر الفرع الثاني للحزب الديمقراطي الكردستاني في أربيل مساء الأربعاء الموافق ٢٣ يونيو ١٩٩٩ بحضور النخب السياسية والثقافية والاجتماعية في المحافظة.. وقدمها الأستاذ محمود زامدار

منذ أكثر من عشر سنوات يرتجف كلما مررت من أمامه.. هذا المبنى الذي كان يحمل على واجهته اسم حزب البعث العربي الاشتراكي فرع أربيل وتحتها الشعارات المعروفة أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.. وحدة.. حرية.. اشتراكية.. فما أشد الفارق إذاً بين اليوم والبارحة..

في البداية اسمحوا لي أن أذكر عدة ملاحظات:

**الأولى:** أرجو أن يكون اللقاء حواراً بين جانبين بمعنى أنني أحب أن أسمعكم أكثر مما أتحدث إليكم لأنني زرت كردستان العراق أساساً كي أشاهد واستمع.

**الثانية:** هناك مسرحية فرنسية أعجبت بها كثيراً تسمى ليالي الغضب للكاتب الفرنسي أرمان سالاكرو.. وهذه المسرحية أثرت في كثيراً.. تتحدث المسرحية التي تدور أحداثها وقت الاحتلال النازي لفرنسا عن أسرة فرنسية عادية يرى رب الأسرة أن وطنه الحقيقي هو بيته وأن وطنيته الحقة تكمن في الحفاظ على هذا البيت وهدوئه من أي أنواء قد تأتي من الخارج.. نموذج عادي وطبيعي يوجد في كل مكان بل لعلكم توافقونني على أنه يوجد هنا وعلى نطاق ليس بالقليل خلال كل الأحداث التي عصفت بالمنطقة.

أحد رجال المقاومة أصيب في إحدى العمليات وتذكر صديقه الذي يقطن في هذه المنطقة فذهب إليه للاختفاء كاذباً عليه.. أنه أصيب في حادث سيارة.. بعد تردد يوافق رب الأسرة على إيواء الصديق القديم.. بعد فترة وجيزة بدأ الشك يتسلل إلى قلب الرجل إزاء هذا الضيف وسبب الإصابة خصوصاً بعد أن سمع صوت سيارات النازي تمشط المنطقة.. وتحول الشك إلى يقين.. هذا الرجل من رجال المقاومة وكل ما عمل على المحافظة عليه

طوال حياته مهدد بالإنفجار فداخل البيت قنبلة موقوتة..وبعد حوارات مع النفس قرر أن يسلم هذا الرجل للنازي حتى يعود الهدوء لبيته من جديد.. وقد كان.. وبعد فترة جاء الرفاق ليبحثوا عن رفيقهم فوجدوا أن الصديق القديم قد خانه فحكموا على الأسرة بأكملها بالخيانة ونفذوا فيها حكم الإعدام.

ما نستخلصه من هذه المسرحية ببساطة أنه ليس بمقدور أي إنسان أن يعيش بمعزل عن الأحداث التي تحيطه شاء أو أبى.. وأنه إن حاول أن ينأى بنفسه بعيداً عنها فإنها لن تتركه وستلاحقه لأنه جزء منها.

**(٣) الملاحظة الثالثة:** لاشك أننا نعيش الآن في ظل ما يمكن أن يسمى بالمأزق العربي.. هناك مأزق عربي بالغ الخطورة ولم يسبق له مثيل.. ولا أريد أن أسترسل في شرح أبعاد هذا المأزق فأبعاده باتت معروفة للجميع.

والأكراد ليسوا بعيداً عن هذا المأزق.. هم جزء منه بالأسباب التي أدت إليه وهم أيضاً يتحملون حصة من نتائج وأعباء هذا المأزق شاؤا أم أبوا.. ونعود لما استخلصناه في ملاحظتنا السابقة.. ليس بمقدور الإنسان أن يعيش بمعزل عن الأحداث التي تحيطه.

**(٤) الملاحظة الرابعة:** وهي مترتبة على الملاحظات السابقة إذا اقتنعنا بالفكرة التي توصلنا إليها فإن مسئولية التخلص من هذا المأزق الخطير ليست مسئولية عربية فقط ولكنها أيضاً مسئولية كل من يعيش على هذه الأرض مع العرب وفي المقدمة من هؤلاء جميعاً الأكراد.

على الأخوة الأكراد أن يتعاونوا مع إخوانهم العرب في هذا السبيل.. عليهم أن يشاركوهم التفكير ويعاونوهم.. كيف يمكن أن يتخلص الجميع من

هذا المأزق.. لأن الجميع في رأيي عرباً وأكراد في نفس السفينة.. ومن صالح الجميع أن تصل السفينة خلال كل تلك الأعاصير إلى بر الأمان.

وعن العلاقات العربية الكردية وآفاقها المستقبلية فإنه لابد من التأكيد على أن قيام علاقة عربية كردية وثيقة ومتينة ليست خياراً لأي من الطرفين بل هي أمر حتمي لابد من العمل على قيامه لصالح العرب والأكراد.

وحديثنا دائماً يتطرق إلى المستقبل.. لكن لو تحدثنا عن آفاق المستقبل فلا بد لنا من أن نتأمل الحاضر.. ولو تأملنا الحاضر فعلينا أن نلق بإطلالة على الماضي.

التاريخ يشهد أنه أبداً ما كانت هناك خصومة بين العرب والأكراد في يوم من الأيام. كانت العلاقات دائماً علاقات تواصل حضاري وتأثير حضاري وثقافي متبادل. بل نستطيع أن نجزم بأنه لم يكن هناك طرفان بل كانا معاً في بوتقة واحدة، وأحداث التاريخ كثيرة وتؤكد على ما نقول.

عندما تحرك صلاح الدين من هذه المنطقة إلى مصر كي يدافع عن المنطقة ومقدساتها أمام الغزو الصليبي.. فلقد تحرك بصفته بطلاً إسلامياً من مكان إلى مكان داخل ديار الإسلام.. وبصرف النظر عن الانتماء العرقي أو المذهبي أو ما شابه ذلك.. وبجيش اختلط فيه الأكراد بفلاحي مصر انتصر في حطين وكان دوره التاريخي هذا لحظة مضيئة متألقة في تاريخ المنطقة.

وعندما نجد أن كثيراً من رواد الحركة التنويرية في مصر من الأكراد مثل الإمام محمد عبده ـ عبد الرحمن الكواكبي ـ قاسم أمين والعائلة التيمورية وعائلة بدرخان وانلي وغيرهم..

وفي المقابل عندما نجد (ويذكر الأكراد ذلك) أن الأزهر الشريف الذي

كان يه رواقاً للأكراد تخرج منه العديد من علماء الدين من الأكراد والذين عادوا إلى بلادهم ليسهموا في نشر مفاهيم الدين الإسلامي الصحيحة. وعندما نجد أن أول صحيفة كردية في التاريخ صدرت في القاهرة عام ١٨٩٨ وقد احتفلتم في العام الماضي بالمئوية الأولى لها. كما أن أول إذاعة كردية في التاريخ خرجت من القاهرة عام ١٩٥٧.. وبالطبع فإن حضراتكم تدركون جيداً أن مجرد إذاعة تتحدث بالكردية أو صحيفة تصدر بكلمات كردية في ذلك الحين لم يكن أمراً بسيطاً.. وعندما نجد أيضاً أن أهم المؤلفات الكردية كالشرفنامة طبع في القاهرة.

معنى ذلك أن التواصل الثقافي المتبادل لم يتوقف أبداً على مر التاريخ وليس لطرف من فضل على الآخر لأن كل تلك الأمور كانت تتم في إطار من الأخوة دون تفرقة بين هذا الطرف أو ذاك.

وإذا انتقلنا من التواصل الثقافي إلى أمر آخر فإننا نجد أن العرب والأكراد على مر التاريخ لم يرفعا السلاح في مواجهة بعضهما في أي يوم من الأيام باستثناء أحداث السنوات الأخيرة ومن حسن الحظ أنه دائماً كان هناك عدواً ثالثاً مشتركاً للعرب والأكراد وكانا يقاومان معاً هذا العدو الثالث إما من خندق واحد أو من خندقين متوازيين.

لقد شكلت العلاقات العربية الكردية صرحاً عظيماً شامخاً على مر التاريخ.. وبكل أسف فإن هذا الصرح أصيب بتصدع شديد نتيجة لأحداث السنوات الأخيرة.. هذا هو الواقع الذي يجب ألا يخفيه أحد بمعسول الكلمات..

مطلوب منا يا إخوان التعاون معاً في إعادة تشييد هذا الصرح يداً بيد،

علينا أن نفكر كيف يمكن أن نعيده شامخاً كما كان.. بل أكثر شموخاً.. علينا أن نأخذ من جراح الماضي عظة وعبرة كي تتحول تلك الجراح إلى قوة تعيننا على تحديات السنوات القادمة.. فكما يقولون العصا التي لا تقصم الظهر تقويه..

لكن ما هو المطلوب عربياً وما هو المطلوب كردياً من أجل إعادة بناء هذا الصرح..؟

المطلوب عربياً إعادة النظر في العديد من الركائز والأسس والمسلمات والفلسفات والتي قام عليها الفكر العربي الحديث وفكرة القومية العربية على وجه الخصوص.. لابد على العرب أن يؤمنوا ويطبقوا بالدليل العملي بأن هذه المنطقة بأسرها ليست بحراً عربياً خالصاً بل هناك الكثير من الأعراق والقوميات تعيش جنباً إلى جنب مع إخوانهم العرب وأن هذه العناصر أسهمت إسهاماً فاعلاً وبنصيب وافر في الكثير من عناصر ثقافة المنطقة. على العرب أن يؤمنوا بذلك.. وأن يترتب على هذا الإيمان حقوقاً لهذه الأعراق المختلفة وعلى العرب تبني سبل تحقيق هذه الحقوق.. ولأن عناصر الثقافة العربية هي في الأغلب عناصر إنسانية وأخلاقية فإن حال المجموعة الكردية التي تعيش مع العرب وأقصد بها أكراد العراق هم الأفضل حالاً على الإطلاق بين كل المجموعات الكردية الأخرى.. وبمقارنة سريعة بين حال أكراد العراق وأكراد تركيا يتضح لنا جلياً ما نقول.. فالمسألة الكردية في العراق تتمحور حول الصراع على حدود الحق لأن الصراع على الحق قد انتهى منذ زمن فالحق الكردي داخل العراق منصوص عليه في الدستور والقوانين ويبقى الصراع فقط حول حدود هذا الحق وهل

يحصل الأكراد على حكم ذاتي محدود أم موسع أم فيدرالية.. أما تركيا فالأمر مختلف تماماً إذ أن الصراع هو على الحق ذاته.. هل لأكراد تركيا حقوقاً أم لا..؟ بل إن الأمر يصل إلى درجة السؤال: هل هناك أصلاً أكراد في تركيا أم لا..؟

بهذه المقارنة نشعر أن الثقافة العربية هي ثقافة إنسانية وأخلاقية تقبل بالآخر وتتسامح معه بعكس الحال عند الآخرين.. لكن مطلوب إضافة الكثير إلى ذلك.. مطلوب من العرب استعادة زمام المبادرة في هذا الاتجاه.. مطلوب منهم الرجوع إلى الماضي إلى عهد الأمان العمري لعمر بن الخطاب (رض) عندما أعلن عهده المتضمن التسامح الكامل مع كل الطوائف والملل والنحل التي تعيش في الدولة الإسلامية.. على العرب قراءة هذا العهد من جديد وبعيون وأذهان عصرية وإعادة صياغته بما يتفق ومستجدات العصر.. وإذا كان عمر بن الخطاب (رض) قد قدم هذا العهد لغير المسلمين في الدولة الإسلامية فمن باب أولى أن تحظ بمثله الأعراق الغير عربية والتي تعيش في المنطقة وفي المقدمة منهم الأكراد رفاق التاريخ وهم من المسلمين..

على العرب أن يطبقوا ما تعلموه من الدين الإسلامي الحنيف في مسألة القبول بالآخر فكرياً وثقافياً وقومياً..

لكن ما هو المطلوب من الأكراد.. ؟

لاشك أن هناك بذور شك موجودة في قلوب العرب تجاه نوايا الأكراد وعلى الأكراد العمل بشتى الوسائل على نزع هذه البذور.. وأصارحكم بأنه ما من لقاء ثقافي أو فكري أو مقال في صحيفة يتناول المسألة الكردية إلا

ونجد تهمة الانفصال قاسماً مشتركاً بين كل ذلك.

على الأكراد أن يقدموا بالدليل العملي أنهم ليسوا انفصاليين ثم يعلنوا بشتى الوسائل عن ذلك حتى يصل الأمر إلى درجة القناعة في الذهن العربي.

وفي هذا الصدد فإنني أحيي وأشيد بتلك التجربة التي شاهدتها بنفسي.. هي تجربة عملاقة ولكن بكل أسف ما كنت سأسمع عنها شيئاً لو أني لم أحضر إلى هنا.. هي تجربة رائعة بكل المقاييس.. وأقصد بها دعوة الرعاة من العرب العراقيين بالحضور إلى كردستان العراق لترعى أغنامهم في المنطقة في عام الجفاف والجدب الذي لحق بالمنطقة بأسرها والذي كان أقسى وأشد في المنطقة العربية عنها في المنطقة الكردية وهنا أتذكر قول المولى سبحانه وتعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}.. صدق الله العظيم

إنكم لم تعطوا هذه التجربة ما تستحق من التغطية الإعلامية التي لو حدثت لأعطت زخماً هاماً للعلاقات العربية الكردية وأزاحت الكثير من الشك في القلوب العربية.. أنتم ولاشك مقصرون في هذا ولا يمكن أن نلقي باللوم على من هو خارج المنطقة لأنه لم يتابع لأن الوصول إلى منطقتكم صعب ولا يتم إلا عبر حواجز أمنية متعددة ومن حق كل دولة أن تضع لنفسها ما تشاء من إجراءات أمنية.. أنا حتى أصل إلى هنا كان لابد من الحصول على موافقة أمنية مسبقة من السلطات السورية.. معنى ذلك أن الوصول إليكم صعب والخروج من عندكم أيضاً صعب.. تواصلكم مع العالم الخارجي لا يتم إلا من خلال الآخر وحسب رضى الآخر ومزاجه.. تلك مشكلة

علينا أن نبحث سوياً كيف يمكن أن نحدث التواصل اليومي بيننا وبينكم.. كيف يمكن أن نستفيد من ثورة المعلومات والاتصالات لإحداث هذا التواصل..

أعود إلى هذه التجربة العظيمة التي عاينتها بنفسي.. على طول الطريق في محافظتي دهوك وأربيل رأيت الخيام العربية متناثرة.. الأطفال يلعبون أمام الخيمة.. والزوجة تدبر الأمور المنزلية اليومية من طهو الطعام وغسل الملابس ونشرها في الشمس أمام الخيمة في حين ترعى الأغنام في المنطقة المحيطة ومن خلفها الزوج.. كل ذلك يتم في أمن وأمان.. وفي لقاء لي مع الدكتور حميد ئاكرەيى وزير زراعة الإقليم أطلعني على معدلات المطر لهذا العام لأجد أنها ربع معدل العام الماضي وبالتالي فإن مراعي المنطقة تقل بنفس النسبة عن مراعي العام الماضي.. ثم أطلعني على الإحصائيات الخاصة بأعداد الأغنام التي وصلت إلى المنطقة لأجد أن أعدادها حتى تاريخ الزيارة وصل إلى ما يقرب من مليون رأس غنم ومازالت الشاحنات المحملة بالأغنام تصل إلى المنطقة..

وقد التقيت بالعديد من هؤلاء الرعاة.. تصادف في بعض هذه اللقاءات وجود فريق طبي بيطري لفحص هذه الحيوانات وتقديم العلاج لها وبالمجان.

خلال كل تلك اللقاءات لم أسمع سوى كلمات الشكر والتنويه بالعلاقات العربية الكردية من العرب وكلمات الحب للأخوة العرب والذين يرى الأكراد أنه ما كان هناك أبداً أي مشكلة معهم على مر التاريخ..

هل هذا بالقليل يا إخوان..؟

إنني أرى في هذه التجربة العظيمة أكثر من بُعد:

**الأول**: إثبات وبالدليل العملي أن هذه المنطقة هي امتداد لأرض العراق وجزء من أرضه.. لأنه عندما يعلن المسئول الأول في المنطقة أن من حق عرب العراق الحضور إلى هذه المنطقة بمواشيهم ونسائهم وأطفالهم دون أن يعطي هذا الحق لأبناء نفس القومية الكردية من أكراد سوريا أو أكراد تركيا أو إيران فهو هنا يحترم الحدود السياسية المعترف بها دولياً ويعتبر أن عرب العراق يتحركون من المنطقة العربية إلى المنطقة الكردية في وطن واحد هو العراق..

**الثاني**: في سنوات سابقة وقت أن كان حزب البعث العربي الاشتراكي هو الذي يحكم في المنطقة بأسرها وله في كل شبر فيها قوات مسلحة وأمن واستخبارات وجيش شعبي.. في هذا الوقت وفي ظل هذا التواجد الأمني المكثف ماكان يجرؤ عربي واحد على الحضور إلى المنطقة والمبيت فيها هكذا.. كان هناك جبل ضخم في الصدور من الشك والخوف.. أما الآن وفي ظل حكم من كان يطلق عليهم في السابق لفظ المخربين أتى هذا المواطن العراقي العربي إلى المنطقة ونصب خيمته في العراء وترك أغنامه تمرح آمناً مطمئناً وأذاب جبل الشك والخوف من أخيه الكردي ومن كردستان..

وأيضاً هل هذا بالقليل يا إخوان..؟

**الثالث**: في حديثي إليكم أوضحت أن صرح العلاقات العربية الكردية أصابه صدع شديد في السنوات الأخيرة وأنه من الواجب أن نتعاون سوياً من أجل إعادة بناء هذا الصرح من جديد لبنة لبنة.. وفي رأيي أن هذه الخطوة العملاقة هي لبنة هامة في إعادة بناء هذا الصرح.. هي تحية كردية أرجو أن تقابل عربياً برد أحسن منها أو بمثلها كما أمرنا المولى عز وجل.

وفي لقائي مع الأخ مسعود البارزاني تطرقت لهذه التجربة في حديثي معه وعرضت عليه ما استخلصته منها ووجدته يجيب ببساطة: كل تلك الأمور لم تكن في ذهني على الإطلاق المسألة ببساطة كيف يمكن أن نقبل أن تأكل حيواناتنا في الوقت الذي تموت حيوانات إخواننا العرب من العراقيين لتضاف كارثة جديدة إلى كوارث الحصار الذي يعيشون في ظله.. ثم أضاف كل هذه الأبعاد التي ذكرتها هي أمور بديهية لدينا وفي فكر حزبنا فنحن جزء من العراق ولا يجوز أن يكون هناك خوف أو شك بين العربي والكردي ولم تكن هناك أي مشكلة في أي يوم من الأيام بين العرب والأكراد على مر التاريخ فنحن أخوة دائماً.

عذراً فقد توقفت طويلاً عند هذه التجربة العملاقة والخاصة بالرعاة العرب لأنني أرى فيها أهمية خاصة.

مطلوب منكم أيضاً أن تدعموا تجربتكم في إدارة المنطقة على أساس الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان لأنه في ذلك تدعيم للعلاقات العربية الكردية.

عليكم جاهدين السعي لمداواة الجراح الداخلية والعمل على الوئام الداخلي والقضاء على الفرقة والانقسام لأن ذلك يسيء إلى الحركة الكردية وصورتها أمام العالم فضلاً عما تسببه من آلام وجراح داخلية.. عليكم السعي بشتى الوسائل لأن تكونوا صفاً واحداً وهذا من صالح العراق الموحد وأنا على ثقة من ذلك.. وهذا عكس الفكرة الخاطئة التي ترى أن خلافات الأكراد هي من صالح دولة العراق ولكنني أرى العكس تماماً فخلافات الأكراد ضد دولة العراق وبالتالي ضد الأمة العربية وتأتي بالأخطار الجسيمة على الأمن

القومي العربي.

علينا جميعاً أن نعيد بناء جسور الثقة من جديد بيننا وبينكم.. علينا جميعاً أن نتكاتف في إعادة بناء صرح العلاقات العربية الكردية وأشكركم.

وبعد انتهاء إلقاء الكلمة فتح مدير اللقاء الباب للمداخلات والأسئلة.

ـ الأستاذ محسن دزەيی الممثل الشخصي للأخ مسعود البارزاني:

لاحظنا وجود قدر من التعتيم الإعلامي لمؤتمر الحوار العربي الكردي بالقاهرة.. لماذا ؟ وما هو تأثير هذا المؤتمر على فهم القضية الكردية بالقاهرة من لدن المثقفين المصريين.. ؟ ومتى تعقد الجولة الثانية من هذا المؤتمر..؟

* بالنسبة لموضوع التعتيم الإعلامي فأنا سأتحدث كمجرد فرد شارك في اجتماعات اللجنة التحضيرية وجلسات المؤتمر لأن اللجنة والمؤتمر كان لهما رئاسة من الشخصيات المصرية ذات الثقل السياسي والتاريخي وما سأذكره هو استنتاجات في الأغلب.

القاهرة أكبر عاصمة عربية وبها مقر الجامعة العربية وشغلها الدائم هو السعي إلى لم الشمل العربي في الوقت الذي توجد فيه أذهان ضيقة لا تحتمل الحوار.. لذلك كان لابد للقاهرة أن تتحرك في إطار ضوابط معينة فاتبعت سياسة الباب الموارب لاهو مغلق ولا هو مفتوح.. أعطت الضوء الأخضر لإقامة المؤتمر وهذا في حد ذاته إيجابية عظيمة.. وفرت مستلزمات انعقاده من مكان وأمور أمنية وغير ذلك وهذا أيضاً أمر جيد.. سمحت لإحدى المنظمات شبه الحكومية بتنظيم المؤتمر وهي اللجنة المصرية للتضامن وهذا أيضاً عامل مضاف.. في نفس الوقت أكدت على أن المؤتمر ليس مؤتمرا للمعارضة ضد بغداد حيث لا تسمح القاهرة إطلاقاً بذلك.. في نفس الوقت

يعقد المؤتمر ويمر في سلام دون تركيز إعلامي.. وقد ظهر سبب آخر لهذا التعتيم بوصول إحدى الفصائل الكردية من خارج العراق للمشاركة ومعها جهاز تصوير تليفزيوني ولأن التأكيدات كانت دائماً أن هذا المؤتمر هو حوار مع أكراد العراق فقط فإنه ماكان بالإمكان منع التصوير التليفزيوني من قبل هذا الفصيل مع وجود أجهزة تصوير أخرى لذلك فقد تقرر المنع الكامل لتصوير جلسات المؤتمر وجاء هذا مع سياسة الباب الموارب.

أما من حيث تأثير هذا المؤتمر على الفهم العربي والمصري خاصة للقضية الكردية فإننا بدورنا نسأل: هل هناك فهم أصلاً لهذه القضية..؟.. وما هو حجمه.. ؟.. وهل هذا الفهم يسير في منحني متصاعد.. ؟

إنني أؤكد لحضراتكم أن منحني فهم القضية الكردية يسير بخط متصاعد والأمثلة على ذلك كثيرة فالمقالات والدراسات عن القضية الكردية بدأت تأخذ طريقها إلي الصحف والمجلات والقنوات التيلفزيونية مؤخراً.. هناك برامج متخصصة عن القضية الكردية.. هناك كتب.. هناك دراسات.. هناك ندوات. أؤكد لحضراتكم أن المنحني متصاعد وهذا أمر جيد..

أما بالنسبة لموعد انعقاد الجولة الثانية فأنا كما أكدت لحضراتكم مجرد عضو في اللجنة التحضيرية واللجنة الدائمة للحوار وحسب معلوماتي فإن القضية الوحيدة هي مكان انعقاد الجولة التالية وبشكل عام فإن القاهرة مهيأة لاستضافة هذه الجولة إذا تعذر التوصل إلى مكان آخر ونأمل أن تنعقد هذه الجولة قبل نهاية هذا العام.

الدكتور آزاد النقشبندي عميد كلية الآداب جامعة صلاح الدين:

الحكام العرب هم سبب المأزق العربي وليس للأكراد من يد فيه كما ذكر

الأستاذ رجائي.. وبالنسبة للشرخ الحادث في صرح العلاقات العربية الكردية.. من هو المسئول عن هذا الشرخ.. ؟

والمطالب التي عرضها لقيام العلاقات العربية الكردية فإنني أقول أنه مطلوب من الأخوة العرب إحقاق الحق والاعتراف بحقوق الشعب الكردي وعدم النظر إليهم كأقلية لأنهم سيكونون القومية الثانية في الشرق الأوسط بعد القومية العربية عام ٢٠٢٥ ويأتي من بعدهم الأتراك والفرس.

لابد أن يعترف العرب بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه ومن ضمنها إقامة دولته على أرضه.

نحن نؤكد على أننا غير إنفصاليين ولكن حدود العراق ليست مقدسة كما أن حدود الدول العربية ليست مقدسة لأنها من رسم الاستعمار فلماذا نطالب نحن بالالتزام بهذه الحدود.. ؟

طالما أن هناك عدم اعتراف بحقوق الشعب الكردي فإن هناك عدم احترام لحقوق الشعب العربي.. لقد كان لعدم الاعتراف بحقوق الشعب الكردي نتائج مدمرة وآثار ضخمة أدت إلى نشوب الحرب العراقية الإيرانية وبعد أن كانت أرصدة العراق بالمليارات أصبح مديناً الآن بالمليارات.

لأسباب كثيرة فإن من مصلحة العرب وليس من مصلحة الأكراد إحقاق الحقوق المشروعة للشعب الكردي وبعكسه يكون وبالاً على الشعب العربي.

* أنا لا أختلف في العديد مما طرحه الدكتور آزاد فالحرب العراقية الإيرانية سببها الأساسي المشكلة الكردية.. بل أن من أسباب قيام حلف بغداد الاستعماري المشكلة الكردية أيضاً.

أصل إلى النقطة الهامة التي وردت في كلمة الدكتور آزاد والمتعلقة

بالإنفصال..

أنا أبذل الكثير لأمسح عن الأكراد تهمة الانفصال.. أنا أعلم أن من حق الأكراد أن يحلموا بكردستان الكبرى تماماً مثلما حلمت أنا في الستينيات بدولة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج وتركت هذا الحلم جانباً في ظل المعطيات الدولية التي لا يمكن أن تسمح لي على الإطلاق بتحويل هذا الحلم إلى حقيقة فتوقفت عن التفكير في هذا الحلم لأنه من العبث أن أضحي بالممكن من أجل المستحيل.

علينا إخوان أن نتشبث بالممكن وألا نجري وراء المستحيل والأوهام لا الظروف الدولية تسمح بكردستان الكبرى على الأقل في المستقبل المنظور.. أما غير المنظور فالعلم عند الله سبحانه وتعالى.

من الواجب عليكم ياإخوان أن تقدموا أنفسكم إلى العالم بصورة لا تستعدي هذا العالم عليكم.. من صالحكم عدم استعداء الدول المحيطة عليكم لأن هذا إن حدث فإن ضرراً بليغاً سيلحق بكم وبقضيتكم..

أنا أعلم أن الحدود التي قسمت كردستان هي من صنع دول استعمارية.. وأيضاً التي قسمت الدول العربية.. لكن الأمر حدث وانتهى وحدثت ترتيبات دولية.. ولنأخذ مثالاً على ما نقول: الحدود الكويتية العراقية هي حدود مصطنعة لكنها قائمة وبضمانات دولية وعندما أقدم الرئيس العراقي عام ١٩٩٠ على غزو الكويت لإزالة هذه الحدود المصطنعة حدث ما حدث..

كان من حظ كردستان العاثر أن وقعت في نقاط تماس الحدود التي نشأت لكنه أمر تم وانتهى ومع الوقت تكونت لكل مجموعة كردية خصوصية من المشاكل تختلف عن المجموعة الأخرى وعلى كل مجموعة أن تحل مشاكلها

مع دولتها المركزية.

إنني أعتقد أن الطرح الذي يطرحه الدكتور آزاد يقاوم هنا داخلياً إذ أن التطبيق العملي لهذا الطرح معناه أن من حق فصائل حزب العمال الكردستاني التركي أن تجتاح منطقتكم من وقت لآخر على أساس أن كلها كردستان.. من حقها إقامة المعسكرات والربايا هنا وهناك..

سؤال من عضوة في اتحاد نساء كردستان: ما هو الدور الذي يقوم به ممثلو الشعب الكردي في القاهرة وما هي نظرة الشعب المصري للشعب الكردي والقضية الكردية..؟

* بداية في مؤتمر الحوار العربي الكردي في القاهرة سألنا الأخوان أين هي المرأة الكردية ولم لا تشارك في فعاليات المؤتمر وقد وعدونا بمشاركتها في الجولات القادمة..

وبالنسبة للدور الذي يقوم به ممثلو الشعب الكردي في القاهرة، فإن الأخ عمر بوتاني مسئول العلاقات العربية في الحزب الديمقراطي الكردستاني يصل إلى القاهرة لأيام معدودة كل شهر أو شهرين وأشهد أنه خلال هذه الفترة القصيرة يفعل الكثير في التواصل العربي الكردي..

والأخ عدنان المفتي ممثل الاتحاد الوطني الكردستاني هو الآخر يقوم في القاهرة بدور لا بأس به في حدود ما تسمح به سلطات القاهرة.

أما بالنسبة لنظرة الشعب المصري إلي الشعب الكردي، الموقف السياسي المصري الرسمي معروف: حصول الأكراد على حقوقهم في إطار وحدة وسلامة أراضي العراق.

أما بالنسبة لنظرة النخبة المثقفة فهي متباينة بتباين الموقف الفكري..

فالذين يهتمون بقضايا حقوق الإنسان فإنهم يتبنون حق تقرير المصير إلى أبعد درجة..

هناك بعض المثقفين الآخرين يتبنون وجهة نظر الحكومة المصرية.

وهناك آخرون يأخذون موقفاً ضد الحركة الكردية تعاطفاً مع نظام بغداد على أساس أن الحركة الكردية ونشاطها يؤدي إلى إضعاف الحكومة العراقية.

تلك هي النظرات المتباينة في مصر تجاه الأكراد وقضاياهم.

الأستاذ نظام الدين محمد عضو إتحاد كتاب كردستان:

العلاقات العربية الكردية بدأت منذ أمد بعيد.. لقد بدأت بالقرآن الكريم وسيدنا محمد (ص) الذي كان من ضمن صحابته صحابي كردي هو جابان.

هذه العلاقات بدأت بصورة اختيارية.. ولكن عند حدوث تقسيم كردستان وظهور النزعات القومية حدثت الشروخ التي تحدثتم عنها.

إنني اتفق مع المحاضر في رده على الدكتور آزاد من أن الظروف الدولية حالياً لا تساعد على إقامة كردستان الكبرى أو حتى ببعض منها.

المطلوب منا الآن أن ندعم العلاقات العربية الكردية إلى أن تصل إلى الدرجة التي عندها لا يشعر الكردي بالغبن الذي يشعر به الآن..

* شكراً للأستاذ نظام الدين وأنا اتفق معك في كل ما طرحته هناك نقطة هامة أود إضافتها.. يجب أن يؤمن الجميع أن تحقيق المطالب الكردية ليست أبداً على حساب المصالح العربية.. ورد أيضاً على لسان بعض الأخوة مصطلح النزعة العنصرية لدى العرب وأرجو في هذا الصدد عدم التعميم.. لأن التعميم غير جائز على الإطلاق.. لأن هذه النزعة إن وجدت عند البعض

فهي غير موجودة على العموم بين الكافة. يجب ألا نعمم وإن تكون علاقتنا بالأمور علاقة منطقية لأن العرب ليسوا شخصاً واحداً فالثقافات متعددة والأفكار متعددة والإنتماءات متعددة.. إذاً فمصطلح النزعة العنصرية العربية في تصوري هي نظرة ظالمة ومجحفة بحق العرب. كما ورد أيضاً على لسان الدكتور آزاد أن صرح العلاقات العربية الكردية يفيد العرب فقط ولا يفيد الأكراد وأنا أختلف معه تماماً فالفائدة مشتركة والهموم مشتركة قد تكون بدرجة أقل هنا أو هناك ولكن الفوائد مشتركة والهموم مشتركة كما قلت.

بقى شيء هام.. عندما نتحدث عن الماضي فنحن نتحدث عن هذا الماضي لنستخلص منه العظات والعبر لا لكي نفرق أنفسنا فيه ونجعل من هذا الماضي حائطاً للمبكى نبكي على أطلاله ونجلد أنفسنا بويلاته وآلامه ومآسيه وإذا لم نتناول الماضي بهذا المفهوم فسنضيع جهدنا فيما لا طائل من ورائه وبذلك نفقد الحاضر ونخسر المستقبل قبل أن نصل إليه..

ـ الأستاذ عبد الخالق زنگنه: سكرتير الحركة الشعبية الكردستانية:

أخي وزميلي الأستاذ / رجائي فايد مرحباً بك في أربيل عاصمة الفيدرالية الكردستانية.. كعربي منصف له تاريخ في التعريف بالقضية الكردية في مصر نشكر حضوركم ونشكر جهودكم.. ولكن يا أخي وزميلي القضية الكردية في كردستان العراق وفي الشرق الأوسط أعقد بكثير من أن نتصور أن الأمور من الممكن أن تحل من خلال علاقة عربية كردية.. هناك مشكلة معقدة نحن الأكراد لسنا مسئولين عنها نحن ضحايا التقسيمات والترتيبات الدولية.. الآن نحن لسنا مع الانفصال لأن هذه أرضنا وهذه بلدنا

سواء كانت العراق أو كردستان.

في رأيي أن العلاقات الاستراتيجية بين العرب والأكراد تحتاج من العرب أكثرمما تحتاج من الأكراد مطلوب من الأكراد أن يعرضوا قضيتهم العادلة لكن مطلوب من العرب الأخ الأكبر الكثير.. من الناحية العددية يعتبروننا أقلية..

إنني أرجو من إخوتنا العرب وهذا ما ذكرته في القاهرة أن يصحوا قبل فوات الأوان مطلوب منا أيضاً عرباً وكرداً أن نتفهم بعضنا نحن نطالب بالفيدرالية وأنت تجلس الآن في أربيل عاصمة الفيدرالية بكردستان العراق وشكراً.

* شكراً للأخ الفاضل الأستاذ عبد الخالق زنكنه.. لقد سعدت بحديثك هذا الذي أرجعني إلى ذكريات جلسات مؤتمر الحوار العربي الكردي.. أنا لا أختلف إطلاقاً معك في كل ما طرحته.. القضية معقدة.. أدرك ذلك.. نفكر سوياً كيف نفك هذه العقدة مع بعضنا البعض.. تطلب من العرب أن يصحوا قبل فوات الأوان.. أنت محق تماماً في هذا المطلب العادل المخلص.. لكن لو ظل النظام الدكتاتوري الذي يتحدث عنه الجميع مائة عام قادمة.. ما العمل.. مشكلة.. !!.. إذا ارتبط حل القضية بقيام نظام ديمقراطي ولم يقم هذا النظام.. ما العمل.. ؟.. هل سنظل على هذا الوضع.. مشكلة.. ؟ هل من الممكن في ظل هذا النظام أن يسمح باستمرار تجربتكم تلك وتطورها إلى صورة أكثر تقدمية.. ؟.. هل يمكن أن يسمح بقيام فيدرالية بين نظام لا يؤمن بالديمقراطية وبين آخرين يعيشون في ظل هذه الديمقراطية..؟

الأمل الوحيد والمخرج الوحيد من وجهة نظري هو مزيد من العلاقات

الوثيقة بين العرب والأكراد نقترب من بعضنا البعض أكثر وأكثر.. نحاول أن نتفهم بعضنا البعض أكثر وأكثر.. نسعى إلى إزالة ما بيننا من حواجز.. نجفف بحار الشك حتى لا ننفرط من بعضنا إلى الأبد..

معك تماماً في أن على العرب أن يصحوا قبل فوات الأوان وهي كما قدمت دعوة مخلصة..

تقول أن الأكراد ضحايا التقسيم ولستم مسئولون عنه.. هذا صحيح والعرب أيضاً ليسوا مسئولون عن هذا التقسيم لأنهم أيضاً ضحايا.. القوى الأجنبية قسمت كردستان.. وقسمت أيضاً بلاد العرب.

ثقوا ياإخوان أنكم لن تجدوا لكم سنداً في المنطقة سوى العرب ولن يجد العرب لهم سند في المنطقة سوى الأكراد.. ثقوا هذا تماماً.

وأشكركم على حفاوتكم وحضوركم وحسن الاستماع.

كلمة ختامية للأستاذ سعد عبد الله.. مسئول الحزب الديمقراطي الكردستاني بأربيل..

أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ رجائي فايد على محاضرته القيمة تلك.. لقد عبر الأستاذ رجائي بكل تأكيد عن نظرة واقعية للقضية الكردية وهذه النظرة هي السياسة الرسمية التي يتبناها برلمان كردستان وحكومة الإقليم وهي سياسة تثبيت الفيدرالية لكردستان العراق ضمن العراق الموحد ولم يعبر الأستاذ رجائي فايد سوى عن هذه النظرة التي نحن نتبناها ونناضل من أجلها ونأمل في أن من يحكمون بغداد يجب أن يحملوا نفس النظرة التي طرحها الأستاذ رجائي فايد وباعتقادي أن كل المشاكل التي تواجه الشعب الكردي والشعب العربي في العراق سوف تحل حينذاك.

مرة أخرى أشكر الأستاذ رجائي فايد على هذه المحاضرة وعلى مجيئه إلى أربيل وعلى قبوله دعوتنا لإلقاء هذه المحاضرة في قاعة البارزاني للحزب الديمقراطي الكردستاني كما أشكر أساتذة الجامعة والوزراء وممثلي الأحزاب والأدباء الذين حضروا هذا اللقاء.

# العرب والأكراد والمصير المشترك*

الأخوات والأخوة: أحييكم أفضل تحية وأشكركم على حفاوتكم بي وحضوركم لمشاركتي الحوار حول موضوع آمنت بحتميته. وأنه لا أحد يزعم أنه بمنأى عن هذا المصير المشترك للعرب والأكراد..

المصير المشترك للعرب والأكراد وما يتطلبه من علاقة وثيقة بينهما هو محور اهتمامي وتفكيري في السنوات الأخيرة لأنني أومن إيماناً قاطعاً بأن قدر العرب والأكراد أن يكونوا في سفينة واحدة منذ قرون عديدة مضت وحتى الآن شاءوا أم أبوا.. وأن قيام العلاقات الوثيقة بينهما ليس خياراً لطرف من الطرفين بل هو أمر حتمي لا فكاك منه حتى تظل السفينة مبحرة.. لأنها إن غرقت فسوف تغرق بالجميع. قد يختلف الركاب في السفينة وقد يتعاركون ولكن ليس إلى الدرجة التي تؤدي إلى غرق تلك السفينة.

إن العلاقات الطيبة الوثيقة والمتينة بين العرب والأكراد فضلاً عن كونها تؤدي إلى مصير آمن للجميع فإنها أيضاً تعتبر من أهم أسس الأمن

---

* هذه المحاضرة ألقيت بمدينة دهوك بكردستان العراق مساء الأحد الموافق ١٩٩٩/٦/٢٧ وقد قدم لهذه المحاضرة وأدارها الأستاذ تيلي أمين معاون محافظ دهوك .

والاستقرار في المنطقة، المصير المشترك والعلاقة التي يجب أن تكون بين العرب والأكراد هي أمور حتمية تفرضها حقائق التاريخ والجغرافيا والمصالح الآنية والمستقبلية.

حقائق التاريخ تؤكد على العلاقات الوثيقة التي كانت بين الطرفين والعطاء الحضاري المتبادل والذي أثمر خيراً للطرفين بدءاً من صلاح الدين الأيوبي محرر القدس إلى رواد الحركة التنويرية الحديثة في مصر وكله كان عطاءاً كردياً وفي المقابل كان العطاء المصري يتمثل في العطاء الأزهري عندما تخرج الأكراد من الأزهر الشريف وعادوا إلى بلادهم حاملين ما تعلموه من دينهم الحنيف.. ويتمثل أيضاً في أن أول صحيفة كردية في التاريخ صدرت من القاهرة.. وأول إذاعة كردية بثت من القاهرة وأول مؤتمر للحوار العربي الكردي عقد في القاهرة.

العرب والأكراد حاربا معاً الصليبيين والتتار والإنجليز والأتراك.. وباستثناء أحداث السنوات الأخيرة فإنه لم يكن هناك أبداً على مر التاريخ خصومة بين العرب والأكراد.. كان الجميع وكما قدمنا في سفينة واحدة وعلى وعي كامل بأن المصير واحد.. وحتى أحداث السنوات الأخيرة كان الجميع فيها ضحايا سواء كانوا عرباً أم أكراداً ومن خلال حواراتي المتعددة لم أسمع من أحد من الأكراد اتهاماً لإخوانهم العرب بأنهم كانوا جناة في حقهم أو أنه كانت هناك يوماً خصومة بينه وبينهم.. بالعكس اتفق الجميع بدءاً من المواطن العادي إلى أكبر مسئول أن الخلاف والخصومة كانتا مع الحكومات العراقية المتعاقبة أما المواطن العراقي العربي فلاذنب له على الإطلاق في كل ما حدث إذ أنه هو الآخر كان ضحية كأخيه الكردي..

لكن لو تأملنا ظروف وأحداث السنوات الأخيرة لتبين لنا أن هناك جرح حقيقي قد حدث وبداية العلاج هو التشخيص الحقيقي لهذا الجرح إذ لا يكفي أن نقول: ما حدث كان بسيطاً وأن العرب والأكراد أخوة إلى آخر هذه الكلمات الطيبة.. لابد من الإجابة على سؤال: هل كان بالإمكان تدارك حدوث هذا الجرح..؟

إن الصرح الشامخ للعلاقات العربية الكردية والذي بني بإخلاص الأجداد لبنة.. لبنة أصابه شرخ.. إن لم يكن صدع خطير في السنوات الأخيرة.. من المسئول عن ذلك الجرح وهذا الصدع.. ؟.. وأجيب بكل صراحة: جميعنا مسئولين عن ذلك بدرجة أو بأخرى قد تكون مسئولية هذا أكبر قد تكون مسئولية ذلك أقل لكن هناك مسئولية مشتركة وعلينا جميعاً أن ننهض لمداواة الجرح.. وإعادة بناء صرح العلاقات العربية الكردية من جديد وعلى أسس جديدة ومتينة وواثقة.

لاشك ياحضرات في أن منطقتنا تمر حالياً بأزمة لم يسبق لها مثيل.. مظاهر ذلك واضحة جلية للجميع ولكننا سنأخذ مثالاً واحداً من العديد من الأمثلة على ما نقول.. الحالة العراقية التي أزعم أنها حالة فريدة لم تمر بها دولة من قبل.. الحصار.. فرق التفتيش.. الجوع.. وفيات الأطفال.. المناطق الآمنة في الشمال والجنوب.. القصف الجوي المتواصل تحت حجج واهية تذكرنا بحكاية الذئب الذي كان في أعلى النهر واتهم الحمل الذي في أسفل النهر أنه يعكر عليه المياه ولابد أن يعاقبه.. نفس الحكاية القصف الصاروخي من الطائرات بحجة أن أحد أجهزة الرادار العراقية (وهي أجهزة دفاعية وليست هجومية..!!) ضايقت تلك الطائرات.. أنتم لا شك جزء من

هذا الوضع الغريب.. فأنتم جزء من العراق وفق المواثيق والأعراف الدولية ووفق تأكيداتكم وتصريحاتكم أيضاً.. لكن أصدقائكم هم الذين فرضوا المنطقة الآمنة في الشمال لتعيشوا فيها في أمن وأمان.. أصدقائكم هؤلاء هم الذين يقصفون مدينة الموصل في الشمال انطلاقاً من قاعدة أنجرليك بتركيا ويقصفون مدينة البصرة في الجنوب انطلاقاً من قواعد في دول عربية شقيقة.. !!.. حتى تتعقد وتتشابك أكثر وأكثر خيوط الأزمة..

هو مأزق عربي خطير نعيش في كآبة ظلاله نحن وأنتم.. فصدقوني يا إخوان أنتم لستم بعيدون أبداً عن هذا المأزق أنتم جزء منه بالسبب والنتيجة.. لذلك عليكم أن تفكروا ملياً معنا.. كيف يمكن الخروج من هذا المأزق..؟

سبق وأن ذكرت لحضراتكم وفي كل مكان زرته في كردستان العراق أن علاقة عربية كردية متينة هي حجر الأساس للأمن والاستقرار في هذه المنطقة.. إذا كيف يمكن أن نتعاون سوياً في إقامة هذه العلاقة.. ؟.. كثيراً ما ألاحظ أن محور التفكير لأي أخ كردي هو النبش في الماضي بحثاً عن مآسيه وأؤكد لحضراتكم أنه كي نقيم هذه العلاقة الوثيقة لابد من مخاصمة مآسي الماضي وعقد صلح مع المستقبل.. لأننا لو توقفنا عند الماضي ومآسيه مفرقين أنفسنا فيها لما خطونا خطوة واحدة إلى الأمام.. نتأمل الماضي فقط لنستخلص منه العظات والعبر ونخطو إلى المستقبل بخطوات واثقة محاذرين.. كيف يمكن ألا ننزلق من جديد في أحداث تكرر ما حدث في الماضي.. لنجعل من مآسي الماضي دافعاً لنا لطرق أبواب المستقبل.

على العرب والأكراد أن يؤمنوا إيماناً قاطعاً لا يتزعزع بالمصير الواحد

المشترك لهما.. وأن يعمل الجميع كي تتوثق العلاقة العربية الكردية.. على الجميع أن ينحوا العوامل السلبية ويدعموا العوامل الإيجابية..

على العرب أن يؤمنوا أن للأكراد حقوقاً قومية مشروعة وأن عليهم أن يبادروا ليساعدوا إخوانهم الأكراد في الحصول على تلك الحقوق ويجعلوها من ضمن أولوياتهم.. وفي نفس الوقت فإن على العرب أن يؤمنوا بأن تحقيق المصالح الكردية لا يتعارض إطلاقاً مع المصالح العربية بل على العكس تماماً فإن تحقيق المصالح الكردية يدعم حركة التحرر العربي ويعطي للعرب قوة تمكنهم من الحصول على حقوقهم الضائعة.

وعلى الأكراد العمل بكل وسيلة على بناء جسور الثقة بينهم وبين إخوانهم العرب وإزالة بذور الشك الموجودة في قلب أي عربي.

على الأكراد أن يتبنوا بالقول والفعل والإعلان كافة القضايا العربية الهامة وأنا أعلم جيداً أنهم يتبنوا ذلك ففي كلمة الأخ سامي عبد الرحمن رئيس وفد الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى مؤتمر الحوار العربي بالقاهرة جاء ما يلي (وبهذه المناسبة السعيدة نؤكد ونجدد التضامن التام والكامل مع الشعب الفلسطيني الشقيق والأمة العربية المجيدة لتحقيق أهدافها العادلة والنبيلة وفي مقدمتها تحقيق السلام الشامل والعادل وانسحاب اسرائيل من كافة الأراضي المحتلة وخصوصاً الضفة الغربية والجولان وجنوب لبنان وتشكيل الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف).

تلك جوانب إيجابية عظيمة من لدن الأكراد ولكن المطلوب تسليط الضوء عليها أكثر وأكثر لنزيل الكثير من بذور الشك لدى العرب.. وأما عن الأمور السلبية التي يجب علينا محاصرتها ومن ثم إزالتها فأول تلك الأمور

هي تلك الحالة الفريدة التي تعيش في ظلها المنطقة حيث الحماية الأجنبية إذ لا بد من البحث عن طريقة لإيجاد مرتكزات محلية تحمي المنطقة وتجربتكم الفريدة من أجل علاقة عربية كردية أفضل من ناحية ومن أجل تحقيق الأمان المستقبلي الكامل للمنطقة من جهة أخرى.. لأن من تتفق مصالحه معك اليوم ويحميك قد تتعارض مصالحه معك في الغد فيقف ضدك ويعاديك..!!

الأمر الثاني هو مسألة كردستان الكبرى والتي تتطلب إجراءات إنفصالية هنا وهناك واسمحوا لي حضراتكم أن أتوقف قليلاً عند هذه الجزئية.

قد أتحدث أنا مستنتجاً أن حل المسألة الكردية يكمن في إقامة كردستان الكبرى لأن هذا أولاً حق الأكراد الطبيعي فهم يمتلكون الخصوصيات القومية والمكانية لذلك وثانياً قد أرى أن من صالح العرب تشجيع قيام هذه الدولة بل ومساندتها لأن تلك الدولة ستصبح دولة حليفة للعرب وتشكل سداً بينهم وبين الأطماع الإيرانية والتركية وأن منابع دجلة والفرات في كردستان وحروب السنوات القادمة ستكون على المياه حيث بدأت بوادرها بسدود تركية على روافد الفرات ثم الاتفاق مع اسرائيل على بيع المياه لها من خلال أنبوب تحت سطح البحر...

لو طرحت هذا الطرح فلا آثار سلبية له على الإطلاق لأنني باحث محايد واستنتاجاتي ليست محسوبة على القضية الكردية.. أما إن تحدث بنفس الحديث أخ كردي خصوصاً لو كان من الكوادر السياسية فإن المسألة تأخذ بعداً آخر.. لماذا.. ؟.. كلامي كما قدمت لا يحسب على الحركة الكردية ولا ينتج ردود فعل هنا أو هناك. أما تصريحات الأخ الكردي خصوصاً لو كان

من الكوادر المتقدمة في القيادة الكردية فإن تلك التصريحات تعطي ردود فعل خطيرة من دول الجوار أهمها استعداء دول الجوار على الحركة الكردية وليس من صالح الحركة الكردية بالطبع أن تكون في موقف العداء مع دول الجوار خصوصاً وأن هذه التصريحات لا يمكن لها أن تجد طريقها للتنفيذ لأن معطيات الواقع والظروف الدولية لا تسمح بذلك على الإطلاق بل وأستطيع أن أؤكد بأنها لا تسمح بإقامة دولة كردية في شمال العراق..

إذاً على الأخوة الأكراد أن يتمسكوا بالممكن وألا يضحوا به من أجل المستحيل وسأضرب مثالاً لحضراتكم: كم حلمت في الستينيات بأن أكون مواطناً عربياً في دولة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج.. بعد فترة اكتشفت أن حلمي هذا هو حلم عبثي وأنني إن انفقت وقتي وجهدي في تحقيقه فالوقت ضائع والجهد أيضاً ضائع وعليّ أن أسعى قدر جهدي كي أحقق ما يمكن أن استطيع تحقيقه في ظل المعطيات القائمة.. لكن في نفس الوقت من حقي أن أحلم بين حين وآخر بدولة عربية كبرى واحدة من المحيط إلى الخليج..

وأنتم من حقكم الحلم بكردستان الكبرى ولكن الحلم شيء وما يمكن أن يحقق في ظل المعطيات القائمة شيء آخر..

لذلك فمن خلال تصريح يأتي من هنا أو من هناك وفي الغالب من شخص غير مسئول أو من خلال تصريحات تمت في فترات زمنية سابقة فقد تكونت فكرة لدى مثقفي مصر بأن الأكراد إنفصاليون.. علينا أن نسعى جميعاً لمعالجة هذه الفكرة وتصحيحها.. إذ أنه ليس من صالح أكراد العراق كما قدمت استعداء دول الجوار عليهم..

لذلك فإنه في إطار تنحية العوامل السلبية من أجل مد جسور الثقة.. على الأخوة الأكراد أن يؤكدوا لإخوانهم العرب بالقول والفعل أنهم ليسوا إنفصاليين وأن التقسيم الذي تم في كردستان أدى إلى إيجاد مجموعات كردية راحت تكون لها مع الوقت خصوصيات متباينة فيما بينها..

على الأكراد أيضاً أن يرسخوا تجربتهم والتي هي في رأيي تجربة ممتازة فأنتم الآن تقيمون مجتمعاً ديمقراطياً قائم على التعددية والقبول بالآخر والمؤسسات واحترام حقوق الإنسان وحرية الرأي.. تدعيم هذه التجربة مطلوب.. والإعلان عنها أيضاً مطلوب.. وأكرر والبحث عن ركائز محلية لضمان ديمومتها أيضاً مطلوب.

إنني ألاحظ أن تسليط الضوء الإعلامي على تجربتكم ليس بالدرجة المطلوبة فلا أحد يعلم شيئاً عما يجري على هذه الأرض.. ولا أحد يعلم كيف تمارسون تجربتكم تلك.. فضلاً عن حقيقة توجهاتكم وهذا ما يدعو البعض لأن يضعكم في سلة واحدة مع دولة معادية في المنطقة.. فعندما يكتب أحد الكتاب ويقول أن كردستان العراق هي إسرائيل الجديدة في المنطقة يجب عليكم عدم الوقوف في موقف المتفرج بل من الواجب السعي إلى هذا الكاتب بأي وسيلة لتصحيح ما لديه من مفاهيم وصدقوني يا إخوان الأغلبية الكبرى من الكتاب في مصر إن كتبوا شيئاً ضدكم فهو أساساً نتيجة لغياب معرفي حقيقي عنكم وليس عن سوء نية.. علينا جميعاً أن نفكر كيف يمكن أن ننقل ما يحدث هنا إلى مصر.. لقد وصلت كردستان وفوجئت بتلك التجربة العظيمة التي تجري على أرض كردستان وهي تجربة الرعاة العرب العراقيون الذين أتوا كي ترعى أغنامهم في المنطقة الكردية

في عـام الجفـاف والجدب.. هذا الموضـوع ليس بـالأمـر البسـيط.. إنهـا تعني الكثير.. تعني أنكم بالدليل العملي لستم إنفصاليين وأن أرضكم هي جزء من أرض دولة العراق فضلاً عن إسهام هذه الخطوة في تجفيف بحار الشك لدى إخوانكم العرب كما أنها لبنة هامة في إعادة بناء صرح العلاقات العربية الكردية وفهم عاقل لأحداث التاريخ وحركته وعدم الوقوف عند ويلات الماضي.. لكن لو أني لم أحضر إلى هذه المنطقة ما كنت قد شاهدت تلك التجربة أو سمعت عنها رغم أني أسعى إلى متابعة كل مايدور على هذه الأرض.. إذاً مطلوب عملية مكاشفة كاملة وتسليط الضوء كما ذكرت على كل ما هو إيجابي.. وهل هناك أمر إيجابي يفيد العلاقات العربية الكردية كهذه الخطوة العملاقة.. ؟.. أتمنى لكم ولقيادتكم التوفيق وأنا في انتظار ملاحظات حضراتكم.. وشكراً.

ـ الدكتور عبد الفتاح يحيي عميد كلية الآداب جامعة دهوك

شكراً للأستاذ العزيز رجائي فايد على هذه المحاضرة القيمة التي تعقد لأول مرة في محافظة دهوك ولم يسبق لأحد أن ألقى محاضرة في هذا الموضوع.. سؤالي هو لقد تعرض مؤتمر الحوار العربي الكردي إلى التعتيم الإعلامي والمقاطعة العربية إلى حد أنه كان حواراً كردياً مصرياً والآن الأخوة في اللجنة التحضيرية يحاولون تنظيم حواراً آخر أوسع وفي بلد عربي آخر وحسب معلوماتي أن معظم الدول العربية التي فوتحت لتنظيم هذا المؤتمر على أرضها رفضت.. على عاتق من تقع مسئولية حوار كردي عربي حقيقي على عاتق العرب أم على عاتق الأكراد ؟ وشكراً.

* على عاتق الطرفين ومن يستطيع أن تكون لديه المبادرة يتقدم ومن

يستطيع فعل أي شيء إيجابي أهلاً وسهلاً .

الجولة الأولى للحوار لم تكن حواراً كردياً مصرياً فقد شاركت فيه بعض الشخصيات العربية الغير مصرية صحيح أن المشاركة المصرية كانت أوسع وهذا أمر طبيعي لظروف المكان والجهة المنظمة وسهولة المشاركة.. لكن الحوار كان كردياً عربياً..

بالنسبة لرد الدول العربية.. أنا مجرد عضو في اللجنة التحضيرية للمؤتمر لأن رئاسة اللجنة هي لشخصية هامة ذات تاريخ (الأستاذ / أحمد حمروش) وفي اللجنة أعضاء آخرون لهم تاريخ أيضاً (وزراء سابقون وسفراء وسياسيون وصحفيون) فبالنسبة لرد الدول العربية فهذا مرجعه (وهو استنتاج خاص) إلى السياسة وتقلباتها وموائماتها وضغوطها لكن إن شاء الله أعتقد أن اللجنة ستجد المكان الملائم لعقد هذه الجولة وبشكل عام فإن القاهرة مهيأة لاستضافة الجولة الثانية وليتكم تذللون مشاكل عقده في كردستان لأن الأمر حينئذ سيكون بالغ الروعة ويرى الجميع ما يحدث على هذه الأرض.

ـ الدكتور محمد بكر أستاذ بجامعة دهوك:

أبدأ تعليقي بشكر الأستاذ رجائي فايد على هذه المحاضرة القيمة وعلى الروح الإيجابية التي يتمتع بها في تعامله مع القضية الكردية ونصرة العلاقات العربية الكردية. وأذكر بهذه المناسبة قول عربي مأثور: رب أخ لك لم تلده أمك.. وأستطيع التأكيد بأن الأخ رجائي هو بالنسبة لنا هذا الأخ..

لي تعليق على نقطة واحدة أريد من الأستاذ أن يتعامل معها بإيجابية أكثر وأن ينقلها إلى إخوانه في مصر وكافة الدول العربية وهي مسألة

الانفصال أولاً: أن الانفصال ليس تهمة ولا جريمة.. إننا كشعب من حقنا التمتع بحق تقرير المصير ولكن هناك نقطتان تتعلقان بهذه المسألة.

الأولى: المبدأ والواقع.

الثانية: المعايير المزدوجة.

نحن نفهم المبدأ والواقع كما يلي: نحن كشعب نعطي أنفسنا حق الانفصال وتكوين دولة ويجب عليكم أن تحترموا هذا المبدأ وأن تعلنوا ذلك بكل وضوح بين إخوانكم وفي نفس الوقت فإننا نؤكد بأننا نتعامل مع هذا المبدأ بطريقة علمية وواقعية كما يعلنها زعماؤنا.. اعطونا حقنا في الانفصال وتكوين دولة ونحن نؤكد لكم بأننا لن ننفصل أبداً.

أما موضوع المعايير المزدوجة التي تتهمون بها الولايات المتحدة الأمريكية دائماً فأنتم أيضاً تطبقون الأمر ذاته تجاه الشعب الكردي فتؤيدون حق تقرير المصير لشعب نفوسه بضعة آلاف في أقصى الأرض وتمنعون هذا الحق عن شعب تعداده الملايين وشكراً.

* أتفق معك أن الانفصال ليس تهمة أو جريمة.. هناك ملاحظة أرجو ألا نعمم الأمور لأن الكل ليسوا سواء هناك درجات مختلفة في النظرة للأمور من شخص لآخر.. ملاحظة أخرى.. الانفصال معناه تقسيم العراق.. أليس كذلك.. ؟.. وصدقوني ياإخوان إذا بدأ التقسيم فإنه لن ينتهي سيتحول إلى معادلة هندسية مجنونة.. هكذا يقول علم الاجتماع السياسي.. ولتوضيح ذلك نفترض أنه حدث التقسيم.. دويلة كردية في الشمال وعربية سنية في الوسط وعربية شيعية في الجنوب.. لو أخذنا الدويلة الكردية في الشمال فإنها مباشرة ستنقسم إلى دويلتين أو أكثر كل دويلة لهذه الزعامة

أو تلك وأنتم تشاهدون الآن صورة لما يمكن أن يحدث بعد ذلك كل دويلة بعد ذلك ستنقسم ولا ينتهي التقسيم أبداً إلى أن نصل إلى فسيفساء سياسية أو كانتونات ضعيفة صغيرة تشمل كل منها عشيرة أو حتى فخذ من عشيرة.

نعود ثانية إلى موضوع الانفصال أذكر أنني كتبت تعليقاً في صحيفة أخبار اليوم نشره لي الكاتب الصحفي جمال بدوي ضمن سلسلة دراسات له عن القضية الكردية.. جاء في هذا التعليق: لم يطرح الأكراد أو أحزابهم ذات الأهمية فكرة الانفصال عن دولة العراق رغم أنهم يمتلكون الخصوصيات التي تؤهلهم لذلك وطرح هذه الفكرة والإلحاح عليها بقصد وبدون قصد يؤدي إلى استعداء الدول المجاورة على الأكراد.. أنا لا أريد أن تكتسبوا عداءً من أحد.. عليكم استثمار الممكن ومعطيات الحاضر.. عليكم عدم التضحية بالممكن من أجل المستحيل.. أقول وأكرر لا الظروف الدولية ولا المعطيات في الحاضر والمستقبل المنظور تسمح بإقامة كردستان الكبرى ولا حتى بكردستان مستقلة في شمال العراق.

نحن نعيش في عالم له معطيات ولا نستطيع الفكاك منها.. تقول اعطونا حقنا.. من نحن.. ؟ نحن أيضاً حقوقنا ضائعة وحتى الآن لسنا قادرين على استردادها وهل مصير كردستان متعلق بالعرب وحدهم ؟.. العرب معنيون بكم أنتم وحدكم فقط.. كردستان العراق وأنتم (وهذا فخر للعرب) الأسعد حالاً على الإطلاق بين كل المجموعات الكردية.. بل أنتم اليوم أسعد حالاً بكثير من إخوانكم عرب العراق وأنتم تعلمون ذلك..

نأتي إلى موضوع المعايير المزدوجة أنا أوافقك تماماً ولكن أرجو أيضاً

عدم التعميم وأن يدرك من يمارس هذه المعايير أن الله سبحانه وتعالى توعد بالويل في كتابه الكريم {ويل للمطففين}.

أما بالنسبة لممارسة الولايات المتحدة للمعايير المزدوجة فهي في الواقع لا تمارس ذلك لأنها لا تمتلك هذه المعايير أصلاً معاييرها هي المصلحة الآنية فقط.. النظام العالمي الجديد هو نظام بلا معايير قائم على أساس أننا تجاوزنا عصر الأيديولوجيات والثوابت والمبادىء والقيم.. العامل الاقتصادي وحده هو المحرك الأساسي لكل شيء، فالإنسان منتج ومستهلك فقط في إطار هذا الطرح علينا أن نفكر جيداً إذا حدثت متغيرات في الغد وأصبحت مصالحه تتعارض مع مصالحك.. ما العمل حينئذ.. ؟.. علينا أن نعد أنفسنا جيداً من الآن ماذا يمكن أن نفعل ونتصرف.. وهنا نعود لنؤكد على ضرورة البحث عن مرتكزات محلية لحماية هذه التجربة بدلاً من المرتكزات الدولية التي لا أمان لها.

ـ الأستاذ أبو نضال الحزب الشيوعي الكردستاني:

منذ سقوط الدولة العثمانية عمل الاستعمار على تجزئة الأمتين العربية والكردية للوقوف أمام طموحات شعبهما في قيام دولهم المحررة.. ولقد اشترك العرب والأكراد في ثورة العشرين والتي حمت طموحات الشعبين.. إن الحركة التحررية الكردستانية هي جزء من حركة التحرر العربية. وعلينا أن نتنبه إلى حقيقة هامة وهي أن ما أصاب العلاقات العربية الكردية ليست مشاكل بين الشعبين.. ليس بسبب عداوة بين الشعب الكردي والشعب العربي إنما بسبب يكمن أساساً في ممارسات حكام العراق لأنه في كل المراحل النضالية كان هناك الكثير من الأحزاب والشخصيات العربية داخل

وخارج العراق تؤيد طموحات الشعب الكردي.. فالديمقراطيون العرب والحزب الشيوعي العراقي هم الذين كانوا يدافعون عن حركة بارزان في الثلاثينيات والأربعينيات.. وتأكيداً على أن الحركة التحررية الكردية كانت جزءاً من حركة التحرر العربي فإنني أذكر المظاهرة الضخمة التي قامت هنا في دهوك عام ١٩٥٦ تأييداً لكفاح الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي الغاشم وحدث صدام بين الطلبة والشرطة واعتقل الكثير واعتقد أن العشرات من الحضور شاركوا في تلك المظاهرة..

وأنني أذكر أن أبرز شعار رفعته القوى الديمقراطية بالعراق من شيوعيين وديمقراطيين ومن الحزب الديمقراطي الكردستاني هو: على صخرة الاتحاد العربي الكردي تتحطم مؤامرات الاستعمار وليس بخاف على أحد قصائد الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري التي تؤيد طموحات الشعب الكردي والآن قيادات الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي وكافة الفصائل الأخرى العاملة في كردستان ترفع شعار الديمقراطية للعراق والفيدرالية لكردستان.

* شكراً للأستاذ أبو نضال على هذه الإضافات الهامة.

- عبد الكريم فندي: مدير عام الثقافة والفنون في وزارة الثقافة

شكراً للأستاذ رجائي فايد على محاضرته القيمة وواقعيته ومساهمته الجادة في موضوع العلاقات العربية الكردية.. ذكر في محاضرته أن التجربة تحتاج إلى مرتكزات محلية وإقليمية.. ما هي هذه المرتكزات.. ؟.. وهل يمكن إيجاد هذه المرتكزات في ظل الأنظمة القائمة حاليا.. ؟.

* المرتكزات هي إقامة علاقات عربية كردية وثيقة بدلاً من المرتكزات

الحالية المعتمدة على فرض مناطق آمنة تحميها طائرات تنطلق من قاعدة انجرليك بتركيا.. ولأهمية ذلك فإنني أؤكد لأكثر من مرة المصالح حالياً متفقة.. لو تعارضت تلك المصالح في الغد فإن تلك الطائرات المنطلقة من قاعدة انجرليك بدلاً من أن تتوجه إلى الموصل وتقصفها فإنها حينئذ ستتوجه إلى مكان آخر ربما إليكم..

أما السؤال الثاني الخاص بإمكانية تحقيق هذه المرتكزات في ظل الأنظمة القائمة.. سؤال لا أستطيع الإجابة عليه..!!

ـ هەڤاڵ زاخۆلی: مسئول المكتب الصحفي لجريدة خه بات بدهوك:

ذكر الأستاذ أنه علينا أن نغض النظر ونتجاهل التاريخ.. لكن في رأيي علينا أن نبحث ونحلل فيما مضى من الزمن.. الصدع قديم والشك قديم أيضاً.

أبو مسلم الخراساني وهو كردي قاد الثورة العباسية وكان جزاؤه القتل على يد أبو جعفر المنصور وجاء الشاعر العربي يقول:

أبا مجرم هل غير الله نعمة بحقه حتى يغيرها العبد

أفي دولة المنصور حاولت غدره ألا إن أهل الغدر آبائك الكرد

المسألة إذن قديمة.. لست قومياً متطرفاً ولكني قومياً اعتز بقوميتي ذكرت مسألة إقامة العلاقات العربية الكردية على أسس سليمة.. أين دور المثقف العربي في هذا الشأن.. إن أكثرية المثقفين العرب متشبعون بأفكار الأنظمة العربية ومن هذه الأفكار التي تنظر إلى الأكراد على أنهم أقلية..

إننا نؤمن بأن الشعب العربي هو عمقنا الاستراتيجي لكن هل يدرك

الأخوة العرب بأن القومية الكردية هي العمق الاستراتيجي لهم..؟

* أنا لم أقل نتجاهل التاريخ.. قلت بالنسبة للتاريخ لانتناوله إلى الدرجة التي نفرق فيه ونجلد أنفسنا بويلاته.. بل نستخلص منه العظات والعبر حتى لاننزلق مستقبلاً في أخطاء تكرر ما حدث.

أبو جعفر المنصور لم يقتل أبا مسلم الخراساني لأنه كردي.. المسألة تقلبات سياسية ولو كان أبو مسلم عربياً ماتوانى المنصور في قتله.. ثم أن أبا مسلم لم يقم بدوره التاريخي بصفته الكردية بل بصفته قائداً مسلماً يسعى إلى تقويض ملك آل مروان لصالح آل العباس.

المثقف العربي في الغالب مغيب عن حقيقة وأبعاد المشكلة الكردية وعلينا أن نفكر في كيفية الوصول إلى هذا المثقف رغم أن هناك اهتماماً متزايداً بالقضية الكردية في مصر لكنه مازال في رأيي دون مستوى الطموح.

ـ المهندس عز الدين: رئيس مركز لالش للأكراد الأزديين:

شكراً للأستاذ رجائي على هذه المحاضرة القيمة.. النقطة الأولى هل مطالبة الأكراد بحقوقهم تعتبر من الأمور السلبية التي تؤدي إلى نمو بذرة الشك..؟.. ومسألة الفيدرالية هل هذا الحق مقبول عربياً..؟

* بالنسبة للأمور السلبية فهي لدى الأكراد والعرب سواء بسواء وهناك فرق بين المطالبة بالحقوق المشروعة والمزايدة في هذا الاتجاه.. أما بالنسبة للفيدرالية فهي تحتاج في الدرجة الأولى إلي درجة عالية من الديمقراطية لدى المواطن العادي ولدى الحكومات.. في غياب الديمقراطية الحقيقية فإن لفظ الفيدرالية ينظر إليه كانفصال.. هذه ناحية.. الناحية الأخرى عندما

طرحت الأحزاب الكردية مسألة الفيدرالية قررت في نفس الوقت أن هناك مفاوضات مع الحكومة المركزية.. أي مفاوضات خاضعة للأخذ والرد ولا أحد ذهب لمائدة المفاوضات وحصل على كل ما يريد لأن المفاوضات لها قانونها الخاص..إذا كنت تمتلك قوة لتفرض ما تريد.. افعل حتى ولو كان الانفصال ذاته. وأود أن أعرض على حضراتكم ما جاء في كلمة الدكتور سعدي البرزنجي عميد كلية القانون والسياسة جامعة صلاح الدين والمستشار القانوني للأخ مسعود البارزاني والتي ألقاها أمام مؤتمر الحوار العربي الكردي بالقاهرة (إن قرار البرلمان الكردي في ٤ أكتوبر ١٩٩٢ هو ليس إعلاناً للفيدرالية.. فالفيدرالية حق يجب أن يتفق عليه الأطراف الموقعة عليه والمكونة للفيدرالية. لذا غرض برلمان كردستان هو عرض من الشعب الكردي في العراق إلى أخيه الشعب العربي في العراق).

ـ الأستاذ معصوم مائي أديب وكاتب سياسي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. يسعدني أن أرحب بكم في كردستان باسمى وباسم عائلة مائي التي انتمي إليها والتي قدمت العديد من الخدمات للشعب العراقي بعربه وأكراده.. أنني أعلم أنكم مع حق الشعب الكردي لكن ما هي هذه الحقوق إذا لم تكن فيدرالية.. ؟.. ولماذا تتخوفون من الفيدرالية.. ؟

* الحقوق تحددها المفاوضات مع الحكومة المركزية هذا ما أفهمه وما قررته الأحزاب الكردية والبرلمان الكردي.. تسألني تتخوفون من الفيدرالية؟.. هذا الأمر يطرح على مائدة المفاوضات والتي عليها سيتقرر الوضع النهائي.. وأعيد لأؤكد على موضوع الديمقراطية كشرط أساسي وهام للفيدرالية.. في

حواري مع الأستاذ عزيز محمد السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي والشخصية الكردية المرموقة قال لي بكل وضوح (اعطني ديمقراطية حقيقية أتخلى عن كل القضايا ) وأضيف إلى كلام الأستاذ عزيز محمد هذه الجملة (لأنه لن تكون هناك حينئذ قضايا ).

وأشكركم على حسن استماعكم..

وختم الأستاذ تيلي أمين مدير اللقاء ومعاون محافظ دهوك اللقاء بشكر المحاضر والحضور مؤكداً (كنا نعتقد من قبل أنه لا صديق للأكراد سوى الجبل.. الحمد لله أصبح اليوم لنا أصدقاء قليلين أحدهم الأستاذ رجائي فايد).

## إطلالة على شكل الحكم بالاقليم

لقد تعودنا على أن يكون للحاكم مكانته الخاصة لدى الجميع.. صور الحاكم في كل مكان خصوصاً في الدوائر الرسمية.. كلامه يتحول إلى مأثورات تحملها لافتات.. لو نطق باسمه في اجتماع ما لكان رد فعل ذلك هو التصفيق الحاد.. هذا ما ألفناه..

وأعود إلى الماضي.. أربيل ١٩٨٦ كانت فترة مشحونة بالقلق.. لا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث له في الغد.. سنوات الحرب العراقية الإيرانية طال أمدها ولا بصيص أمل في قرب نهاية لها.. الناس لا حديث لهم إلا عن محاولات الوساطة التي توقفت وهل هناك من أمل في بعثها من جديد..؟!.. وهل تتركنا الدنيا هكذا.. ؟

استدعاء المواليد يجري على قدم وساق لمواجهة العجز الذي يحدث باستمرار في وقود تلك الحرب.. الحرب مستمرة مشتعلة وأتونها فاتح فاه.. لا يشبع ويحتاج كل يوم إلى وقود جديدة..

ومن لم تستدع مواليده يجد نفسه ملاحقاً للإلتحاق بوجبات الجيش الشعبي المسافرة إلى الجبهة حيث هذا الأتون اللعين..

لا خيارات مقبولة أمام أحد..

صحيح أن الجبل صديق الأكراد الدائم موجود وبه متسع للجميع.. لكن الصعود إلى الجبل لم يعد خياراً سهلاً أمام كل فرد.. فالكثير منهم يعيش في المدينة حيث كل وسائل الترفيه الحديثة من مياه وكهرباء وأجهزة كهربائية حديثة.. وهو إن صعد الجبل فضلاً عن قساوة الحياة هناك فماذا عساه أن يفعل بعائلته وعمله الذي رتب عليه حياته وظروفه الصحية التي لا تحتمل غير هذه الحياة..

هل يستسلم وينخرط في سلك الجندية أو الجيش الشعبي مقاتلاً أو بالأحرى وقوداً لأتون هذه الحرب.. ؟.. هو يعلم يقيناً أن فرصة عودته من جديد إلى داره وأهله وأحبائه شبه معدومة فهو في الأغلب مفقود.. مفقود..

في ظل هذا المناخ القلق الغير مستقر فوجيء الجميع معي بأن باب ديوان المنشأة العامة للدواجن الشمالية قد أغلق على العاملين بها وأحيط بالحراسات من كل جانب ثم يدفع بالجميع دفعاً إلى سرداب المنشأة حيث قاعة الاجتماعات وعلى المنصة يجلس الرفاق يخطبون في الحضور حول الحرب المقدسة التي يخوضها جند العراق الأشاوس دفاعاً عن البوابة الشرقية للوطن العربي (يهمس البعض لنفسه مالنا ومال الوطن العربي) ضد العدو الفارسي المجوسي المتغطرس الـ.. الـ.. الخ.. ثم يحمل الخطيب على أدلاء الخيانة.. المخربون.. الـ.. الـ.. (كلها أوصاف للحركة الكردية).. ثم يعلن الخطيب عن القرارات العظيمة التي قررتها القيادة من أجل المحافظة على مكتسبات الجماهير.. ما هي ياترى..؟ الغاء كافة القرى في المنطقة الشمالية نهائياً وتسويتها بالأرض.. هذا هو قرار الرئيس القائد حفظه الله.. وينطلق التصفيق الحاد من الأكراد الذين أزيلت قراهم من على الوجود

ومزروعات الحنطة والشعير سيتم إحراقها بالكامل.. ويصفقون..!!.

بعد ذلك تبدأ فترة العذاب والمعاناة.. الدعوة إلى التطوع القسري في صفوف الجيش الشعبي..

أذكر جيداً هذه الواقعة.. كان الوقت هو خريف ١٩٨٦ تم دفع الجميع دفعاً إلى اجتماع كهذا..

ومع انتهاء اللقاء وخروج الرفيق الحزبي الكبير متوتراً عصبياً.. وفي طريق خروجه من الممر الموجود وسط القاعة.. وقف فجأة إلى جواري بالضبط وبحركة سريعة صفع الواقف إلى جواري على وجهه وبأقصى ما يستطيع وهو يتلفظ بأقسى ما لديه من صوت: اسم السيد الرئيس يذكر ولا تصفق ؟!!.. جريمة.. !!.. وأي جريمة.. !!.

هذه الواقعة محفورة في ذهني أذكرها جيداً كما لو أنها قد حدثت منذ لحظات ويذكرها معي العديد من منتسبي الدواجن في ذلك الحين..

هذا الزميل فوجئت وفوجيء الجميع معي برد فعله.. طأطأ رأسه إلى الأرض.. الإهانة أكبر من أن توصف وهو أعجز من أن يرد وحمداً لله لأنه كان كذلك.. فقد لاحظت فوهات بنادق تتدلى من أعلى السرداب تجاهي بالضبط وهي في لحظة استعداد لإطلاق النار فوراً.. الأمر مجرد ضغطة على زناد.. !!.. وتحدث مذبحة.. !! الرفيق الحزبي الكبير مستمر في استفزازاته للزميل المسكين.. يده على مسدسه الأنيق المتدلي من جانبه ولسانه ينطلق بأفظع ما في قاموس الشتائم من بذاءات وكأنه يتمنى لو أن هذا المسكين يخرج عن صمته الذليل الفاقد الحيلة ويفعل أي شيء ليكون مبرراً لإخراج مسدسه وإفراغ رصاصاته فيه ولتكن المذبحة.. لا يهم..

فهؤلاء جميعاً خونة.. لا يتطوعون في قادسية صدام المجيدة.. ويتعاونون مع المخربين وحق عليهم جميعاً الإبادة.. !! ويكفي أن يرتكب تلك الجريمة التي ما أبشعها.. اسم السيد الرئيس يذكر ولا يصفق.. !!..

هذه الواقعة بعينها تذكرتها وأنا ألقي محاضرتي بمقر الحزب الديمقراطي الكردستاني بأربيل.. لم أسمع أحداً يصفق واسم الرئيس مسعود البارزاني يذكر لأكثر من مرة في القاعة.. لحظتها دونت ملاحظة بذلك وقارنت بين موقف وموقف.. بل أعطتني هذه الحالة مؤشراً للعلاقة بين الحاكم والمحكوم في هذا الإقليم.

من معبر دجلة.. إلى مدينة دهوك.. إلى صلاح الدين.. إلى أربيل وكافة دوائر أربيل بدءاً من مكتب رئيس الحكومة إلي الوزارات والدوائر لم أجد صورة واحدة للأخ مسعود البارزاني في أي مكان ولم أجد أيضاً جملة واحدة له تحولت إلى مأثورة.. !!.. وعندما سألته أجاب في هدوء: أنا أعتبر أن الحب لا يفرض من الخارج ولكنه ينبع من الداخل.. والمسألة ليست صورة هنا أو صورة هناك..

وعندما كانت تسير بي السيارة في طرقات أربيل والكل يعرف تماماً لأي جهة تعود هذه السيارة لاحظت أن السائق كان أكثر السائقين انضباطاً على الطريق.. لم أرصده وهو يتجاوز إشارة مرور واحدة أو يتخطى سيارة أمامه أو تفتح له إشارة المرور..

وعدت إلى الماضي لأتذكر أن سيارة كتلك كانت تتخطى وتدوس وتفعل كل شيء..

هذا مجتمع تترسخ فيه قيم المساواة بين الجميع..

في كل تجولاتي لم ألاحظ أي مظاهر للتسلح إلا في النقاط الأمنية فقط.. وبعيداً عن تلك النقاط فلم أجد سلاحاً مع أحد..

وعدت من جديد إلى الماضي عندما كانت الشوارع تعج بالمسلحين من كل شكل ولون ومن مختلف الأعمار كباراً كانوا أم صغاراً.. ومن مكان لآخر نجد بيتاً من البيوت وقد تحول إلى ما يشبه القلعة المسلحة.. فنسأل لمن هذه الدار فيقولون هذه الدار دار فلان رئيس فرسان..

في هذا المناخ اختلط الحابل بالنابل وأصبح لا أحد يعرف مع من هذا أو ضد من ذاك.. !!.. وعلى الطرق العامة في الليل وأحياناً في بعض ساعات النهار يقف المسلحون يقطعون الطريق ويحصلون الأتاوات بالقوة.. أحياناً يزعمون أنها للثورة.. أي ثورة.. ؟.. ولأي جهة يتبع هؤلاء.. ؟..

كيف يمكن أن يستتب الأمن في ظل هذه الظروف.. في ظل مراهق يحمل بندقية قد تنطلق منه الرصاصات في لحظة مزاح مع مراهق آخر لتقتل أو تصيب أو على الأقل تروع آمناً..

لقد لاحظت إنحسار ظاهرة التسلح تماماً.. لقد فرض الأمن والأمان نفسه وهنا يحق للإنسان أن يقول: هنا في هذا المكان توجد حكومة..

في الماضي لم يكن هناك من صوت سوى صوت واحد هو صوت الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي.. فكل شيء له ومن أجله.. الصحافة - الإذاعة - التليفزيون - المطبوعات - المؤتمرات - النقابات - الاتحادات - كل شيء..

ولكن الأمر اختلف كثيراً فعلى الساحة تعددت الأحزاب حتى بلغ عدد المجاز منها يصل إلى ٢٢ حزباً ولأغلب هذه الأحزاب صحفاً ومجلات

وإذاعات ومحطات تليفزيونية.. هناك إذن تعددية تمارس على هذه الأرض وهذه التعددية لابد أنها تقوم بدور في مجال الرقابة وتصحيح المسار.

ولقد شهدت هذه المنطقة انتخابات عامة عام ١٩٩٢ في وجود رقابة دولية لانتخاب البرلمان وقائد الحركة التحررية الكردية. وعن هذه الانتخابات والتي تعطي مؤشرات هامة لتغييرات هامة تجري على هذه الأرض وفي داخل الإنسان ذاته.. وأدون هنا بعض الملاحظات التي ظهرت في تقرير جمعية الإصلاحات الانتخابية البريطانية:

١ ـ حافظت جميع الأحزاب على التضامن الرائع من أجل العمل على إنجاح الانتخابات.

٢ ـ لم يرغب أي حزب في إثارة أي قضايا قبل الانتخابات لأنهم لم يرغبوا بالحط أو الإقلال من قيمة الانتخابات.

٣ ـ بدون استثناء كان أعضاء وكوادر اللجنة العليا للانتخابات وأعضاء الجبهة الكردستانية وأعضاء الأحزاب متعاونين وكفوئين.

٤ ـ كانت الأحزاب مبتهجة بكل الترتيبات وكانوا يستمتعون بالحملة ولم تظهر أي بوادر للجفاء أو الكراهية بين الأحزاب ولم تر جمعية الإصلاحات الانتخابية أي بوسترات انتخابية مشوهة وبينما كانت تمر المواكب الانتخابية والمسيرات المتنافسة في الشوارع كانت تواجه بمزاح ودي وليس بغضب أو شر وكانت روح التعددية الحزبية تظهر بوضوح حيث كان الأصدقاء والأقارب يصوتون لجهات مختلفة ولم يكن يعتبر ذلك انقساماً أو عدم إخلاص.

٥ ـ سافرت جمعية الإصلاحات الانتخابية مسافات بعيدة قدر الإمكان للتحدث للناخبين كان يتجمهر حول اللجنة ٥٠ ـ ٦٠ من الجمهور المتحمس

ويحاول الجميع إبداء آرائهم حول الانتخابات وفشلت الجمعية في إيجاد فرد واحد لا يعرف أين يصوت ومتى وكيف يدلي بصوته.

لقد كان الوعي الانتخابي رائعاً.

هذا بعض ماذكرته اللجنة الأجنبية لمتابعة الانتخابات.. هذا معناه أن هناك شيء جديد يجري على هذه الأرض بل لعل هذا الشيء الجديد هو أمر غير مألوف على المنطقة بأسرها.

ما عرضته سابقاً هي مقدمة طالت كثيراً وهي تعتبر أشبه بمدخل للتعرف على شكل الحكم في المنطقة..هل المناخ السائد هو الذي خلق التجربة أو هو من خلق التجربة..؟ فقد اتضح من خلال هذه المقدمة الطويلة شكل العلاقة بين الحاكم والمحكوم.. المساواة الظاهرة بين الجميع.. التعددية والقبول بالآخر.. الحرية وإبداء الرأي في أى قضية بلا خوف. واستتباب الأمن والأمان في المنطقة وانتهاء مظاهر التسلح وهذا معناه أن في هذا المكان كما قدمت حكومة..

لكن ما هي سمات هذا الحكم ذاته.. ؟.. وما هي أركانه.. وهل هو حقاً قائم على نظام المؤسسات المحكومة بقوانين تعطي لكل مؤسسة حرية الحركة في حدود معينة دون أن تتخطاها.. ؟

وللتعرف على شكل إدارة هذا الإقليم نجد أن هناك سلطات ثلاث:

تشريعية.

تنفيذية.

قضائية.

وسوف نتعرض إلى هذه السلطات واختصاصاتها والقوانين التي تحكمها

وحدود عمل كل منها وبإيجاز شديد.

(١) السلطة التشريعية «البرلمان»:

بعد الفراغ الذي شمل المنطقة عندما سحبت الحكومة العراقية إداراتها المدنية من المنطقة في ١٩٩١/١٠/٢٦ بهدف خلق فراغ إداري وحصار المنطقة تقدمت الجبهة الكردستانية لملء هذا الفراغ وشكلت لجنة من ١٣ حقوقياً إضافة إلى ممثلين للجبهة الكردستانية حيث أنجزت هذه اللجنة مشروع قانون المجلس الوطني (البرلمان) والذي صدر حاملاً الرقم (١) لسنة ١٩٩٢ بتوقيع أعضاء الجبهة.

وقد اشتمل القانون على عدة أسس ارتكزت عليها عملية انتخاب أعضاء البرلمان وهي:

أ ـ مبدأ الاقتراع السري المباشر.

ب ـ مبدأ المساواه بين الرجل والمرأة في الانتخابات والترشيح.

ج ـ اعتماد التمثيل النسبي على أساس القوائم الحزبية.

د ـ أن يمثل العضو ٣٠ ألف نسمة.

هـ ـ عدم جواز الجمع بين عضوية المجلس والوظائف العامة.

كما اشتمل القانون على مهام وصلاحيات السلطة التشريعية البرلمان وهي كما يلي:

أ ـ تشريع القوانين.

ب ـ إقرار الاتفاقيات والبت في المسائل المصيرية لشعب كردستان العراق وتحديد العلاقة القانونية مع السلطة المركزية.

ج ـ تسمية رئيس الوزراء.

د ـ منح وسحب الثقة من مجلس الوزراء.

هـ ـ إقرار الميزانية العامة وخطة التنمية.

و ـ الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية.

ز ـ تشكيل اللجان التحقيقية.

ح ـ وضع نظامه الداخلي وإقرار ميزانيته.

وتتحقق رقابة البرلمان للسلطة التنفيذية في ثلاث جوانب:

١ ـ اللجان التحقيقية: يشكل المجلس لجاناً تحقيقية بموافقة أغلبيته لتقصي الحقائق فيما هو معروض على المجلس في أي أمر من الأمور.

٢ ـ توجيه السؤال إلى المسئول وعلى رئيس مجلس الوزراء أو الوزير المختص الإجابة على السؤال الموجه خلال ٧ أيام من تاريخ توجيهه شفاهة أو كتابة.

٣ ـ توجيه الاستجواب إلى المسئول الذي يجب عليه حضور مناقشة هذا الاستجواب خلال ٧ أيام من تاريخه وفي حالة تأييد المجلس للاستجواب بأغلبية ثلثي الحضور يعتبر ذلك إعفاءاً للمستجوب من منصبه وإذا كان المستجوب رئيس الوزراء ترتب على ذلك إعفاء الوزارة كلها (استقالتها).

(٢) السلطة التنفيذية: تتكون السلطة التنفيذية في إقليم كردستان العراق من:

أ ـ قائد الحركة التحررية الكردية.

ب ـ مجلس وزراء الإقليم.

أ ـ صلاحيات قائد الحركة التحررية الكردية:

١ ـ تمثيل الحركة التحررية الكردية والتحدث باسمها داخلياً وخارجياً.

٢ ـ قائد عام جميع الفصائل الكردية المسلحة في إقليم كردستان العراق.
٣ ـ دعوة المجلس الوطني (البرلمان) للانعقاد.
٤ ـ المصادقة على الاتفاقيات التي يقرها المجلس الوطني (البرلمان).
٥ ـ إصدار القوانين والأنظمة التي وافق عليها المجلس الوطني (البرلمان)
٦ ـ اقتراح مشروعات القوانين.
٧ ـ الدعوة إلى إجراء انتخابات المجلس الوطني وفق القانون خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ انتهاء المجلس أو صدور قرار من المجلس بحل نفسه.

ب ـ صلاحيات مجلس وزراء أقليم كردستان:
١ ـ وضع السياسة العامة للإقليم والإشراف على تنفيذها وفق القوانين.
٢ ـ اقتراح مشروعات القوانين ورفعها إلي المجلس الوطني لإقرارها.
٣ ـ إعداد مشروعات الأنظمة وإصدارها.
٤ ـ إعداد مشروع الموازنة العامة للإقليم.
٥ ـ إعداد مشروعات خطط التنمية للإقليم.
٦ ـ عقد القروض ومنحها بموافقة المجلس الوطني لكردستان العراق.
٧ ـ تنفيذ القوانين والمحافظة على أمن الإقليم وحماية حقوق المواطنين والمتلكات العامة ومصالح شعب كردستان العراق.
٨ ـ توجيه وتنسيق أعمال الوزارات والجهات التابعة لها والهيئات والمؤسسات العامة ومتابعة أعمالها.
٩ ـ الإشراف على مشروعية التعليمات التي تصدرها الوزارات والهيئات والمؤسسات التابعة لها.
١٠ ـ إصدار القرارات الإدارية والتنفيذية وفق القوانين ومتابعة تنفيذها.

١١ ـ تعيين الموظفين والمدراء العامين وعزلهم وفصلهم وإحالتهم على التقاعد.

(ج) السلطة القضائية في إقلم كردستان العراق:

نصت المادة الأولى من القانون رقم (١٤) لسنة ١٩٩٢ على ما يلي:

المحاكم مستقلة لا سلطان عليها لغير القانون ولا يجوز لأي سلطة أو شخص التدخل في استقلال القضاء أو التدخل في شئون العدالة.

تلك هي السلطات الثلاث بأقليم كردستان العراق..

هذا ونستطيع أن نقول بأمانة أنه إذا طبقت القوانين المنظمة لكل تلك السلطات فإن مجتمعاً ديمقراطياً حقيقياً يتكون في هذه المنطقة كما أن أسس المجتمع المدني القائمة على الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والقبول بالآخر والتعددية تتشكل في إقليم كردستان العراق..

لقد كفل القانون رقابة حقيقية من السلطة التشريعية (البرلمان) على السلطة التنفيذية وحدد القانون لهذه السلطة كيفية الرقابة:-

تشكيل لجان تقصي الحقائق ـ توجيه السؤال للمسئول ـ استجواب المسئول ومن صلاحية البرلمان أن يسحب الثقة من الوزير أو من الوزارة كلها.. كما أن المجلس هو الذي يشرع القوانين ويقر الاتفاقيات ويمنح الثقة ومن ثم يسحبها من مجلس الوزراء وغير ذلك من الأمور..

وهذا البرلمان تم انتخابه من خلال تجربة انتخابية شهدت لها لجنة مراقبة دولية بالحيدة والنزاهة وارتفاع المواطن العادي خلال هذه التجربة إلي مستوى المسئولية عن مستقبل وطنه ومصير الشعب بأسره.

والحديث عن السلطة التنفيذية نجد أنها مقيدة بالقوانين التي تراقبها من

أجل الصالح العام.

فقائد الحركة التحررية الكردية حدد له القانون ما يمكن أن يسمى بالصلاحيات السيادية من حيث تمثيل الحركة على الصعيدين الداخلي والخارجي.. وقيادة قوات الحركة المسلحة.. ودعوة المجلس الوطني (البرلمان) للانعقاد.. والمصادقة على الاتفاقيات التي يقرها المجلس الوطني وإصدار القوانين التي يقرها هذا المجلس.

أما مجلس الوزراء فإنه خاضع لرقابة المجلس الوطني (البرلمان) كما سبق أن أوضحنا وكافة الوزارات التابعة للمجلس هي الأخرى خاضعة لنفس الرقابة..

في حين أن السلطة القضائية مستقلة وليس لأحد مهما كان أن يتدخل في سلطاتها وأحكامها..

وإذا أضفنا إلى كل ما سبق حالة التعددية الحزبية التي يشهدها الإقليم والتي لكل حزب فيها أجهزته الإعلامية (صحافة ـ إذاعة ـ تليفزيون) والكل يتحدث.. والكل ينتقد.. والكل يكشف الأخطاء..

معنى هذا أن هناك حالة فريدة من الحكم في هذه المنطقة.. هي بالقطع ليست سويسرا أو المملكة المتحدة.. ولكنها بداية جيدة.. مطلوب رعايتها وتدعيمها لتصبح فيما بعد مثلاً يحتذى به بعد أن تستقر الأمور ويصل الجميع إلى علاقة استراتيجية دائمة مع حكومة بغداد.

## لقاءات صحفية وتليفزيونية

# حديث إلى صحيفة خەبات

خلال حلوله ضيفاً عزيزاً على إقليم كردستان العراق ومثقفيه، سنحت الفرصة لـ «خه بات» للقاء المثقف المصري (رجائي فايد) وذلك في ساعة متأخرة من ليل الخميس على الجمعة (٢٤ ـ ٢٥/حزيران/١٩٩٩) في محل إقامته بمصيف صلاح الدين، برغم أن السيد (فايد) كان قد عاد لتوه من أربيل عقب ندوة مباشرة له مع المواطنين عبر قناة (گولان) التليفزيونية.

«خەبات» رحبت بحرارة بالسيد (رجائي فايد) الذي يعد واحداً من أصدقاء شعبنا الأعزاء ومن الدعاة المتحمسين للحوار العربي ـ الكردي وتطويره.. فضيفنا العزيز كان قد عاش لفترة طويلة ولسنوات عدة في أربيل وبين أهاليها بمختلف فئاتهم واتجاهاتهم الفكرية والاجتماعية والمهنية. سألناه عن تلك الفترة التي عاش فيها في أربيل (من أواخر السبعينيات والشطر الأكبر من الثمانينيات) وتأثيرها على مواقفه من القضية الكردية وطموحات هذا الشعب.

* لاشك في أن تلك الأعوام أثرت في نظرتي وخلقت لدي انطباعاً وتصوراً حقيقياً للوضع الكردي إبان تلك الفترة ومع عودتي إلى وطني مصر، سجلت كل ما كنت على علم به، هذا التسجيل شكل عندي خطوة البداية في تعاملي مع قضية الشعب الكردي.

---

* اجرى الحديث رزگار نوري شاوەيس

* ما نحسه ككرد أن مصر ومثقفي مصر ولشعب مصر بصورة عامة، نظرة ود وتعاطف خاصة مع الكرد،. بمعنى آخر أن مصر العربية ذات التاريخ العريق، تعد من الدول العربية الأكثر انفتاحاً وفهماً على صورة القضية الكردية ومشروعية أهدافها، ما هي ملاحظاتكم كمثقف عربي من مصر إزاء هذا التصور الكردي؟

ـ شعب مصر من نتاج عدة حضارات عظيمة، هو شعب غير عنصري ولم يمارس عبر تاريخه الموغل في القدم البغضاء والحقد إزاء الآخرين لأنهم من غير عنصره، تركيبة أو تكوين الفهم والتصور المصري يمكن الدخول إليه بسهولة ، إنه مجتمع يتقبل الرأي الآخر.. برأيي وفيما يتعلق بالفهم المصري للقضية الكردية أن هذا الفهم يتطور بإيجابية متصاعدة مع هذه القضية وتطوراتها.. مصر حتى وإن لم تتمكن حتى الآن من تبني هذه القضية، فإنها تواصل سعيها وبإخلاص للتعرف عليها أكثر.. داخل مصر لا توجد هناك موانع أو عوائق وعبر كل القنوات والمراكز الثقافية والإعلامية لمناقشة القضية الكردية وتبادل الآراء حولها، أنا كمواطن مصري صارت القضية أشبه بما تكون قضيتي الذاتية، فهي الآن جزء من اختصاصي ونشاطي الثقافي وهمّاً من همومي الشخصية، أنني أتحدث وأكتب باستمرار عن هذه القضية وسأستمر وأرى أنه من واجبي ومن الضروري أن أستمر في هذه المهمة كلما سنحت لي الفرصة وأتيح لي المجال والفرص عندنا في مصر مفتوحة وهكذا هو حال الكثير من المثقفين المصريين غيري وبعضهم حتى وإن كانوا لا يتناولون هذه القضية بتركيز فإنهم يتناولون قضايا أخرى مشابهة لها..

مطبوعات كثيرة بخصوص الكرد وقضيتهم صدرت وتصدر في مصر وهي من تأليف مصريين ومن غير المصريين عرباً وكرداً، لا ننسى أن صحيفة (كردستان) صدرت من هناك، من أم الدنيا، وكذلك الإذاعة الكردية، لكن كل هذا بالنسبة لنا كمثقفين مصريين وعرب دون مستوى الطموح، لكن طالما كان هناك منحني متصاعد ضمن هذا النشاط فإني مطمئن من أن الغد سيكون أفضل من اليوم.

* وسألناه عن الموقف الرسمي للحكومة المصرية.. وموقفها من ندوة الحوار الأولى

التي عقدت في هذا البلد العريق؟

ـ هل كان بالإمكان إقامة هذا الحوار والترتيب له دون موافقة الحكومة المصرية ورؤيتها الإيجابية والمتفتحة للقضية الكردية وتشجيعها لتطوير العلاقات العربية الكردية من خلال التحاور والنقاش البناء.

وأشار السيد رجائي فايد إلى مثقفين وشخصيات فكرية وسياسية أخرى من بلدان عربية أخرى غير مصر من دعاة الحوار العربي الكردي وإن كان موقفهم بدرجات مختلفة بسبب تأثير الدعايات السلبية المضللة أو عدم توفر الصورة الكاملة والواضحة لهذه القضية يبنون من خلالها توضيح انطباعاتهم وتصوراتهم.

* سألناه عن السودان الذي كثيراً ما يوصف بتوأم مصر وعن مواقف واهتمامات المثقفين السودانيين بالقضية الكردية، فأجاب ضيفنا العزيز قائلاً :

ـ هل تتوقع من السودان المثخن حالياً بالجراح ويعاني التمزق أن يكون قادراً على الاهتمام (سلباً أو إيجاباً) بالوضع الكردي؟.. ولكن بحكم معرفتي بالسيد الصادق المهدي أستطيع التأكيد على أنه مطلع على القضية الكردية في كثير من تفاصيلها وتطوراتها وهو متفهم لها ويُعد من المؤيدين لطموحات الشعب الكردي.

* كيف يمكن للكرد أن يكسبوا المزيد من التأييد العربي شارعاً وحكومات وخصوصاً أوساطه المثقفة ذات التأثير.

ـ المسألة تحتاج إلى عملية تنشيط كردية، لمهمة تقديم قضيتها وعرضها على الأوساط العربية الشعبية والرسمية، وهذا يتم من خلال الحوار واللقاءات المباشرة وغير المباشرة عبر أجهزة الإعلام واستخدام وسائلها استخداماً ناجحاً والاستمرار في هذه العملية، وكذلك بالتركيز على تنقية الصورة المشوهة أو المشوشة التي يحاول البعض إلصاقها بالحركة الكردية وأهدافها.. من قبيل أنها حركة انفصالية وما شاكل ذلك من نعوت.. لابد للكرد من أن يسعوا جاهدين وبهمة لتصحيح مثل هذه الصور والأفكار في أنظار وعقول الآخرين ومن خلال كل الوسائل والقنوات المتاحة لهم، وأقول أن أية حركة تسعى لكسب تيار ما، فلا بد لهذا التيار أو الطرف أن يتأكد ويحس من أن هذه

الحركة لا تتعارض مع مصالحه، إذن فالمطلوب من الحركة الكردية أن تدخل في قناعة النخب العربية المثقفة أن الصالح الكردي لا يتعارض مع الصالح العربي، بل يكمله، وهذا ممكن بالحوار الذي يتم عبره تقديم المطلب والفكر الكردي النقي والواضح للمثقفين العرب، والعكس مطلوب أيضاً. وبتصوري أن هذا النهج يمنح الحركة الكردية القدرة على كسب المزيد من الأصدقاء والمتعاطفين.. فالحوار هو لغة العصر والتحضر، وهو الوسيلة التي تمنح الإنسان الطيب القدرة على إضفاء طيبته وتسامحه على الآخرين وأن يقبلوا رأيه بتفهم أكثر، أي جني الطيبة والتسامح من خلال بذاره لها في أوساط وفهم الآخرين.

* حبذا لو تحدثونا عن اخر نشاطاتكم في مجال عرض القضية الكردية على الآخرين والحوار العربي الكردي.

ـ لدي جملة من الدراسات الجديدة منها : المسألة الكردية في تركيا والعراق، نشرت قسماً منها من خلال مقالات متنوعة، أو في أحاديث متلفزة في قنوات (أوربت) و (ART) و(النيل)، وتحت يدي الآن كتاب سيكون جاهزاً للطبع يحمل عنوان (أربيل ١٩٨٨ ـ هەولێر ١٩٩٩).

* النظام الدولي الجديد، وتجربة كوسوفو، ما مدى تأثيرهما على الرأي العربي في نظرته للقضية الكردية. مع ملاحظة تقول : أن بعض المثقفين والكتاب العرب أخذوا موقفاً سلبياً من قضية كوسوفو وشعبها لصالح الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوسوفيتش في وقت كان يجب أن ينحازوا أو يتعاطفوا فيه على الأقل مع شعب كوسوفو المسلم والمضطهد كشعب فلسطين.

ـ الأستاذ (نبيل زكي)، كاتب سياسي من الطراز الأول أخذ موقفاً معادياً للتدخل الأمريكي في كوسوفو، ناقشته، فأعطاني حجة منطقية قائلاً : أن أمريكا أخذت من البان كوسوفو حجة لمهاجمة نظام ميلوسوفيتش المشاكس في أقليم كوسوفو. وأود هنا الإشارة إلى نقطة تعد سابقة خطيرة.. فأمريكا وضعت نفسها بديلة للأمم المتحدة.

وهكذا فإن المثقفين الذين المحتم إليهم لم يدافعوا عن ميلوسوفيتش وإنما عارضوا

التدخل الأمريكي.

مشكلة كوسوفو طغت على المشكلات الأخرى بل وأجهضت برأيي أصدائها.. وهي عتمت على أخبار القضية الكردية وكذلك الحال بالنسبة للقضية الفلسطينية.. برأيي أن قضية كوسوفو جعلت القضية الكردية تتراجع في الأجندة السياسية الدولية.

* الساعة كانت تقارب الثانية بعد منتصف الليل كان الإرهاق والتعب باديان على ضيفنا العزيز وأحسسنا أننا أثقلنا عليه، سألناه كلمة أخيرة يختتم بها دردشة ما بعد منتصف الليل فتفضل قائلاً

- أنتم يا أبناء هذا الشعب الأصيل، أشقاء وأحباء أعزاء، ومن فرط حبي لكم أود وأتمنى من كل قلبي أن تحافظوا على ما وصلتم إليه وتطوروه.. عليكم خلق وإبداع العوامل الإيجابية والذاتية لحماية تجربتكم هذه.

ختاماً، أود أن أقول أني لا أنسى أبداً السنوات التي عشتها في أربيل، إنها من الأعوام الجميلة في عمري.. ولا أنسى أبداً الحفاوة البالغة التي لقيتها هنا في كردستان.

# حديث إلى مجلة گولان العربية

في ضحى يوم٢١ حزيران الحالي زار الأستاذ رجائي فايد، الخبير المصري في الشئون الكردية وصديق شعبنا الكردي ونصير قضيته العادلة، زار مؤسسة گولان للثقافة والإعلام، حيث استقبله جمع من الصحفيين والكتاب، بحفاوة بالغة وقيّض لـ (گولان العربي) أن تحاوره، فاستجاب مشكوراً وفيما يلي نص الحوار.

گولان العربي  الأستاذ رجائي فايد.. نرحب بكم في كردستان.. فأهلاً وسهلاً.

* شكراً وأشكركم جميعاً على الترحيب الذي لم أكن أتوقع أن ألاقيه في كردستان، والذي يؤكد لي تماماً ما قالته لي قيادة كردية «إن من يخطو إلينا خطوة نخطو إليه آلاف الخطوات» وهذا تأكد لي من الحفاوة غير العادية وغير المتوقعة التي استقبلت بها.

گولان العربي  أهلاً وسهلاً بك مرة أخرى.

أستاذ رجائي أنت من الشخصيات البارزة التي كان لها دور مهم في إقامة الحوار العربي ـ الكردي فبرأي سيادتكم أين وصل الحوار العربي ـ الكردي وما هي آفاقه المستقبلية؟

* مسألة الحوار العربي ـ الكردي فهمت من البعض فهماً خاطئاً، فالحوار أساساً هو لغة المتحضرين، وهو بديل للحوار بالسلاح فعندما يكون الحوار بالكلمات، وأنا أعرفك وأنت تعرفني، فتلك خطوة حضارية، نتعرف على مشكلات بعضنا ونحاور بعضنا،

ونبحث سوياً عن أفضل السبل وأفضل الحلول لمشكلاتنا فضلا عن أن البعد دائماً جفوة، والقرب محبة ووئام.

عندما يكون الإنسان بعيداً عن الإنسان الآخر، يصبح أشبه بشيء غامض بالنسبة إليه، ولكن عندما نتقارب ونتكاشف ونتصارح تصبح الخطوات أسهل.البعض فهم الحوار فهماً خاطئاً، على أساس أن الحوار موجه ضد الحكومة العراقية، وهذا غير صحيح بالمرة لأن الحوار كان من أجل عراق موحد تعددي. على كل حتى لا نستطرد كثيراً في هذه النقطة، فقد تمت الجولة الأولى من الحوار، في تصوري بنجاح بالغ جداً، وحقيقة كانت هناك بعض النواقص كالتعتيم الأعلامي والأمل في حضور أطراف أخرى علاوة على عدم حضور الجانب الحكومي العراقي، لكن مجرد إقامة الحوار هو نجاح بحد ذاته، فأن نجلس معاً ونتحاور هو نجاح.

تمت الجولة الأولى بنجاح والحمد لله، وبدأنا فيما بعد نستعد للجولة الثانية، في الداخل ليس من المعقول أن تكون الجولة الأولى في القاهرة والجولة الثانية أيضاً في القاهرة، فالمفروض أن تكون في مكان آخر، لأن الحوار ليس بين الكرد والمصريين، بل إنه حوار بين الكرد والعرب.

هناك بعض المصاعب في عقد الجولة الثانية من الحوار في إحدى العواصم العربية ولا أريد أن أسمي، وكما تعلمون أن بعض الضوابط والضغوط والمواءمات، والسياسة مواءمات، وتناقضات معينة بيننا وما إلى ذلك، عموماً أعلن الأستاذ أحمد حمروش رئيس اللجنة المصرية للتضامن ورئيس اللجنة الدائمة للحوار العربي الكردي أن القاهرة ترحب في أي وقت بالجولة الثانية في القاهرة أيضاً، ولكن هناك محاولات كي تكون في مكان آخر في المنطقة، أياً كان هذا المكان.

حالياً نعقد بعض الاجتماعات ونتفق على بعض الأمور، وإن شاء الله سنصل قريباً إلى وضع جيد للجولة الثانية.

گولان العربي : للعلاقة العربية الكردية جذور غائرة في التاريخ، وخاصة مع الشعب المصري، فكيف السبيل إلى إنعاش هذه العلاقة في المستقبل؟

* السبيل إلى إنعاش هذه العلاقة هو أن يكون هناك تواجد كردي في القاهرة، وتواجد مصري في كردستان، وليس معنى التواجد وجود جالية، بل التزاور والتلاقي والتحاور، وأن تصل المطبوعات المصرية إلى كردستان وأن تصل المطبوعات الكردية إلى مصر ببساطة ويسر، فمثلاً في هذه المؤسسة تصدر مطبوعات بهرت بها مثل (گولان العربي)، فأنتم غير مطالبين في كردستان بإصدار مجلة ثقافية باللغة العربية، فهذه المجلة الثقافية العربية صدرت لتخاطب العرب وتنقل الثقافة الكردية إلى العرب، فإذا بقيت هذه المجلة محصورة في كردستان انتهت وظيفتها، لأن وظيفتها الحقيقة هي أن تصل إلى المثقفين العرب، وإلى الآن لا تصل المجلة إلا بجهود فردية بسيطة، وهذه الجهود الفردية لا تصنع شيئاً، وسط البحر الضخم في القاهرة ، فالمطلوب هو أن نبحث سوياً ونتعاون لإيجاد طريقة لإيصال الصوت الكردي إلى القاهرة، وفي المقابل إيصال الصوت المصري إلى كردستان، لنتعاون ونبحث.

گولان العربي : الشعب المصري كما هو معروف لدينا يهتم بثقافة الشعوب بصورة عامة، والشعب الكردي كما تعلمون من الشعوب القريبة منه ومن العرب بشكل عام، مامدى اهتمام الشعب العربي بشكل عام والشعب المصري بشكل خاص، بالتراث والثقافة الكردية؟ على سبيل المثال في «المشروع القومي للترجمة».

* دعني أحدثك فقط عما أعرفه، وهو داخل مصر، بدلاً من أن تقول ما مدى الاهتمام؟ نقول ما شكل المنحنى البياني للاهتمام؟ يعني هل هذا المنحنى البياني متصاعد أم نازل؟ أو أفقي؟ أنا لا يهمني أن يهتم ٨٠٪ أو ٩٠٪ من الشعب المصري، أنا ما يهمني هو هذا المنحنى وهل هناك منحنى أصلاً؟ وهل هو متصاعد أو نازل؟ أنا أؤكد أن المنحنى متصاعد، ومن الممكن أن أكتفي عند هذه النقطة وهي أن منحنى الاهتمام متصاعد، لكن دعني أذكر بعض الأمثلة التي تؤكد حديثي.

القاهرة في السنوات السابقة لم تشهد إطلاقاً أي ملتقى ثقافي حواري بشأن الكورد، علماً أن القاهرة كانت تسمى سابقاً مدينة الألف مئذنة، حالياً تسمى مدينة الألف ندوة، أنا لا أستطيع أن ألبي الدعوات التي تصلني من الملتقيات الثقافية، في

ظل هذا الكم الهائل كانت القضية الكردية غير متواجدة على الإطلاق، وأعطيك مثالاً آخر تلقيت دعوة قبل شهر من (جمعية النداء الجديد) وهي إحدى الجمعيات الثقافية المهمة ويرأسها الدكتور سعيد النجار، ونائب رئيس الجمعية د أسامة الغزالي حرب وهو رئيس تحرير مجلة (السياسة الدولية)، وهي جمعية لها ثقلها وتجمع النخبة المثقفة في مصر، اتصل بي الدكتور أسامة الغزالي وطلب مني إجراء لقاء عن المسألة الكردية وحدد موعد اللقاء وأذكر أن هذا اللقاء والحمد لله كان من اللقاءات الهامة لهذه الجمعية بشهادة أعضائها حتى أنهم طلبوا مني إعداد المحاضرة من جديد كي تصدر في كتاب ضمن مطبوعات الجمعية*.

خلال هذا العام عقدت لقاءين في (مركز ابن خلدون) وآخر في (جمعية النداء الجديد) ولقاء في (مركز المستقبل) ـ الذي رقدت بسببه أسبوعاً في الفراش ـ لأن أعضاء المركز الأخير هو مجموعة من الماركسيين الذين لا يملون من النقاش جلست معهم من السابعة مساء حتى الثانية عشرة ليلاً، بالإضافة إلى لقاء تليفزيوني مع (عماد الدين أديب) في قناة أوربت، ولقاء في قناة (ART) وأخر في (قناة النيل الثقافية)، كل هذه اللقاءات خلال خمسة أو ستة أشهر، وهذا يعني أن المنحني متصاعد، فضلاً عن أن المسألة الكردية تأخذ محوراً هاماً في (التقرير السنوي للأقليات والملل والنحل) الذي يصدر عن (مركز ابن خلدون) وأنا المسئول عن هذا المحور، ولكي أكون منصفاً أن تسلسل الاهتمام بالكرد يأتي بعد (الأقباط)، يعني الأقباط أولاً ثم الكرد وبعد ذلك جنوب السودان والطوارق والبربر وما إلى ذلك لكن الكورد يحتلون المركز الثاني مباشرة بعد أقباط مصر.

كل هذه خطوات إلى الأمام، فمجلة (السياسة الدولية) أصدرت ملفاً خاصاً بالكرد في عدد من أعدادها، بالإضافة إلى صحف مصرية مختلفة تناولت القضية الكردية وأصدرت أعداداً خاصة بها، عندما اتصل بي د. طه من مركز الدراسات الاستراتيجية في (الأهرام) وطلب مني إعداد موضوع عن المسألة الكردية في سلسلة كراسات

---

* صدر الكتاب فيما بعد.

استراتيجية. وهي مطبوعة واسعة الانتشار ومطلوبة، فقمت بإعداد الكراس، فأخذها مني د. طه عبد العليم، وهو رئيس التحرير ونائب رئيس المركز، وعندها بدأت الأزمة بين تركيا وسوريا حول حزب العمال، طلب مني أن أكتب فصلاً عن الكرد في تركيا على أساس أنها مشكلة ساخنة، فأضفت جزءاً عن ذلك، وصدر الكراس بعنوان (المسألة الكردية في العراق وتركيا).

فالمنحنى متصاعد بالنسبة للاهتمام بالقضية الكردية في مصر.

**گولان العربي : عشتم في أربيل مدة تسع سنوات، هل اطلعتم خلال تلك الفترة على التراث والثقافة الكردية من منابعهما الأصلية، وبالنسبة لتلك الفترة والزيارة الحالية، ما هو الفرق بين انطباعك في تلك الفترة وزيارتك الحالية؟**

* أنت تريد إحراق الكتاب الذي أنا بصدد تأليفه (أربيل ١٩٨٨هەولێر ١٩٩٩) وهدفي الرئيسي من الزيارة هو تأليف هذا الكتاب.

**گولان العربي : كمثقف عربي ما رأيكم بالتجربة الحالية في كردستان العراق، وبالتحديد مسألة الفيدرالية التي يرى فيها الكرد الحل الأنسب في المرحلة الحالية لقضيتهم السياسية القومية؟**

* نأخذ الجزء الأول من السؤال، وأحيلك إلى الأخ مسعود البارزاني ليجيب على الجزء الثاني منه، لأننا تحدثنا بالتفصيل عن هذه النقطة بالتحديد أمس، وأقول ما دار بيننا، العلاقة العربية الكردية والتى أرى أنها حجر الزاوية للأمن والاستقرار في المنطقة، فهذا الصرح العظيم أصيب بالتصدع في السنوات الأخيرة، ومطلوب منا جميعاً أن نتعاون يداً بيد لإعادة بناء هذا الصرح.

بعيداً عن بعض الأمور، مطلوب دور من العرب ودور من الكرد، ويجب أن يكون هناك تعاون بين الجانبين، لأنهما مسئولان بشكل أو بآخر بدرجة أو بأخرى عن تصدع هذا البنيان، وليس طرف واحد، ربما ليس بنفس الدرجة، لكن المسئولية مشتركة وبدرجات مختلفة. فمطلوب من الطرفين التعاون فيما بينهما على أساس إعادة بناء هذا الصرح. جزء من المطلب المطلوب من الكرد هو إجابة السؤال الذي تطرحه؟

هذه التجربة الديمقراطية الموجودة في المنطقة، والتي إطلعت إلى حدٍ ما ولو قليلاً على بعض جوانبها ولدي مؤشرات معينة عن هذه التجربة، من ضمن هذه المؤشرات، أشياء صغيرة تعطيني صورة أفضل من الأشياء الكبيرة، فأنا لا يهمني شق مائة طريق، أو بناء مستشفى أو.. أو.. هناك أشياء صغيرة تؤكد لي حدوث شيء مختلف في هذه المنطقة، من ضمنها أنني لم أجد صورة لزعيم المنطقة في أي مكان على الإطلاق، ومن ضمن الأشياء الصغيرة أيضاً أنني أتنقل بسيارة الجميع يعلم لمن تبعيتها، سيارة وحراسة، أنا أعلم جيداً أنه في يوم من الأيام كانت مثل هذه السيارة تدوس الناس في الشوارع. السائق وشهادة حق أنه في غاية الأدب، يحترم إشارة المرور إلى أبعد حد، ولا يتخطى السائق الذي أمامه فهو أول ملتزم بالقانون وآخر مخالف للقانون، هناك مؤشرات متعددة .

گولان العربي : المثقفون في كردستان كانوا على إطلاع مستمر على النتاجات الأدبية والثقافية في مصر. وبسبب الظروف الحالية هناك انقطاع عن هذه الثقافة، وقد أشرتم سيادتكم إلي ضرورة التعاون من أجل التواصل، فما هي السبل إلى تحقيق ذلك؟

* هناك حواجز جغرافية تحجبنا عنكم، لكن ثورة المعلومات والاتصالات حطمت تلك الحواجز، فلما لا نلجأ إلى تلك الثورة.

فكيف نعيش في نهاية القرن العشرين بعقلية القرن التاسع عشر، وبأساليب القرن التاسع عشر. فأنا أستطيع من خلال الإنترنت أن أدخل مكتبة الكونجرس الأمريكي وأطلع على ما أشاء، والتحقيقات في قضية مونيكا أخذت من الإنترنت وطبعت في القاهرة، وبالتأكيد في أماكن أخرى أيضاً.

السبيل الوحيد بدلاً من الحواجز الأمنية في هذه الدولة أو تلك، فكل دولة من حقها صنع ما تشاء من حواجز، نحن لا نتدخل في شئون أي دولة، فعلينا أن نلتمس السبل الحديثة للتواصل مع بعضنا، فهناك الانترنت والفاكس ووسائل أخرى، حتى نتمكن من نقل حركة القاهرة الثقافية إلي كردستان ونقل الحركة الثقافية الكردية إلى القاهرة، وهذا هو السبيل الوحيد في رأيي في هذه الظروف، والمنظور القريب على الأقل.

گولان العربي : هناك صحف ومجلات تصدر في كردستان بالعربية، ما هو تأثيرها على المثقفين في مصر؟

* كيف تؤثر إذا كانت لا تصل؟ المشكلة في عدم وصولها!

گولان العربي : معروف أنكم تطرحون القضية الكردية منذ عقدين على أنها عادلة، ولها مساس مباشر بمصير الأمة العربية.

ماذا يمكن أن يعمله العرب، لحل هذه القضية حلاً عادلاً؟

* أولاً نحن نروج الفكرة بين المثقفين العرب، وعملية الترويج مستمرة إلى أن يتبنوا هذه الفكرة، والحياة ليست يوماً أو شهراً أو سنة المهم أننا نخطو خطوات لتبني هذه الفكرة خطوة خطوة.

وليس أمامنا غير ذلك، لأن المثقف ليس صاحب قرار سياسي، لكنه يؤثر بشكل أو بآخر في صنع القرار السياسي، فالسياسي عندما يصدر قراراً فأحياناً يعلم أنه ليس في صالح بلده لكن هناك معطيات معينة تحتم عليه إصداره، أما المثقف فإنه مجرد من أي شيء، غير الكلام والكلام بسيط.

فعلينا أن ندعو لذلك ونكسب أصدقاءً جدداً للقضية بحيث تتسع الدائرة شيئاً فشيئاً ويصبح لنا صوت يؤثر على القرار السياسي، وأعتقد أن هذا هو السبيل الأفضل، فلنعمل جاهدين من أجله.

گولان العربي : هل للمثقف العربي هذا التأثير في السياسة؟

* ليس بهذه الدرجة، فمهما كان هناك درجة معينة، فعندما يكون الحاكم ديكتاتوراً، أو لنقل أن الحاكم الفلاني ديكتاتوراً، فطالما أنت لا تقترب من كرسي حكمه فتحرك كما تشاء وتكلم كما تشاء وافعل ما تشاء، وسيسمعك في مثل هذه المسائل.

گولان العربي : شكراً أستاذ فايد.

* أكرر شكري على حفاوة الاستقبال، ونأمل أن نصل إليكم ببساطة وأن تصلوا إلينا ببساطة.

# مع التليفزيون المركزي باربيل

ـ سيداتي وسادتي.. أهلاً وسهلاً بكم.. القضية الكردية واحدة من أهم قضايا التحرر في العالم.. الأمة الكردية حكمت الأيام وعلى الرغم من إرادة أهلها أن تقسم إلى أجزاء.. الشعب الكردي حاول وصرخ أحياناً في سبيل عدم صهر هذا الشعب.. هناك من وقف ضد آمال الشعب الكردي.. وهناك من وقف مع الشعب الكردي.. إذ لا يمكن لأحد أن ينكر أن الكرد وجدوا من يتكاتف معهم من شرائح مختلفة.. شعراء.. أدباء.. كتاب.. مثقفون.. ومنهم معنا الآن.. رجائي فايد.. من مواليد طنطا ١٩٤٣ جمهورية مصر العربية.. خريج كلية الزراعة.. اقتصاد زراعي.. ماجستير في النقد الفني من المعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون بالهرم.. كتب القصة القصيرة وأول أعمال له رأت النور كانت قصصاً نشرها في مجلة صباح الخير وصحيفة الجمهورية..

أهلاً وسهلاً بك في كردستان العراق.

ـ أهلاً بك..

ـ وصلت كردستان ونحن نرحب بك وعلمنا أنه راودتك تأليف كتاب يخص الشعب الكردي.. هل هذا الكتاب نتيجة للزيارة أم أنه السبب الأساسي لزيارة كردستان في هذا الوقت؟

ـ أمر طبيعي أن أزور كردستان طالما أتيح ذلك.. فمدينة أربيل التي عشت فيها أجمل سنوات عمري وأهم سنوات شبابي.. تسع سنوات عشتها بحلوها ومُرها.. كل

---

* قدم اللقاء الأستاذ هشام بدران المذيع بإذاعة وتلفزيون أربيل.

سنوات الحرب العراقية الإيرانية.. قصف المدن وغير ذلك.. رغم كل قساوة تلك الظروف فهي أجمل سنوات حياتي.. هذه المدينة تعيش الآن في ظل ظروف جديدة لذلك كان من الوضع الطبيعي وأنا مهتم بالشأن الكردي أن أحضر وأشاهد بنفسي ماذا حدث في هذه المنطقة ولا أكتفي بما أسمعه في القاهرة من هذا أو ذاك لأن هذا أو ذاك إما أن يكون «مع أو ضد».. فإذا كان «مع» فسيكون مبالغاً في عرضه أما إذا كان «ضد» فإنه سينقص من الحقيقة أو يشوهها.. لذلك كان لابد أن أشاهد بنفسي الحقيقة دون زيادة أو نقصان.

ـ عودة على التاريخ.. في ندوة الحوار العربي الكردي بالقاهرة.. لقد كان للعرب على مر التاريخ علاقات وثيقة.. ألا ترى أن الوقت كان متأخراً لعقد مثل هذه الندوة؟

ـ أيّاً كان الوقت متأخر أو غير متأخر.. المهم أنها عُقدت.. انعقادها هو نجاح في حد ذاته..

كان الوقت متأخراً بسبب أن الظروف لم تكن تسمح لا كردياً ولا مصرياً بذلك فنحن بكل أسف تملكنا الظروف في أغلب الأحيان وعندما ظهر بصيص من الأمل في أن الظروف تسمح بعقدها تمت المبادرة وعقدت الندوة والحمد لله.

ـ الأمة العربية تمتلك ذخيرة عظيمة متميزة من المثقفين والأدباء وكذلك الكرد.. وللكرد شخصيات أسهمت في قضايا تهم الشعب العربي والأمة العربية فلماذا نلاحظ في المقابل قلة الاهتمام من بعض المثقفين العرب بالمسألة الكردية وليس من الكل؟.

ـ لنكن صرحاء.. العالم العربي يعيش اليوم في مأزق لم يحدث أن مر بمثله من قبل.. المثقف العربي مثقل بالعديد من الهموم والمشاكل ومن بينها القضية الكردية.. لو أن القضية الكردية هي الوحيدة على الساحة فمن حقك حينئذ أن تعاتب وتقول لماذا لا تأخذ الاهتمام الكافي ! أما وأن هناك العديد من المشاكل التي تهدد الوجود العربي ذاته فبالتأكيد بين حين وآخر تأخذ مشكلة ما صدارة الاهتمام وتتوارى جانباً مشكلة أخرى.

لكن ما نستطيع أن نقوله بكل صدق وأمانة أن الاهتمام بالقضية الكردية يتزايد

يوماً بعد يوم فكل يوم ينضم مزيد من المثقفين إلي مجال الاهتمام بهذه القضية والمثقف الذي كان يهتم فقد ازداد اهتمامه وبين يوم وآخر تخرج كتابات ودراسات في الصحف المصرية عن هذه القضية.. أحياناً تكون الكتابات «مع» وأحيانا تكون «ضد».. وصدقني أكون سعيداً بالكتابات التي هي «ضد» القضية الكردية لأن الذي كتب «ضد» هذه القضية كتب في الأغلب وهو مجهل بحقيقة الأمور عن تلك القضية.. عادة هو لا ينكر الحقيقة بأكملها ولكنه تناول الأكراد من حيث أنهم انفصاليون.. ونحن إذا تمكنا من عرض الحقيقة على أمثال هذا الكاتب نكون قد اكتسبنا مثقفاً جديداً في صف الدفاع عن القضية الكردية..

أعود لأؤكد أن الاهتمام يتزايد يوماً بعد يوم بالقضية الكردية في مصر.

ـ لقد وصلت كردستان مؤخراً ورأيت تجربة جديدة.. هل استنتجت شيئاً ما حول هذه التجربة..؟

ـ بالتأكيد استنتجت الكثير.. هناك قدر معقول من الحرية لاحظته.. هناك قدر معقول من تقلص في الخوف داخل صدر الإنسان رصدته.. هناك قدر معقول من حرية الرأي فالإنسان يقول رأيه بكل حرية وبلاخوف.. هناك قدر معقول من الانضباط داخل وخارج الإنسان.. هناك قدر معقول من الشفافية في المجتمع فالمواطن لديه قدر من المعرفة عن التجربة التي تتم على أرضه رغم وجود بعض المشاكل الاقتصادية. المواطن في خلال حواري مع بعضهم يتحدثون عن تلك المشاكل لكنهم يرجعونها إلى الأسباب الحقيقية لها.. فمثلاً مشكلة انقطاع التيار الكهربائي هو أمر صعب ولا شك ولكنهم يتحدثون فوراً عن قلة سقوط المطر والثلج كأحد الأسباب الرئيسية لمشكلة الكهرباء.. ولا شك أن هذا فهم واقعي وعقلاني للأمور لكنهم يتحدثون عن أي شيء بلا خوف.

ـ عندما تكتب عن القضية الكردية.. هل تكتب عن الجزء الواحد كردستان العراق أم عن كل الأجزاء التي قسمت اليها كردستان..؟

ـ هذا يتوقف علي ما هو مطلوب مني في اللقاء أو المحاضرة.. فعندما يطلب مني تأصيل للمسألة الكردية لابد أن أتعرض للقضية من بدايتها.. التقسيم الأول ثم

الثاني ثم مسألة الموصل وأتحدث عن اتفاقية سيفر ولوزان وحيدر أباد كذلك لابد أن أتحدث عن الخصوصيات المميزة للأكراد والأصل واللغة والمكونات الثقافية وغير ذلك.

لكن إذا طلب من أن أتحدث عن المجموعة الكردية الأقرب لنا وهم أكراد العراق فإن الحديث حينئذ يأخذ شكلاً محدداً ومحصوراً في كردستان العراق وحدها.

ـ كيف تكتب عن هؤلاء..؟

ـ في هذه الحالة أكتب عن أناس عايشتهم وعاشرتهم.. ناس أكلت معهم بالمعنى المصري عيش وملح.. شربت لبن أربيل.. دخلت البيت الكردي ودخل الأكراد بيتي.. أعرف النفسية الكردية والمزاج الكردي الحار.. صداقاتي لا أول لها ولا آخر مع الناس في أربيل.. لذلك عندما أكتب عن هؤلاء فإنني أكتب من هذا المنطلق.. أكتب عن أناس أحبهم ويحبوني..

ـ أربيل ٨٨ ـ هەولێر ٩٩.. ما هذا العنوان..؟

ـ غادرت أربيل بالضبط صباح ١٩٨٨/٨/٢٦ وبقيت يومين في بغداد لم تنقطع خلالها الاتصالات الهاتفية مع أربيل ثم غادرت العراق نهائياً في ٨٨/٨/٢٨. كان الاسم السائد حينئذ هو أربيل وكان أيضاً اسم هەولێر يتردد ولكن عند الناس العاديين.. عند القرويين.. سواق التاكسي..

وعدت مؤخراً في عام ١٩٩٩ لأجد أن لفظ أربيل قد توارى وحل محله لفظ هه ولير الذي أصبح شائعاً على الساحة وبقي اسم أربيل محصوراً فقط في الأمور الرسمية رغم أن لفظ أربيل كلفظ هەولێر ليس لفظاً عربياً.. أربيل.. أو أربائيللو أي الآلهة الأربعة.. أي أن الأمر لم يكن انتقال من لغة عربية إلى لغة كردية مع انتقال إدارة المنطقة..

ماذا حدث خلال هذه الفترة أربيل ٨٨ ـ هەولێر ٩٩؟.. هذا التغيير الهائل الذي حدث.. يهمني الآن من خلال هذه الزيارة أن أرصد ما حدث أو على الأقل ما أستطيع رصده.. أجلس مع الناس.. مع المسئولين.. أتجول في الأسواق.. أحاور الجميع.. ثم أقارن بين ما أراه وبين ما كان عام ١٩٨٨ وبهذه المقارنة نستطيع أن نجيب على

السؤال.. ماذا حدث..؟ وما حجم ماحدث..؟ هذا هو المقصود..

ـ لقد بدأت تجربتك الأدبية في مصر وخطوت خطوات فيها ثم جئت إلى أربيل وعمرك ٣٦ عاماً لتنقطع عن الحركة الأدبية في مصر لمدة ٩ سنوات.. ماذا كنت تتوقع عند عودتك إلي مصر وعمرك تجاوز الـ ٤٥ عاماً..؟

ـ وجدت أن من بدأ في الكتابة والنشر معي أصبح منهم من هو في القمة ومن نجوم المجتمع.. وجدت نفسي إذا أردت أن استأنف نشاطي فعليّ أن أبدأ من نقطة الصفر ككاتب ناشيء أو من حيث وصل رفاقي وفي الحالتين كان الأمر مستحيلاً.. وحتى أشبع رغبتي في الإمساك بالورقة والقلم سجلت انطباعاتي عن إقامتي الطويلة في كردستان العراق وكانت دراسة انطباعية مبسطة عن هذه التجربة.. في هذه الفترة لم يكن في ذهني إطلاقاً أن أكون باحثاً في القضية الكردية.. وفوجئت أن ما كتبته لقى إعجاباً من كل من قرأه وحفزني الجميع على السير في هذا الطريق.

وكما قلت كان الأمر في بدايته إشباع لرغبة في أن أهتم بشيء وأكتب عنه. وقررت طالما أنني وضعت هذا الموضوع نصب اهتماماتي فإنني يجب أن آخذ الأمر بجدية وأعطيه ما يستحق فبدأت أقرأ وأبحث عن المراجع من هنا وهناك كي تتأصل معرفتي بالقضية الكردية.. لقد كان تناولي لهذا الأمر بهذه الجدية جعلني أن أكون والحمد لله من المصريين القلائل المتخصصين في هذا الموضوع.

ـ ألا ترى أن إنتاجك الخاص بالقضية الكردية أقل مما يجب خصوصاً وأنك الكاتب العربي الوحيد الذي عاش طوال هذه السنوات في أربيل..؟

ـ أنت محق في هذا.. المشكلة أن الكتابة عندي حالة قد يمر عليّ شهر كامل لا أستطيع فيه أن أمسك قلماً.. هذا جزء من تكويني.. هناك سبب آخر لعله يجيب على تساؤلك.. عندما شرعت في البداية في تأليف كتاب عن القضية الكردية وجدت أن معظم ما يكتب لا يقدم جديداً.. هو عبارة عن عملية نقل من واحد لآخر.. معنى هذا أن تأليف كتاب جديد سيكون أمراً عبثياً ووقتاً ضائعاً.. ورق وقلم وكتب وهمية تنزل إلى الأسواق دون أن تضيف أي شيء.

ولكن أتصور أن تجربتي في الثمانينيات بالمقارنة بتجربتي في التسعينيات ستكون أمراً جديداً وموضوعاً جديداً في هذا المجال.. قبل أن أحضر عرضت هذا الأمر على أحد كبار الكتاب في مصر فقال لي أن كتاباً بهذا الشكل سيكون جديداً وخارج المنافسة لأنه لا يوجد مثقف مصري عاش تجربتك.

ـ نعود إلى أهمية المكان الذي عقدت فيه الندوة الأولى للحوار العربي الكردي لماذا القاهرة وهل من المفيد أن تكون الجولة الثانية في عاصمة أخرى أم سيكون لها وقع أفضل في كردستان..؟

ـ بالنسبة للقاهرة.. أن تعقد الجولة الأولى في القاهرة التي بها الجامعة العربية ومؤسساتها.. القاهرة بكل ثقلها الجغرافي والتاريخي والحضاري عقد الندوة في القاهرة نجاح عظيم مع عدم التقليل بأي عاصمة عربية أخرى.

إن رئاسة اللجنة الدائمة للحوار العربي الكردي ومعها كل اللجنة تأمل في عقد الجولة الثانية في عاصمة عربية أخرى..

ولكن أن تعقد في كردستان العراق.. أتمنى ذلك من كل قلبي.. الأمر حينئذ سيكون في منتهى الروعة.. ياليت.. معنى عقد المؤتمر في كردستان.. أن كل الحضور سيشاهدون ما شاهدته.. وسيعايشون ما عايشته.. وستسلط الأضواء على مكان عقد المؤتمر.. يا ليت مرة أخرى..

ـ ألا ترى أن هناك حاجة للإندماج بشكل أكثر مع المثقف الكردي في الوقت الراهن؟

ـ بالتأكيد.. ولكن المشكلة كيف السبيل إلى ذلك.

ـ وأنت تستعد لمغادرة كردستان العراق.. حقيبة رجائي فايد بأي شيء تمتلئ..؟

ـ حقيبتي ستمتلئ ببعض الكتب وبأجندة مليئة بالملاحظات أما الوجدان فسيمتلئ بعبق اللقاء الجميل.. والحفاوة البالغة التي لقيتها من الجميع.. إنني على ثقة من أنني سأكون مقصراً مهما قدمت لهذا الشعب.

ـ نرجو ألا نقول لك وداعاً بل إلى اللقاء.

ـ إلى اللقاء إن شاء الله.

## تليفزيون دهوك المركزي

ـ قام مقدم البرنامج بتقديم الضيف أولاً ثم سأل :

نسأل أولاً عن سبب زيارتك لكردستان؟

* أمر طبيعي أن أحضر إلى كردستان كي أشاهد وأقيم التجربة التي تمارس هنا من خلال المشاهدة والإطلاع الفعلي ودون الاستعانة بوسيط ينقل إليّ ما يحدث فضلاً عن محاولة استعادة ذكريات الشباب ومدينة دهوك كان لي بها بعض الذكريات صحيح لم تكن مثل أربيل ولكن كنت أحضر إليها من وقت لآخر لأتابع فيها مشاريع الدواجن التي تحت الإنشاء في سميل.

ـ هل لمست تغييراً في الحركة الثقافية في كردستان وأنا أعلم أن هذه الزيارة هي زيارتك الثانية؟

* دعني أصحح لك شيئاً.. الزيارة الأولى لم تكن زيارة.. كانت إقامة للعمل.. إذ كيف تكون تسع سنوات كاملة زيارة..؟! لقد لمست في المشاهدة الثانية أشياء كثيرة.. هناك تغيير كبير في الحركة الثقافية في كردستان وهو تغيير في إطار كافة التغييرات التي لمستها.

ـ ما هو نوع هذا التغيير في رأيك..؟

* هناك تغييرات شاملة في أمور كثيرة.. تغيير في الإنسان.. تغيير في المكان..

تغيير في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.. لاحظت بدايات تكون مؤسسات المجتمع المدني في كردستان العراق وهذا المجتمع يقوم علي التعددية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والعلاقة السوية بين الحاكم والمحكوم.. الجانب الثقافي جزء هام من هذا الذي حدث.. لقد لمست تطوراً هائلاً في العمارة في البنيان.. في الشوارع.. وتلك أمور تأتي لدي في الأهمية في الدرجة الثانية لأن الحضارة المادية مع أهميتها لا أعتبرها يجب أن تأخذ الاهتمام الأولي.. فمن البساطة أن تقوم ببناء مبنى ضخم أو تعبيد شارع.. لكن من ذا الذي سيحافظ على هذا المبنى أو الشارع.. إنه الإنسان.. لذلك فأنا يهمني ما حدث للإنسان من تغيير في داخله.

ـ لماذا لا يكون هناك حوار ثقافي بين المثقفين الكرد والعرب..؟

ـ أنا أؤيد تماماً قيام حوارات مختلفة بين كل القطاعات المتشابهة إذ لابد أن يشمل الحوار الجميع وفي المقدمة من كل هؤلاء المثقفون.. الندوة السابقة للحوار العربي الكردي كانت التجربة الأولى وكان يجب أن يكون الجانب السياسي هو الأهم لأنه الأكثر سخونة ومن بعد هذا المجال تأتي المجالات الأخرى.. والحقيقة لم يكن الحوار سياسياً ١٠٠٪ لأن هناك قضايا غير سياسية طرحت خلال هذه الندوة ـ طرح التواصل الثقافي بين مصر وكردستان في الماضي والحاضر.. ثم الحديث وبإلحاح على التأثيرات المتبادلة بين الثقافتين الكردية العربية خلال الندوة.

ـ ما هو برأيك الشكل الذي سيكون عليه المؤتمر القادم؟

ـ سيكون أكثر شمولاً وأكثر عمقاً وأكثر صراحة وسيدخل إلى دائرة الحوار فئات جديدة.

إن الحوار هو لغة العصر ولغة المتحضرين..

العلاقات العربية الكردية في رأيي أحد الركائز الهامة للأمن والأمان في المنطقة وفي سبيل تدعيم هذه العلاقات لابد من المزيد من الحوار المستمر بين العرب والأكراد..

ـ نود أن نعرف موقف الشعب المصري من التجربة الراهنة في كردستان العراق..؟

ـ المفروض أن تكون هناك معرفة بالتجربة أولاً.. وهنا يجب أن نسأل هل لدى الشعب المصري معرفة حقيقية بما يحدث هنا أكاد أجزم بلا.. لماذا..؟.. لأن الظروف

القائمة فرضت بألا يكون هناك تواصل بين مصر وكردستان.. لقد حضرت بنفسي كي أطلع على ما يحدث ومن غير المعقول أن يأتي كل مصري له اهتمامات سياسية لنفس الغرض.. أنا على قدر طاقتي بعد عودتي سأشرح وأشارك في ندوات وألقي محاضرات وأكتب مقالات.. وأتحدث هنا وهناك.. كل هذا في حدود طاقتي.. هناك أيضاً كتاب سأشرع في تأليفه بعد عودتي إن شاء الله بعنوان «أربيل ٨٨ ـ هدولير ٩٩» وعندما أقول أربيل فلا أقصد مدينة أربيل في حد ذاتها ولكنها كرمز للإقليم بأكمله فهي العاصمة الإقليمية.. فنحن مثلاً عندما نقول أن رأي القاهرة في الأمر الفلاني كذا فنحن نقصد أن مصر رأيها كذا..

في هذا الكتاب سأقارن بين عهدين وأعتقد أنه مع صدور الكتاب سيسهم في نقل معلومة معرفية لما يجري هنا.. لكن هل هذا يكفي..؟.. لا أظن.

ـ متى يصدر هذا الكتاب..؟

ـ دعني أكتبه أولاً ودعواتكم لي بأن يسهل لي الله كتابته بعد العودة.

ـ الزعيم الخالد مصطفى البارزاني أول من دعا إلى تدعيم العلاقات العربية الكردية وله مواقف مشرفة تجاه هذا الموضوع كيف تقيم موقف البارزاني في هذا الصدد.

ـ لدينا في مصر وربما لدي أنا بالذات وفي بداية معرفتي بالقضية الكردية كان لفظ هذه القضية يختلط لدي باسم الملا مصطفى البارزاني ولعل اسم البارزاني كان يسبق لفظ الأكراد وقضيتهم في الذهن. وشيئاً فشيئاً ارتبطت هذه القضية لدي باسم الملا مصطفى البارزاني ولعلي حينئذ لم أكن أعرف معنى لفظ (الملا).. مثلما كان الأمر بالنسبة لمصر التي كانت ترتبط في الأذهان في وقت ما باسم عبد الناصر.. فيقال عبد الناصر ومعناها مصر.. نفس الشيء الملا مصطفى البارزاني في ذهني هو القضية الكردية وأعتقد أن هناك الكثير من المصريين من يشاركني في ذلك على الأقل في فترات تاريخية سابقة.

طبعاً الرئيس الراحل جمال عبد الناصر استقبل الملا مصطفى البارزاني عام ١٩٥٨

وحدث حوار بينهما ولكنها كانت حوارات على المستوى الرسمي وليس الشعبي كان عبد الناصر يؤيد الأكراد في حقوقهم القومية ولكن ليس إلى الدرجة التي تمس سلامة الدولة العراقية وأعتقد أن هذا الرأي مازال هو السائد حتى الآن وتتبناه الأحزاب الكردية الجادة.. نعم الملا مصطفى البارزاني هو أول من دعا إلى إقامة حوار بين العرب والأكراد ونحن نسعى أيضاً إلى ذلك ولكن ليكون حواراً على مختلف الأصعدة رسمياً وشعبياً.

ـ كلمة أخيرة توجهها إلى الشعب الكردي.

ـ آمل وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق إخوتي الأكراد حاكمين ومحكومين في تحقيق أهدافهم وأوصيهم بأن يحافظوا على تجربتهم الرائدة تلك ويتكاتفوا من حولها وينبذوا الخلافات(*).

* جاء هذا الحديث موجزاً بعض الشيء لاستبعاد الاسئلة والأجوبة التي وردت في الحديث التلفزيوني السابق.

## مقال في صحيفة الأهالي القاهرية

# الأهالي في كردستان العراق*

## البارزاني : الشمال الكردي العراقي . . أرض عراقية

## الأكراد يقتسمون مع العرب مراعي الأغنام والمياه في عام الجفاف

تلبية لدعوة من الأخ مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني قمت بزيارة المنطقة الكردية الواقعة شمال العراق.

وخلال هذه الزيارة شاهدت الكثير.. وعاينت الكثير.. هناك العديد من الأمور تستحق أن نتوقف عندها إلا أن هناك أمراً بذاته له من وجهة نظري أولوية في الطرح على غيره من الأمور، لأن هذا الطرح يدحض العديد من الافتراءات التي تلاحق الحركة الكردية وتتهمها من حين لآخر بأنها حركة إنفصالية.

هذا العام.. عام جدب وجفاف.. فالمطر كان شحيحاً على غير العادة.. والثلج الذي ينهمر كل شتاء على جبال كردستان كان شحيحاً أيضاً.. هذا الثلج هو الذي يذوب في

---

* جريدة الاهالي: ١٩٩٩/٧/٧

الربيع.. ومن ذوبانه تتكون الجداول والروافد التي يتكون منها نهر دجلة وغيره من المجاري المائية.. لقد ترتب على كل ذلك ندرة هائلة في المراعي الطبيعية التي تتغذى عليها الحيوانات في المنطقة.. ومع التوجه جنوباً تزداد هذه الشحة لتصبح المراعي معدومة تماماً.. لقد تعرضت الثروة الحيوانية خصوصاً في المنطقة العربية إلى الفناء نتيجة لهذا الجدب. ووجد المواطن العربي العراقي نفسه أمام كارثة تضاف إلى الكوارث الأخرى التي يعيش تحت وطأتها في ظل الحصار الظالم.

إن ظروف شمال العراق الكردي هي أحسن حالاً من حيث توافر المراعي الطبيعية من ظروف المنطقة العربية، رغم أن الجفاف لحق بالشمال أيضاً، ولكن بدرجة أقل من المنطقة العربية.

ورغم أن المنطقة الكردية في حالة استقلال إداري عن دولة العراق، منذ أن سحبت الحكومة العراقية الإدارات المدنية الحكومية من المنطقة في خريف عام ١٩٩١ وهناك حالياً خطوط حدودية تفصل هذه المنطقة عن باقي الأرض العراقية. إلا أن الإدارة الكردية التابعة لمسعود البارزاني وحزبه الديمقراطي الكردستاني وجدت أنه من الواجب عليها تجاه إخوانها عرب العراق ألا تتركهم هكذا.. [في ظل هذه الظروف الصعبة (ظروف الجدب والجفاف)] مواجهين بكارثة محققة. وقفز مسعود البارزاني فوق كل الجراح.. ووجه دعوة لإخوانه العرب العراقيين من الرعاة، بأن يأتوا إلى المنطقة الكردية بحيواناتهم لترعى تلك الحيوانات فيها مقتسمة مع حيوانات المنطقة القوت القليل في عام الجدب والجفاف.

وتدفقت الأغنام من المنطقة العربية ليصل عددها وقت زيارتي إلى مليون رأس من الأغنام.. ونصبت الخيام العربية في أرجاء كردستان لتقطن العائلات العربية التي أتت مع حيواناتها إلى المنطقة، وأصبح منظر مرتدي العقال العربي وهم يتجولون على أقدامهم أو في سيارتهم في المنطقة أمراً مألوفاً وغير مستهجن، كما كان في أوقات سابقة.

وأعلن مسعود البارزاني أن هؤلاء هم ضيوفه وأنه شخصياً مسئول كل المسئولية عن

أمنهم وسلامتهم، بل أنه أعلن أنه مسئول أيضاً عن أي شاه تشرد من أي راع عربي.

لقد تناثرت خيام الرعاة العرب وعائلاتهم وأغنامهم على جانبي الطريق من دهوك قرب الحدود التركية والسورية إلى مدينة أربيل العاصمة الإقليمية للمنطقة.

كانت الأغنام ترعى الكلأ القليل.. في حين كان الرجال يراقبونها بينما كان الأطفال يلهون من حول تلك الخيام ويلعبون الكرة أما الزوجات فكن يقمن بالأعمال المنزلية من طهو طعام وغسل ملابس.. هكذا رأيت.. بل أنني رأيت من حين لآخر رجلاً كردياً يمسك بيد رجل عربي في ألفة ومودة..

أمر جديد على المنطقة ما كان يمكن أن يحدث في ظل ظروف سابقة، لقد تأملت ذلك، وأعطيت له أبعاداً عدة، لكنني عندما التقيت بالأخ مسعود البارزاني، وتحاورت معه حول ما استنتجت من أبعاد هذا الأمر، وجدته يتناوله بشكل مغاير وببساطة تامة، فهو يرى أن الشمال الكردي العراقي هو أرض عراقية، والمواطن العراقي من حقه أن يتحرك من هذا المكان لذاك. بل إنه ذكر بكل وضوح أن الأكراد لم يكن لهم في يوم من الأيام مشكلة مع إخوانهم العرب، المشكلة دائماً كانت مع الحكومات العراقية المتعاقبة.

لقد التقيت بالعديد من هؤلاء الرعاة وتحاورت معهم، وسألتهم عن أحوالهم وكانت ألسنتهم تتسابق بكلمات الشكر والعرفان للأخ مسعود البارزاني ولكل الأكراد. وفي أحد هذه اللقاءات كان هناك فريق طبي بيطري كامل يفحص أغنام هؤلاء العرب، ويقدم لها العلاج.

وفي لقاء آخر كان مع العرب مدير ناحية، حضر كي يتفقد أحوالهم، ويستعلم منهم عن أي شكوى أو احتياج حتى يمكن تلبيته.

هو أمر جديد ونقلة نوعية مهمة على صعيد العلاقات العربية الكردية.. لقد تأملت هذه الواقعة جيداً وخرجت منها بعدة أبعاد وهي

البعد الأول : الإثبات وبالدليل العملي بأن أكراد العراق ليسوا انفصاليين. فهم وبالدليل العملي أثبتوا أنهم جزء من العراق. وحول هذه النقطة بالذات سألت مسعود البارزاني هل بالإمكان أن تفعل الشيء ذاته وتسمح لأكراد تركيا أو أكراد سوريا

بالحضور إلى كردستان العراق والرعي بأغنامهم في المنطقة.

وقد أجاب بالنفي مؤكداً أن هؤلاء يتبعون تركيا وسوريا.. أما الآخرون فهم عراقيون.. إذاً فالزعيم الكردي هنا يضع في الاعتبار الحدود السياسية القائمة، والتي يجب احترامها، رغم أن تلك الحدود هي التي قطعت أوصال كردستان لتصبح على ما هي عليه الآن.

البعد الثاني : في سنوات سابقة وقت أن كان حزب البعث العربي الاشتراكي هو الذي يحكم، وكان له جيشه المنتشر في كل مكان، إضافة إلى ميليشيات حزبه والأمن والاستخبارات.. في هذا الوقت وفي ظل تلك الظروف ما كان أي عربي يجرؤ ولو بالتفكير في الحضور إلى المنطقة بزوجته وأولاده وأغنامه.. كان هناك شك يملأ القلوب.. وخوف ليس بالقليل من جبال كردستان وساكني جبال كردستان.

لكن عندما أديرت هذه المنطقة من قبل هؤلاء الذين كان يطلق عليهم في السابق ألقاب وصفات مثل (المخربون).. في ظل إدارة هؤلاء للمنطقة.. فقد استطاع هذا المواطن العربي أن ينتزع الشك تجاه المواطن الكردي من قلبه وطرح خوفه من كردستان، وجبال كردستان جانباً، وذهب إلى المنطقة آمناً مطمئناً بزوجته وأولاده وأغنامه، وهو على ثقة أنه ذاهب إلى أرض آمنة، ووسط أشقاء أكراد يستمد منهم الحماية والأمن والأمان.. ولن يحدث له مكروه.. وقد كان.. فلم تقع حادثة واحدة لأي من هؤلاء.. وكان حديثهم جميعاً معي يتضمن الشكر الجزيل لمسعود البارزاني وإخواتهم من الأكراد.. ألا يعتبر ذلك مستجداً عظيماً حدث بالمنطقة.

البعد الثالث : كلنا يعلم جيداً أن صرح العلاقات العربية الكردية، قد أصابه صدع شديد في السنوات الأخيرة.. وهذا الصرح مهم وضروري للأمن والاستقرار في هذه المنطقة.. وفي ظل هذا الصرح المتصدع كنا ننتظر من يتقدم كي يسهم في إعادة تشييده وقد حدث ذلك بدعوة الرعاة العرب إلى أرض الشمال الكردي العراقي.. إن هذه الخطوة تعتبر اللبنة الأولى في إعادة بناء هذا الصرح.. صرح العلاقات العربية الكردية، وعلى الأطراف الأخرى، خصوصاً عرب العراق، أن يردوا على التحية بأحسن

منها أو بمثلها، ويضيفوا من جانبهم لبنة أخرى، إلى هذا الصرح العظيم كي يرتفع من جديد لبنة لبنة.

عندما حاورت الأخ مسعود البارزاني حول هذه النقطة، قال ببساطة : لم يكن في الذهن إطلاقاً كل ما ذكرت من تحليلات.. لقد أقدمنا على هذه الخطوة وعيوننا فقط على إخوتنا عرب العراق، فالجفاف يهدد ثروتهم بالفناء.. وهؤلاء لم يحدث بيننا وبينهم أية مشاكل.. المشاكل دائماً كانت مع الحكومات العراقية.. لذلك فلماذا لا ندعوهم إلى هذه المنطقة، ويشاركوننا قطعة الخبز القليلة، فالجفاف لحق بنا أيضاً هذا العام.

عند ذلك تذكرت الآية الكريمة {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}.

# حتى لاتضيع كردستان العراق

هذه كلمة ختامية أرى من واجبي أن أسجلها لأهميتها البالغة حسب اعتقادي.. وهي كلمة تحذير أوجهها للعرب جميعاً حكاماً ومحكومين، لكي يفكروا في : ما العمل..؟.

لم تكن كل مشاهداتي وإطلاعاتي في كردستان إيجابية من حيث التقارب العربي الكردي واللهفة على كل ما هو عربي.. إطلاقاً لا.. فإلى جوار كل ذلك كانت هناك العديد من الأمور التي تستدعي الهواجس إلى النفس قلقاً على مستقبل هذه المنطقة وعلى ارتباطها العضوي بدولة العراق. ومن هذه الهواجس :

١ ـ في ظل استقلال المنطقة إدارياً فقد بدأت في التشكل التدريجي كل مقومات الدولة (انتخابات برلمانية ـ برلمان ـ حكومة ـ وزارات ـ قوانين ـ قوات مسلحة ـ قوى أمن ـ كلية للشرطة ـ أكاديمية عسكرية ـ علاقات تجارية مع الخارج ـ خروج ودخول إلى المنطقة بعيداً عن سلطة بغداد.. إلخ) وتلك أمور يصعب التراجع عنها إن لم يكن التراجع مستحيلاً.. لقد حصلت تيمور الشرقية على استقلالها عن أندونيسيا ولم تكن تملك أي شيء من مقومات الدولة التي تتوفر لكردستان العراق.. لذلك فإن أمر الانفصال (رغم معارضته كرديا) هو أمر أسهل وأبسط منه في حالة تيمور الشرقية.

٢ ـ رغم أن أغلبية شعب كردستان العراق يتحدثون العربية بطلاقة (خصوصاً أهل المدن) إلا أن اللغة العربية أخذت في التواري لتطغى عليها اللغة الكردية سواء كان

ذلك في المعاملات أو المكاتبات أو المطبوعات (صحيفة واحدة عربية أسبوعية وأخرى شهرية ضمن أكثر من ٣٠ صحيفة يومية وأسبوعية تصدر في المنطقة).. بل أن أسماء الشوارع والميادين واللافتات الإيضاحية كذلك كلها باللغة الكردية..

٣ـ رغم أن العملة السائدة في كردستان العراق هي نفس العملة السائدة في المنطقة العربية العراقية (الدينار العراقي) إلاأن الدينار هذا يختلف تماماً عن ذاك، إذ يساوي الموجود في المنطقة الكردية ١٠٠ دينار من الموجود في المنطقة العربية ولأن الموجود في المنطقة الكردية لو تم استخدامه داخل المنطقة العربية فإنه حينئذ لن يساوي إلا ديناراً واحداً فقط فإن كل منطقة احتفظت لنفسها بعملتها الخاصة بعيدة عن الأخرى ويتوقف التعامل بها من خلال عمليات التهريب وضمن ترتيبات خاصة، هذا الأمر معناه أن المنطقة الكردية لها عملة خاصة بها غير تلك السائدة في المنطقة العربية وهو شكل من أشكال الاستقلال.

٤ ـ حضرت عرضاً عسكرياً في كلية الشرطة وهي كلية اضطر الأكراد إلى أنشائها حديثاً لرفد قوى الأمن بضباط الشرطة. ورغم أن الدراسة باللغة العربية في كلية الشرطة فإن مراسم العرض العسكري كانت باللغة الكردية. هذا معناه أن الجانب العملي من الدراسة يتم باللغة الكردية.

٥ ـ في جلسة حوار مع أعضاء اتحاد أدباءكردستان العراق بدهوك وجدت أحد الشعراء يكتب شعره بالحروف اللاتينية تشبهاً بما قام به كمال أتاتورك في تركيا، عندما استبدل الحروف العربية باللاتينية، ومن بعدها أصبح أكراد تركيا يقومون بالأمر ذاته.. عندما ناقشت هذا الشاعر علل لي ما يقوم به بأن الحروف الاتينية أكثر شمولاً من الحروف العربية.

٦ ـ الاجتياح المستمر للقوات التركية للمنطقة، بحجة مطاردة قواعد قوات حزب العمال الكردستاني التركي (ART). ولا تستطيع أي قوى كردية أن توقف ذلك بل لقد ذهبت الحكومة التركية بعيداً في هذا الاتجاه حيث لوحت أكثر من مرة بعزمها على إقامة حزام أمني حدودي داخل كردستان العراق على شاكلة الحزام الأمني (الإسرائيلي)

في الجنوب اللبناني.. إن هذا الوضع البالغ الخطورة يجعل تلك المنطقة تحت المطرقة التركية بشكل دائم ومستمر، فضلاً عن إحياء المطامع التركية التاريخية في ضم لواء الموصل إليها، وهي تعتبر أن هذا اللواء لم يكن ضمن الدولة العراقية حتى عام ١٩٢٥ عندما قررت عصبة الأمم ضمه إلى العراق.

٧ ـ هناك محاولات مستميتة تركية لتتريك المنطقة ثقافياً من خلال إنشاء بعض المدارس التركية وإغراء الطلاب للالتحاق بها بالمال والطعام وبالمنح الدراسية في تركيا وإذا وضعنا هذه المحاولات إلى جوار النشاط العسكري التركي وفي إطار الحلم التاريخي لتركيا في ضم ولاية الموصل فإن الأمر يأخذ بعداً جديداً.

ولقد سبق أن كتبنا في دراسات سابقة عن التأثير الفادح للمسألة الكردية على الأمن القومي العربي بدءاً من اتفاقية حلف بغداد إلى اتفاقية الأمن المتبادل في السبعينيات بين بغداد وأنقرة إلى مشكلة الحدود الإيرانية العراقية واقتسام شط العرب وما أدى ذلك إلى قيام الحرب الإيرانية العراقية التي دفعنا جميعاً الكثير بسببها.

وها هي تلك الهواجس التي طرحتها تطل برأسها منذرة بعواقب فادحة إن بقيت تلك المشكلة هكذا بلا حل وبقينا نحن العرب حكاماً ومحكومين على حالنا السلبي الأزلي إزاء ما يجري وما يخطط.

ماذا فعلنا...؟.. وماذا نحن فاعلون..؟.. وهل نخطط لشيء أم نترك كل شيء لظروفه ليحدث ما يحدث وليكن ما يكون..

إنني أشهد بأمانة وبضمير مستريح أن أكراد العراق في لهفة إلى تقارب عربي وبالذات مصري.. أذكر أن الأخ سامي عبد الرحمن ، وهو قيادة كردية مرموقة، أجابني على أحد أسئلتي من خلال حوار تم بيني وبينه في القاهرة (نحن الأكراد من يتوجه إلينا خطوة نتوجه إليه عشرات الخطوات ويزيد) ولقد لمست بنفسي صحة هذه المقولة أثناء زيارتي لإقليم كردستان العراق..

لكن أي شيء يقف حائلا في وجه أي تقارب حقيقي بين الأكراد والعرب وبالذات المصريين..؟.. رغم أن كل عوامل التاريخ والجغرافيا تقف مع هذا التقارب ورغم أن

هذا التقارب هو خير ضمان حتى لا يضيع هؤلاء من أيدينا إلي الأبد؟!

أعلم أن هناك تحفظات من بغداد تتعلق بالشأن الداخلي للعراق، وأن كردستان العراق هي شأن داخلي عراقي خصوصاً في وجه العرب..؟!.. وأتذكر المثل العامي المصري (دخان القريب يكف العينين..!!) من حقنا أن نسأل وأن نعترض : هل حقاً في ظل كل ما يحدث مازالت كردستان العراق شأناً عراقياً داخلياً..؟.. ولا يجوز للعرب بالذات أن يقتربوا منها..؟.. أما تركيا فقواتها تجتاح كردستان العراق من وقت لآخر ولا نسمع موقفاً يسعى لحماية هذا الشأن الداخلي.. !!.. أما أمريكا.. فالوسطاء الأمريكان (مارتن أنديك وديفيد وولش وغيرهم) يدخلون ويخرجون ويخططون ويتوسطون ويوجهون الدعوات، وجهات دولية تدخل وتخرج ولم نسمع أو نرصد موقفاً ضد ما يحدث من تدخلات في كردستان العراق وفي الشأن العراقي الداخلي..؟.

لقد تمت تسوية الخلافات الكردية / الكردية في وشنطن بموجب الاتفاقية الموقعة في ١٩٩٨/٩/١٧ رغم أنني كنت أتمنى الارتفاع فوق حساسيات الشأن الداخلي وتتوسط مصر وتوقع هذه الاتفاقية في القاهرة.. لو كان الأمر قد تم هكذا فإن أموراً كثيرة على وجه اليقين كانت ستتغير إلى الأفضل، لأن دوافع مصر من عقد مثل هذه الاتفاقية تختلف تماماً عن الدوافع الأمريكية، فمصر كانت ستراعي المصلحة العربية وفي مقدمتها المحافظة على وحدة وسلامة الأراضي العراقية.

إن أكراد العراق يؤكدون دوماً بالقول والفعل أنهم جزء لا يتجزأ من شعب العراق، وأن أرضهم (كردستان العراق) هي امتداد للأراضي العراقية.. وهم في هذا الصدد يسعون بشتى السبل للتقارب مع إخوانهم العرب داخل وخارج العراق وكل ما يتمنوه هو أن يقابلوا بخطوات عربية مماثلة.. إن من رأى حفاوة الأكراد داخل وخارج كردستان بإقامة مؤتمر الحوار العربي الكردي بالقاهرة في مايو ١٩٩٨ لتأكد من ذلك.

لكن يظل الاحتمال الخطير.. ماذا يمكن أن يحدث لو رأت القوى الكبرى المهيمنة على المنطقة أن من صالحها إقامة دولة كردية على هذه البقعة من الشمال العراق؟ بالطبع نحن نكتفي بالتوقف عند فكرة أن إقامة مثل هذه الدولة ليس من صالح تلك

القوى لتداعياتها الإقليمية على تركيا بالذات.. لكن لو تفاعلت الظروف وأصبح هذا الاحتمال هو الوارد..؟.. هل يتصور عاقل واحد أن هناك كردياً واحداً أياً كان موقعه سيرفض هذا العرض، وسيفضل عليه التمسك بما سبق إعلانه قولاً وفعلاً بأنه ليس انفصالياً وأنه جزء من العراق أرضاً وشعباً..؟!.. أيرفض كردي واحد أن تكون له دولة لها مقعد في الأمم المتحدة.. وعلم ونشيد ودستور وعملة نقدية وجواز سفر دولي وطابع بريد دولي.. ومطار.. إلخ..؟!.. إن التفكير العملي السليم يحتم إخضاع أي احتمال للبحث والتحليل.. مهما كانت درجة قابليته للحدوث.. وصدقوني فإن هذا الاحتمال ليس ضمن المستحيلات فهو أقرب إلى التحقيق بحكم ما وصل إليه من مقومات ذكرتها، من حالة ـ كتيمور الشرقية مثلاً ـ التي انفصلت عن أندونيسيا بأبسط مما كان يتصور الكثيرون..

لو حدث هذا الأمر وبهذا الأسلوب (التقاء مصالح القوى المهيمنة مع إنشاء الدولة) من يضمن لنا أن تصبح هذه الدولة صديقة لنا وهي قد نشأت في ظل حماية قوى مصالحها في الأغلب تتعارض مع المصالح العربية..؟.. الأمر إذن سيكون بالغ الخطورة خصوصاً إذا عرفنا أن روافد نهر دجلة تنبع من المنطقة الكردية.. والنفط العراقي يضخ إلى تركيا عبر أراضي كردستان العراق ومعظم الواردات العراقية ترد من تركيا وعبر البوابة الكردية العراقية.. هو أمر يهدد العراق والأمن العربي بأسره..

تلك الأمور هل هي محل تفكير داخل الذهن العربي..؟!.. أم أننا كالعادة نتذرع بأن لدينا ما يكفينا من هموم تنوء أذهاننا بها ولم يعد بها مكان لهم جديد.. وفي ظل ذلك لا نخطط لمواجهة شيء، أو على أقل تقدير أن نعمل على أن تكون تلك الدولة ـ لو قدر لها القيام ـ صديقة لنا من خلال خلق مصالح مشتركة وعلاقات وثيقة.

في رأيي أن السعي إلى توثيق العلاقات الكردية العربية، والمصرية بالذات، خير سبيل إلى تحقيق ذلك.. وفي هذا الصدد فإن هناك مقترحات لذلك منها :

١ ـ المساندة العربية لقضايا الأكراد انطلاقاً من أن قضاياهم تلك لا تتعارض مع المصلحة العراقية والمتمثلة في وحدة التراب العراقي.. ويجب أن تكون تلك المساندة

العربية منطلقة من إيمان مطلق بذلك، كما يجب أن تؤمن حكومة بغداد بأن مصلحتها الوطنية لا تتعارض إطلاقاً مع مساندة قضايا الأكراد..

٢ ـ التعامل مع الحركة الكردية داخل العراق على أنها جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية العراقية،وأن مساندة تلك الحركة هي مساندة للحركة الوطنية العراقية.

٣ ـ السعي بشتى السبل إلى إعادة تشييد صرح العلاقات العربية الكردية، والذي بنى بتضحيات الأسلاف.. لقد أصيب هذا الصرح بصدع شديد في السنوات الأخيرة، ومن صالحنا جميعاً (عرباً وأكراداً) إعادته شامخاً كما كان، لأنه أفضل ضمان لإجهاض أي مخططات تسعى إلى النيل من سلامة دولة العراق، طالما أن هذا الصرح يقوم على القناعة الكاملة من كلا الطرفين، وأجزم بأن الأكراد سيبادرون إلى ذلك.

٤ ـ السعي إلى قيام وساطة عربية للتقريب بين المطالب الكردية ووجهة النظر الحكومية العراقية، ومن حسن الحظ أن الحق الكردي في العراق معترف به بموجب كافة الدساتير والقوانين العراقية، بعكس الحال في كردستان تركيا التي يعيش أهلها في ظل نفي طوراني كامل ينكر عليهم هويتهم. أما في العراق فالأمر مختلف لأن الخلاف بين وجهتي النظر الكردية والحكومية العراقية يتمحور فقط حول حدود الحق الكردي.

فالأكراد يطالبون بالفيدرالية في إطار عراق موحد تعددي ديمقراطي وهم في هذه المطالب يؤكدون على أن (الفيدرالية عقد يجب أن تتفق عليه كل الأطراف الموقعة عليه والمكونة للفيدرالية، وهي عرض من الشعب الكردي في العراق إلى أخيه الشعب العربي في العراق)*

في حين أن الحكومة العراقية تعرض قانون الحكم الذاتي للمنطقة الكردية والذي صدر بشأنه القانون الصادر في ١١ مارس آذار ١٩٧٤.

إن المسافة بين المطالب الكردية والعرض الحكومي العراقي ليست بعيدة، ولو توفرت القناعة الكافية بخطورة ترك هذه المنطقة على وضعها الراهن الشائك، ولو توفرت

---

* الدكتور سعدي البرزنجي المستشار القانوني للرئيس البارزاني - كلمته في مؤتمر الحوار العربي الكردي بالقاهرة.

النوايا الحسنة.. وتخلت بغداد عن حساسية الشأن الداخلي الذي لا معنى له في ظل المعطيات الراهنة.. وتوفر الوسيط العربي الملائم والمقبول من كلا الطرفين، لأمكن في إطار ذلك تضييق مسافة الخلافات ومن ثم الوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف.

إنني أجزم بأن مصر مقبولة تماماً من قبل كافة الفصائل الكردية، وقد صرحت لي قياداتهم أكثر من مرة بذلك، وبقى أن تقتنع الحكومة العراقية بأهمية التفاوض مع الأكراد، أو على الأقل الدخول في حوار معهم وأهمية قبول مصر كوسيط للمفاوضات أو منسق للحوار، وعليها أن تؤمن بأن الدور المصري يستهدف صالح العراق وبالتالي صالح الأمن القومي العربي.

٥ ـ على مصر أن تقوم بمبادرات إيجابية تجاه الأكراد، فكما قال لي الأخ مسعود البارزاني (ليس لنا سوى العرب داخل وخارج العراق) فإن علينا أن نؤكد للأخوة الأكراد أنهم لم يكونوا على خطأ في هذا التصور وفي هذا الإطار :

أ ـ كان للأكراد حتى وقت قريب رواق في الأزهر الشريف، فلماذا إذن لا تدرس اللغة الكردية ولو كلغة ثانية في بعض أقسام كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر؟

ب ـ ما المانع في تخصيص بعض مقاعد الدراسات العليا في الجامعات المصرية لأكراد العراق؟ وقد حاولت القيادات الكردية ذلك أثناء مؤتمر الحوار العربي الكردي وزارت جامعة القاهرة لهذا الغرض.

ج- ما المانع في تنظيم أسابيع ثقافية فنية كردية في القاهرة يتعرف من خلالها الشعب المصري على الخصوصيات الثقافية للشعب الكردي والعجيب أن للأكراد مثل هذا الأمر في دول أوروبية عديدة.. أما العرب.. فلا..رغم أنهم الأولى بذلك.

د ـ ما المانع من إقامة علاقات نقابية بين النقابات المتماثلة في مصر وكردستان العراق (مهنية ـ عملية ـ طلابية ـ نسائية) ومن خلالها تحدث اللقاءات والحوارات.

٦ ـ لابد من التأكيد وبشتى السبل على التواصل الحضاري التاريخي بين العرب والاكراد، بدءاً من صلاح الدين الأيوبي ـ محرر القدس ـ وهو كردي، إلى رواد الحركة التنويرية الحديثة في مصر والكثير من روادها أكراد : (عبد الرحمن الكواكبي.. محمد

عبده.. قاسم أمين.. إلخ)، وفي المقابل يذكرون بكل الامتنان أن أول صحيفة كردية في التاريخ صدرت من القاهرة عام ١٨٩٨، وأول إذاعة كردية خرجت من مصر عام ١٩٥٧.

تلك أمور يجب ألا نأخذها ببساطة بل علينا أن نعطيها ما تستحقه من جدية تتناسب مع خطورتها.

ولا أجد ما أختم به هذه الكلمات سوى كلمات التحذير التي أطلقها الأخ عبد الخالق زنگنه، سكرتير الحركة الشعبية الكردستانية، في مداخلته بعد محاضرتي التي ألقيتها في قاعة البارزاني بمقر الحزب الديمقراطي الكردستاني، في أربيل، مساء الأربعاء ١٩٩٩/٦/٢٣ : «أقول لإخواني العرب.. إصحوا قبل فوات الأوان» وكررها ثلاث مرات..

وأقول مؤكداً على العرب أن يفيقوا من غفلتهم.. قبل الضياع..!!



في مصيف (سەری رەش) مع العائلة ١٩٨١



الزوجة، محمد ومنى/ أربيل - طريق مصيف صلاح الدين عام ١٩٨١



قاعة الثقافة الجماهيرية في اربيل، محاضرة حول السينما - ١٥/٤/١٩٨٤



رجائي مع الاستاذ روژگار - ١٩٨٥/١/٧ بمناسبة عرض فيلم ليلة القبض على فاطمة



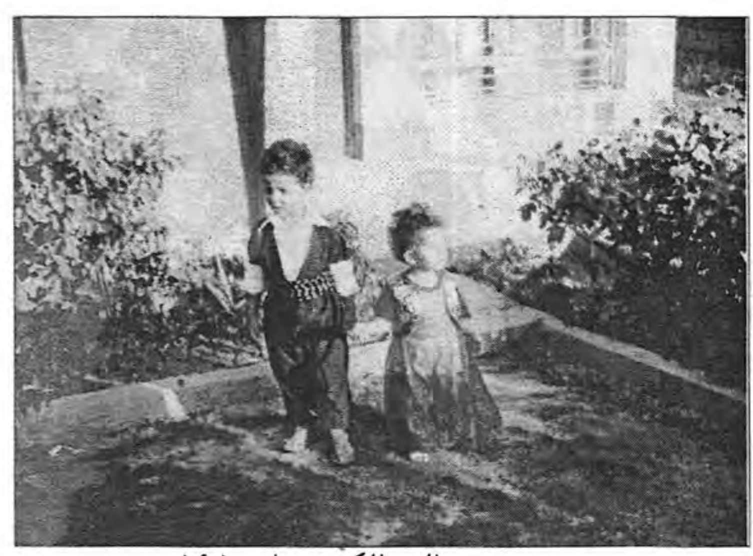
العائلة وسط ثلوج صلاح الدين و«سەری رەش» عام ١٩٨٠



منى رجائي «اقصى اليسار الصف الخلفي» مع صديقاتها- اربيل محلة الدواجن عام ١٩٨٨



محمد ومنى على سطح دار الدواجن، يظهر في الخلفية السياج الخاص بمدرسة خديجة الكبرى، وعلى البعد ديوان المنشأة العامة للدواجن الذي اصبح الآن مقر وزارة شؤون الپيّشمەرگە



محمد ومنى بالزي الكردي عام ١٩٨٠

# الفهرست . . .